الإشاعة في التاريخ الإسلامي

رقية عثمان

نضال راتب











الإشاعة في التاريخ الإسلامي

الإشاعة في التاريخ الإسلامي

رقية عثمان

نضال راتب

الطبعة الأولى

2016م







المملكة الأردنية الهاشمية

ررقم الأيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(2016/5/2169)

12568.58

عثمان، رقية

الإشاعة في التاريخ الإسلامي/ رقية عثمان ، نضال راتب .- عمان : دار من المحيط إلى الخليج للنشر والتوزيع ، 2016

( ) ص.

ر.إ.: 2016/5/2169



مكتبة ملاك – عمان- الأردن

Amman. Jordan

Tel : +0797492021



دار من المحيط إلى الخليج للنشر والتوزيع
هاتف:
00962799817307
00966506744232
البريد الإلكتروني

azkhamis01@homail.com

azkhamis01@yahoo.com



دار خالد اللحياني للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية – مكة

ص. ب 21402

الرمز البريدي 21955

هاتف: 00966555008626

البريد الإلكتروني: shs1427@gmail.com

المحتويات

تطفو على السطح أخبار كاذبة ملفقة، وأحياناً تطفو أخبار صادقة، لكنها تحمل في طياتها أساليب التهويل والتلفيق، وقد تكون بأثواب مزركشة براقة، فتتلقاها آذان صاغية، تنقلها إلى قلوب واجفة، أبصار أصحابها خاشعة خائفة ليس من ربها، بل من مخلوقاته، فتعمل هذه الأخبار فعلها في النفوس فتحدث في هذه النفوس أمور نفسية متعبة.

وتمر الأراجيف على أصحاب النهي والقلوب الراسية، فلا تزيدها إلا ثباتاً، وسرعان ما تنقشع فلا تؤثر في أصحابها ولا تهزمهم من الداخل أو من الخارج، بل يشتد أزرها أمام هذه الموجات المتلاحقة وتنظر إليها إنها جيوش غبارية عاصفة. كل ذلك لأن الناس يقفون من هذه الشائعات مواقف مختلفة حسب نفسياتهم المختلفة، وقلوبهم المتأثرة وغير المتأثرة، وثقافاتهم المتباينة.

كانت الإشاعات قديماً محصورة باللسان وما ينتج عنه من أقاويل وأشعار ونحوها، فتطورت الإشاعات وشاعت ويرجع هذا التطور إلى أسباب كثيرة منها: الأسباب والأغراض التي تثار من أجلها الإشاعات، فضلاً عن أهداف الدول التي ما فتئت تخصص لها الأجهزة العاملة على تنظيمها وترتيبها، حتى غدت أساساً في انتشار الجيوش وهيمنة الأمم القوية على الأمم الضعيفة، ولقد تطورت حتى غدت غزواً ثقافياً وما أدراك ما الغزو الفكري الثقافي!

تعددت وسائل الدعاية وبالتالي انعكس ذلك على انتشار الإشاعة ووصولها بطرق شتى، وتقدمت وسائل الاتصالات فصار للإشاعة أقدام تسير بها، بل وأجنحة تعبر بها القارات فضلاً عن

تلوث أثير الكرة الأرضية، فغدت تغزو الفضاء، فأخذت تأسر القلوب، ناهيك عن غزو الألباب؟ وصارت معول هدم سريع تفعل في نفوس الناس ما تفعل.....!

أثرت الإشاعة تأثيراً كبيراً في الأمة العربية منذ جاهليتها، فكانت محط أنظار فارس من الشرق والجنوب والروم من الشمال والغرب والجنوب على اليمن وعلى الكعبة المشرفة فهذا قبل أبرهة وما سبقه من تهويل، وهذه دولة الغساسنة من صنع الروم، فضلاً عن المناذرة من صنع فارس، وقد رافق كل ذلك إشاعات حول الأمة العربية، وطرق السيطرة عليها.

ولما ظهر الإسلام قوة فاعلة وصار محط أنظار الروم في بلاد الشام وما رافقه من إعداد الجيوش وما ينتج عنه من معارك هزمت الروم، ومثل هذه ذلك فعلت الفرس فكانت نتيجتها هزيمتهم في القادسية، وتطور التحفيز بالإشاعة والحرب المضادة من الروم إلى الحروب الصليبية، ولم يسكت الفرس، فهذه الشعوبية وقد عرفنا تأثيرها من قبل أبناء الفرس.

ثم تطورت الإشاعة مع كبر طمع الطامعين في خيرات هذه الأمة، فكانت شائعاتهم تعمل بمعمول الهرم في جسد هذه الامة، حتى صرنا الى ما وصلنا إليه من تقدم قومي بعد أن كنا أمة من حدود الصين إلى المحيط الأطلسي، ثم ازددنا تفتتاً، فأصبحنا على مستويات إقليمية، ونسأل الله تعالى العلي القدير أن لا نصل في تفتنا إلى حيث المدينة والقرية داخل الأقطار الإقليمية.

إن ما نعيشه حالياً من نعرات قبلية، أو جهوية أو فئوية لهو دليل واضح على مفعول الإشاعة، وأثرها في هذه الامة، ولذا وجب على أصحاب العقول النيرة، والنخبة المثقفة، فضلاً عن دور أولي الأمر والنهي، أن يقفوا بالمرصاد لسد أي خلل تنفذ منه اشاعات الغرب المغرضة، تلك الاشاعات التي تعمل على

تمزيق أوصالنا، وتشتت شملنا، وتفتيت عضدنا، وعلينا جميعاً التماسـك والتوحـد حيال كل تلك المناورات والمؤامرات التي تستهدفنا، أن نكون يداً واحـدة فـإن يـد الـلـه فوق يد الجماعة.

لذا فقد كان هذا الكتاب حاوياً، مفصلاً، ومعرفاً بالإشاعة، وأثارها ووسائلها وتطورها عبر العصور، ومبيناً أغراضها وأهداف من يقف خلفها على نشرها وبيان تأثيرها علينا عبر العصور إلى أن وصلنا إلى ما وصلنا إليه!

أسأل الـلـه العلي القدير أن يفي هذا الكتاب بالغرض وأن ينتفع به.

والـلـه من وراء القصد

المؤلف

تمهيد :

اشتمل القرآن الكريم على كثير من الآيات التي تحوي معنى الاشاعة، وكلها تنبه وتحذر المسلمين من تأثيرها عليهم وعدم تأثرهم بها، وجل مصدر الاشاعة من أعداء المسلمين أي من الكفار، وجعل الله سبحانه وتعالى العقاب والغضب على من يعمل بهذه الإشاعات ويأخذ بها كما في الآيات التالية:

قال تعالى : " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ {1/60}** " الممتحنة: 1

قال تعالى : " **لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ {118/3}**" آل عمران: 118

قال تعالى : "**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ {19/24}** " النور: 19

قال تعالى : " **مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ {106/16}**" النحل: 106

قال تعالى : " لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ {186/3}" آل عمران: 186

قال تعالى : "وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللـهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللـهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللـهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ {64/5}" المائدة: 64

قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ {6/49}" الحجرات: 6

قال تعالى : " وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللـهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ {31/ 6}" لقمان: 6

والإنسان قد يكون معرضاً للصواب والخطأ وقد يضل طريقه، واحتمالات الخطأ عند الإنسان أكثر من احتمالات الصواب. ويقول الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني في كتابه (أن الإنسان بطبعه ضعيف يعتريه النسيان، وقد يخضع لأنواع الشهوات والأهواء والمغريات، وقد تغلب فكره الحيل، وقد تزيف الحقائق أمام ناظريه. ولكي ينجو الإنسان من ضلال الفكر فلا بد له من المعالم الهادية والدلائل المرشدة، والبراهين الساطعة. وغاية خلق الإنسان هي عبادة اللـه سبحانه وتعالى، وقد بين اللـه تعالى مهمة الإنسان في هذه الأرض حين خلقه، وحدد غاية وجوده)[1]

1 إبراهيم زيد الكيلاني: الفكر العربي الإسلامي، 15.

قال تعالى : " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ {30/2}" البقرة: 30

قال تعالى : " إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ {71/38} فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ {72/38} فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ {73/38} إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ {74/38} قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ {75/38} قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ {76/38} قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ {77/38} وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ {78/38} قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ {79/38} قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ {80/38} إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ {81/38}" ص: 71 - 81

وأمر اللـه آدم أن يسكن الجنة بعد أن خلق له حواء يسكن إليها وأباح لهما كل شيء في الجنة إلا شجرة عينها لهما، ولكن إبليس وسوس لهما بالأكل منها وأغراهما بأنواع المغريات وقال "إن ربكما لم ينهكما عن الأكل من هذه الشجرة إلا لأن الأكل منها يجعلكما من الملائكة أو تكونا خالدين ولا يقرب الموت والفناء ساحتكما"، وعندما خاطب آدم عليه السلام قال تعالى :

" فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى {120/20}" طه: 120 ولم يزل يفتنه حتى نسى آدم أنه عدوه الذي أبى السجود له وأن اللـه حذره منه أشد الحذر[1] لقوله تعالى: "فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا

1 عبد الوهاب النجار – قصص الأنبياء، 8.

سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ {22/7}" الأعراف: 22

ومما تقدم نستخلص أن (الإشاعة قديمة قدم خلق الإنسان، وسوف تعيش ما عاش الإنسان، ولا يكاد يخلوا مجتمع منذ فجر التاريخ الإنساني من إشاعة، لأن النفس الإنسانية فيها القابلية لهذا الأمر، وفيها الاستعداد أن لم تتهذب بالقدر الكافي)[1].

والعظة من قصة آدم كما يقول الأستاذ عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء، أن الإنسان مهما أوتي من التجلي والكرامة ففي طبعه الضعف فهو عرضة لأن ينسى ويأتي ما لا يتفق مع إجلال الله له كما في نسيان آدم وصية الله تعالى، فأطاع إبليس الذي هو أعدى أعدائه.

وعندما عاتب الله آدم على مخالفته أمره والأكل من الشجرة ندم آدم وأخذ يعتذر فطرده وحواء من الجنة وطرد إبليس فقال عز وجل:

" قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ {24/7}" الأعراف:24

فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه، وهداه واجتباه، وبقي هو وبنوه الذين أتى بهم من حواء في الأرض، لتبدأ معركة الشياطين معهم، ومعركة الخير والشر فيقول الدكتور أحمد نوفل (فمنذ فجر التاريخ والصراع دائر بين الناس على كل

1 أحمد نوفل – الإشاعة.

شيء، وعلى السيطرة على النفس الإنسانية باعتبارها مجالاً مهما من مجالات الصراع)[1].

ويقول أيضاً (النفس عالم واسع هائل قابل للتغير والتشكل والصعود والهبوط، والله تعالى جعلها كذلك ليبتلي الإنسان ويمتحنه) كما قال تعالى:

" وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا {7/91} فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا {8/91} قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا {9/91} وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا {10/91}" الشمس: 7 - 10

ويضيف أيضاً الدكتور أحمد نوفل، (لقد حاول العلم أن يتعرف إلى النفس الإنسانية، ثم وظفت هذه المعرفة في محاولة السيطرة على هذه النفس، وقد سميت هذه المحاولات في الصراع، الحرب النفسية، أو حرب المعنويات، أو وحرب الكلمة، وهي ما عرفته أجهزة الإعلام باسم الحرب الباردة، (Cold War) وعلى الرغم بأن هذه الحرب لا يستعمل فيها النار، ووسائل التدمير المادية، إلا أنها الأطول والأخطر، وتعد الحرب النفسية أخطر أنواع الحروب لأنها تستهدف في المقاتل عقله وتفكيره وقلبه. لكي تحطم من روحه المعنوية وتقتل الإرادة. وتعرف الحرب النفسية أو الباردة بأنها (الاستخدام المخطط للدعاية أو ما ينتهي إليها من الإجراءات الموجهه إلى الدولة المعادية أو المحايدة أو الصديقة بهدف التأثير على عواطف وأفكار وسلوك شعوب هذه الدول بما يحقق للدولة الموجهة أهدافها)[2].

كما تعرف أيضاً بأنها حدوث توتر شديد في العلاقات بين دولتين مما يؤدي إلى نشوء نوع من الحرب الإعلامية بينهما وذلك باستخدام كافة وسائل الإعلام

1 أحمد نوفل م. س، 18.
2 د. أ. أحمد نوفل – الإشاعة، 8.

ومحاولة تدمير الجبهة الداخلية للبلاد عن طريق الشائعات وإيقاظ النزاعات الاجتماعية المندثرة بالإضافة إلى التحدي الدبلوماسي والاقتصادي والتجاري بين الدولتين. والإشاعات جزء حيوي من الحرب النفسية، وهي وسيلة البلبلة في الحرب والسلم والبلبلة الفكرية والنفسية مفتاح إلى تغيير الاتجاهات [1] واللعب بالعقول ثم السيطرة وغسل الدماغ[2] .

ويجب أن نذكر أن الاتجاهات يمكن تعديلها، فيعتقد علماء السلوك الإنساني بإمكانية تعديلها. والإشاعة سلاح بين المنحرفين يستعمل للسيطرة على الاتجاهات الشعبية وزعزعة الوحدة الفكرية والانتماء والتماسك الاجتماعي.

وأما عن ديناميكية شخصية الإنسان فهي غير ثابتة، وهي متغيرة من زمان لزمان، ومن حالة إلى حالة، ومن موقف لموقف، وهذا التغير لا يعني أن تفقد الشخصية نوعاً من الثبات النسبي، ويقول الدكتور أحمد نوفل: (نحن في العالم الإسلامي نتعرض لأخطر حرب نفسية وأكثرها تركيزاً وشراسة، كوننا حملة الرسالة الخاتمة، ولكوننا أصحاب أعظم ثروات ينتظر لأصحابها إن هم تحركوا في الاتجاه السليم أن يسودوا العالم. ولذلك شنت هذه الحرب لتهديم النفوس، وشل الإرادات)[3].

1 الإتجاهات تعكس كيفية شعور الفرد أو حكمه على شيء أو شخص ما . ومصادر الاتجاهات هي: الأسرة، والتنشئة الاجتماعية، والرفاق والجماعات والمؤسسات التربوية التعليمية والتعاليم الدينية وكذلك الخبرات السابقة.

2 د. احمد نوفل – الاشاعة ،8.

3 م.ن، 9-8.

وسنأتي فيما بعد في صفحات هـذا الكتـاب ونتحـدث عـن (الغـزو الثقـافي) التي اتخذها أعداء الإسلام لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية وهي جـزء مـن الحـرب الباردة. أو الحرب النفسية.

سلكنا في بناء هذا الكتاب طريقاً سلساً أوضحنا فيها التعريف بالإشاعة ومراحلها في التاريخ، وبينا آثارها في الحرب العالمية مع بيان آثارها على بعض الشخصيات التاريخية، فضلاً عن الحرب النفسية.

ثم عرجنا على الإشاعة والغزو الثقافي مع بيان مفاهيمه وأهدافه وأساليبه، مع بيان ما فعله العدو الصهيوني بالمسجد الأقصى وما أحاطوه من إشاعات.

ومع تقدم الأيام وتطور وسائل الإعلام والمعلوماتية، أشرنا إلى أثر الإشاعة وشيوعها في الأمة والعمل على تدميرها وخصنا أهم الطرق التي تؤدي إلى قتلها ومحاربتها.

الفصل الأول

الإشـــــاعـــــة

المبحث الأول

الإشاعة

أولاً:تعريف الإشاعة

لغوياً: الإشاعة من الفعل الماضي شاع بمعنى تفرق، وشاع الشيب إذا ظهر وتفرق، وشاع الخبر في الناس إذا انتشر وافترق وذاع وظهر وشاع في الناس: إذ اتصل بكل واحد ما سوى علم الناس به وإشاعة الأخبار المنتشرة[1]

اصطلاحاً: عبارة عن نشر خبر قد يكون صادقاً فيعرفه من كان يجهله أو كاذباً لتحقيق هدف خاص فيعتمد بصحة طبقة من الناس.

وقد عرفها أحمد إسماعيل أبو مشرف بأنها: الإشاعة عبارة عن كلام صادر من جهة ما يقصد به نشر أشياء موجودة فعلاً، وغير مرغوب بسماعها، وإظهار شيء بأفضل، وتعميمها على البسطاء من الناس لتتداول بشكل عفوي، حتى تصير كلاماً موثوقاً به ويصدقه حتى مروجي الإشاعة.

وعرفها أو لبورت (كل قضية أو عبارة مقدمة للتصديق، تتناقل من شخص إلى شخص، دون أن تكون لها معايير أكيدة للصدق).

ويعرفها صلاح نصر: هي اصطلاح على رأي موضوعي مفيد كي يؤمن به من يسمعه، وهي تنتقل عادة من شخص إلى آخر عن طريق الكلمة الشفهية دون أن يتطلب ذلك مستوى من البرهان أو الدليل.

أو هي الأحاديث والأقوال والأخبار التي يتناقلها الناس، والقصص التي يرويها دون التثبت من صحتها أو التحقق من صدقها.

---

1 ابن منظور : لسان العرب / 7/ 260 .

فالشائعة التي تنقل عن طريق الأفـراد والصحف والمجـلات التلفزيـون أو أجهزة الإعلام الأخرى قد تكون سليمة تحمل آمـالاً طيبـة للمسـتقبل وقـد تكـون مدمرة تحمل الكراهية مستخدمة في ذلك أنسب الظروف لظهورها.

هنـاك مـن يصـف الإشـاعة بأنهـا لا تقـل خطـورة عـن تـرويج المخـدرات، فكلاهما مروجان يستهدفان قتل النفس، وشـل الفكـر، وتـدمير الإرادة، وتحطـيم المعنويات، والنيل من سلامة الأبناء الذين يشكلون تماسكاً صلباً للجبهة الداخليـة وكلاهما يستهدفان تحقيق أغراض دنيئة، وأهـداف يقصـدون مـن ورائهـا الهـدم ومن الأمثلة على ذلك الغـزو الغـربي الموجّـه للعـالم الإسـلامي التـي عملـت عـلى إخراج المسلمين من الإسلام لإضـعاف العقيـدة في نفوسـهم ، ليحـل محلـه البنـاء الجديد الذي وضع الغرب حقيقته وصورته، وكـذلك تقبـل نمـط الحيـاة الغربيـة، وهو ما سنأتي عليه فيما بعد بهذا الكتاب.

ومن صفات الشائعة التناقض، فقد تبـدأ عـلى شـكل حمـلات هامسـة، أو تهب كريح عاصفة عاتية، وتهـتم الشـائعة عـادة بموضـوع معـين، والاهـتمام بـه يكون مؤقتاً، فهي تروج في الظروف الملائمة للموضوع ثـم تنتهـي بموتهـا ودفنهـا، على انه من ناحية اخرى قد تعاود الظهور مرة أخرى إذا ما وجدت الأرض الخصـبة المناسبة ويجب أن نفرق بين الخبر والشائعة، فالخبر يعتمد على البراهـين والـدلائل، أما الشائعة فإن برهانها غير واضح. فالخبر يعتـبر خـبراً صـحيحاً ولكـن حيـنما يبـدأ نقل الخبر بين الأفراد مبتعدين عـن حقيقـة مـا جـاء بـه، فمـن هنـا تبـدأ الشـائعة

بالظهور ويستمر ترديدها دون برهان ولا دليل، حتى لا يكاد يصدقها الكثير من الناس الأمر الذي تأخذه في النهاية أسلوباً معيناً في الترويج.

والشائعات يتناقلها الناس همساً أو علانية إلى أن يعرفها الجميع في النهاية. والشائعات تروج عندما تكون للأحداث أهمية في حياة الأفراد أو عندما لا ترد عنها أخبار قاطعة، أو عندما تكون الأخبار غامضة.

ثانياً :سمات الإشاعة وأنواعها :

نظراً لأهمية الإشاعة، وكونها سبباً في تحقيق بعض الأهداف، فضلاً عن تأثيرها المدمر في كيان الأمة فإننا سنوضح أهم سماتها الأساسية والثانوية ومنها:-

الأولى: سمة الغموض فهي بلا برهان أو مصدر أو دليل واضح.

الثانية: سمة الأهمية فهي ذات موضوع مهم بالنسبة للوسط الذي تنتشر فيه.

إن شدة سريان الإشاعة يتوقف على درجة غموضها وأهميتها، كما أن فرص انتشارها تزداد كلما كان هناك تناسق وانسجام بين مضمونها والوسط والظروف التي ترمي بها. بمعنى آخر أن الإشاعة تساوي حاصل ضرب وتفاعل ما بين عنصري الغموض والأهمية. فإن كان هناك موضوع غامض المصدر وغير مهم بالنسبة للوسط لا وجود للإشاعة وإذا كان هناك موضوع واضح المصدر ومهم فلا وجود للإشاعة أيضاً.

إضافة إلى هاتين السمتين هناك سمات فرعية أخرى مثل:-

1. سمة الشفاهية، حيث لا تنتقل الإشاعة بطريقة مكتوبة بل إنها في الغالب تنتقل بالشفاه.

2. ثم هناك سمة الاختصار، حيث في الغالب تكون الإشاعة مختصرة قصيرة وليست مسهبة طويلة.

3. وفي الأخير تتميز الإشاعة بصفة الانسجام المترتبة على سمة الأهمية أي انسجام موضوع الإشاعة مع الوسط الذي تنتشر فيه، وهذا الانسجام لا يتوفر إلا بعد أن يكون موضوع الإشاعة موضوعاً مهماً في هذا الوسط.

ثالثاً :شروط نجاح الإشاعة:

أما شروط نجاح الإشاعة وأسباب ترديدها فتقف ورائها عوامل كثيرة تتمثل بما يلي:-

1. قلة وانعدام المعلومات حول موضوع ما يساعد على خلق الظرف والمناخ المناسبين لنجاح وانتشار الإشاعات التي تقوم على موضوعات تقل أو تنعدم المعلومات بشأنها.

2. أن أوقات الحروب والأزمات والكوارث والتوترات وكل ما يؤدي إلى عدم الاستقرار هي شرط يوفر ظرفاً مناسباً وأرضاً صالحة لزراعة الإشاعات وانتشارها ونجاحها.

3. غياب الصراحة والشفافية والحوار ما بين الحاكم والمحكومين يمثل شرطاً لخلق ظرف مناسب ومناخ مناسب على انتشار وصناعة ونجاح الإشاعات.

4. عامل الفراغ، يؤدي إلى تفريخ صناع الإشاعات فغالباً ما تكثر الإشاعات صناعاتها وانتشارها ونجاحها وسط العاطلين عن العمل الذين يمتلكون أوقات الفراغ فلا ينشغلون إلا بالقيل والقال أي الإشاعات.

5. عامل الجهل والجنس والعمر، فالأهمية والجهل تمثلان ظروف مناسبة لانتشار ونجاح الإشاعات وبالنسبة للجنس فيقال أن الشائعات تنتشر في الأوساط النسائية أكثر منها في الأوساط الرجالية. كذلك فإنها بالنسبة للعمر تكثر وتنتشر بين كبار السن المتقاعدين عن العمل أكثر منها عند الشباب المنتجين.

رابعاً :مراحل تكوين الإشاعة:

وعن مراحل تكوين الإشاعة تكون الإشاعة وصناعتها يرى العالم النفسي الروسي المشهور (باسيو) إن الإشاعة في تكوينها وصناعتها تمر بثلاث مراحل هي:-

المرحلة الأولى:- مرحلة الإدراك الانتقائي:- أي إدراك الخبر أو الحدث من جانب شخص أو عدد من الأشخاص يحملون خصائص محددة. فهؤلاء وإن كانوا أذكياء في انتقاء الحدث أو الموضوع، فإنهم يشعرون بالاضطهاد، أو عدم الثقة بالنفس أو بضعف الانتماء والولاء، أو بعدم التكييف أو التكيف الخاطئ مع الجماعة، وهؤلاء يدركون بشكل انتقائي الموضوع الذي سيكون مادة أساسية للإشاعة.

المرحلة الثانية:- مرحلة التنقيح:- فبعد إدراك الموضوع أو الحدث تبدأ مرحلة التنقيح أي الحذف والإضافة والتعديل والتحوير بما يتصل بهذا الموضوع أو الحدث المنتقى الخاص بالإشاعة. وفي هذه المرحلة يتم اعتماد الأفكار المسبقة المخزونة في الذاكرة الشعبية، أو المتمثلة بالكلمات أو العبارات الرمزية المفهومة بشكل شائع وواضح ومفصل لدى الوسط الذي يراد نشر الإشاعة فيه. وهذه

الأفكار المسبقة التي يتم استخدامها مع بعض الحذف والإضافة تسمى في علم الاجتماع السياسي بـ (الجمعيات السياسية).

المرحلة الثالثة:- مرحلة الانطلاق والانتشار النهائي للإشاعة وتبدأ هذه المرحلة عندما تصبح جاهزة وسهلة الاستيعاب ومتمشية مع أفكار وقيم الوسط الذي ستنشر فيه.

خامساً :أهداف الإشاعة:

الإشاعة:- إن كل إشاعة تستهدف خلخلة الرأي العام، وبلبلة الأفكار وإثارة الانفعالات وبالتالي التأثير سلباً في الرأي العام.[1]

وتتلخص أغراض الإشاعة وإن كانت تنتهي إلى ما تمت الإشارة إليه. فيما يلي:-

1-هدف أو غرض طمس أو إخفاء حقيقة الشيء: وهي تعتمد نشر الدخان الكثيف لطمس وإخفاء حقيقة ما وتسمى أحياناً الخداع. وهذا النوع من الإشاعات نراه في اغلب التحركات العسكرية لأية دولة قبل وأثناء الحرب وحتى في أوقات السلم أيضاً. مثل إطلاق شائعات حول تحرك عسكري حصل أو مرتقب لكتيبة أو فرقة عسكرية من قبل دولة ما، الغرض منه التمويه والإخفاء للتحرك الحقيقي، فتحرك القوات العربية قبل حرب تشرين عام 1973 م[2] وما أطلق من شائعات التمويه يدخل في هذا الإطار.

---

1 الرأي العام : هو دراسة الاتجاه العام للشعب إزاء قضية معينة أو لمعرفة موقفه من موضوع ما ، وذلك عن طريق استقصاء رأي عدد محدد من الأشخاص الذين ينتمون إلى فئات مختلفة وبطريقة عشوائية ، بحيث يعتبر رأيهم في النهاية ممثلاً لرأي المجتمع كله تقريباً . وهو يختلف عن الاستفتاء الشعبي العام حيث أن الاستفتاء يتم عن طريق دعوة جميع المواطنين إلى الإدلاء بأصواتهم بشأن قضية ذات طابع سياسي أو ذات منفعة عامة للبلد .

2 حرب 1973 م: اتخذت الدول العربية بعد حرب 1967 م قراراً بإعادة بناء القوات المسلحة بغرض " إزالة آثار العدوان " واجتمع قادة الدول العربية في الخرطوم مباشرة بعد الحرب واتخذوا قراراً مفاده " لاصلح لامفاوضات لااعتراف " ، وقرروا رصد الأموال اللازمة لمساعدة دول المواجهة في إعادة البناء والاستعداد لرد العدوان وتحرير الأرض . وبدأت دول المواجهة بإعادة بناء قواتها المسلحة والاستعداد =

2-هدف أو غرض التقليل من شأن وهيبة العدو: فعلى سبيل المثال أثناء الحرب العالمية الثانية[1] أطلق الألمان إشاعة تفيد أن أهم محطة إرسال إذاعية ألمانية تعرضت للقصف من قبل قوات الحلفاء الأمر الذي أدى إلى تعطيل الإذاعة وانقطاع البث فسارعت محطات العدو وخاصة الإنجليزية التبجح بقوة الحلفاء الأمر الذي أدى إلى تعطيل الإذاعة وانقطاع البث فسارعت محطات العدو وخاصة الانجليزية التبجح بقوة الحلفاء، وعندما تم تصديق هذه الإشاعة في الوسط البريطاني عادت الإذاعة الألمانية للبث والإرسال لتكذب إذاعة الدولة الخصم وتقلل من مصداقيتها ومن شأنها وهيبتها. كذلك لعل مثال مصر والطائرات الخشبية أثناء العدوان الثلاثي عام 1956م .[2] أكبر مثال على ذلك. وخلاصة القصة أن الرئيس

=لمعركة قادمة ، في الوقت الذي شهدت فيه الساحة الفلسطينية تطوراً متسارعاً ، إذ سيطرت حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) على قيادة المنظمة ، وحققت الحركة التفاتاً جماهيرياً بسبب إصرارها على مقاومة الاحتلال والاستمرار في العمل المسلح . ونتيجة لتزايد أعمال المقاومة شنت إسرائيل هجوماً في 1968/3/21 على قاعدة كبيرة للعمل الفلسطيني المسلح في مخيم الكرامة في غور الأردن . وقد أرادت إسرائيل من الهجوم على الكرامة تصفية المقاومة الفلسطينية ، إلا أن تعاون قوات المقاومة والجيش الأردني أدى إلى إلحاق خسائر جسيمة بالقوات الإسرائيلية وإلى فشلها في تحقيق أهدافها .

لم يكن التخطيط للحرب يستهدف إشعال حرب تحريرية شاملة ، وإنما اقتصر في الواقع على أن يكون عملية عسكرية كبيرة الحجم نسبياً ، تحقق تحرير جزء محدود من الأرض التي احتلت في حرب عام 1967 ، ولايصل – كعمل عسكري – إلى مستوى تحرير الأراضي العربية المحتلة كافة ، إنه بعبور قناة السويس وتحرير شريط الأرض الملاصق لها وتحرير جزء من الجولان ، وفي الوقت نفسه روعي ألا تؤدي الاشتباكات بأي صورة من الصور إلى تصادم مع الولايات المتحدة .

1 الحرب العالمية الثانية : (1939/9/1—1945/9/2) : نشبت بين قوات المحور ألمانيا وإيطاليا واليابان من جهة ، والحلفاء فرنسا وانكلترا والإتحاد السوفياتي والولايات المتحدة والصين من جهة ثانية . من أسبابها إرهاق الاقتصاد الألماني بتعويضات الحرب العالمية الأولى مما أدى بطريقة غير مباشرة إلى ظهور النازية ومطالبة هتلر بمدى حيوى أوسع وتحالفه مع إيطاليا واليابان في محور اتصف بسياسةعدوانية توسعية . ومن الأحداث التي سبقت الحرب وكشفت عن عجز عصبة الأمم المتحدة حيالها ضم اليابان لمنشوريا 1937 ، اجتياح إيطاليا لأثيوبيا 1935 ، احتلال هتلر لرينانيا 1936 وضمه النمسا 1938 .

وتشيكوسلوفاكيا 1938 و 1939 ، ومطالبته (بدانتريغ) والممر البولوني ، وأخيراً اتفاقه مع السوفيات وغزو بولونيا 1939 مما أشعل الحرب التي امتدت إلى أنحاء العالم وشملت بحاره الواسعه وأصابته بخسائر مادية وبشرية جسيمه تعدت خسائر الحرب العالمية الأولى وفاقتها ضرواة . أدت إلى اندحار دول المحور الثلاث ومقتل هتلر وموسوليني وتقسيم ألمانيا وطرد اليابان من منشوريا والصين وكوريا . نتج عنها إنشاء منظمة الأمم المتحدة وإستقلال غالبية المستعمرات .

2 حرب عام 1956 : حين تفجرت أزمة السويس في تموز سنة 1956 ثارت ثائرة الدول الغربية ضد مصر وضد ما أسمته تحديداً بالمسلك العدائي والاستفزازي المتطرف لنظام الحكم القائم فيها ضد المصالح الغربية ، كما ادعت أن سيطرة مصر المنفردة على قناة السويس .

الراحل جمال عبد الناصر[1] أمر بوضع عدة طائرات خشبية مكشوفة في عدة مطارات في منطقة قناة السويس، وسريت بعض الشائعات عن وجود بعض الطائرات في هذه المنطقة، وعلمت القوات الغازية بوجود الطائرات، وصدقت الشائعات، فقصفت هذه المطارات والطائرات الخشبية التي كانت موجودة وأعلنت مسؤوليتها عن ذلك، وما هي إلا دقائق حتى أعلنت وسائل الإعلام المصرية حقيقة الخبر، ودعت بعض الصحفيين الأجانب للتأكد من ذلك.

3-هدف أو غرض كشف حقيقة الشيء: وهنا تستخدم الإشاعة كطعم، أو مصيدة للخصم كي يكشف عن حقيقة ما يحاول طمسها، وعدم إظهارها فعندما تعلن دولة ما أن قصفها ضد مواقع العدو أحدث خسائر فادحة في العتاد والرجال بلغ كذا وكذا. إن هذه المبالغة من قبل ناشر الإشاعة ما هو إلا طعم لدفع العدو إلى إعلان خسائره الحقيقية، وهكذا تتمكن الدولة من معرفة خسائر العدو من خلال نشر مثل هذه الشائعة.

ونذكر هنا على سبيل المثال إشاعة أطلقتها اليابان في الحرب العالمية الثانية عندما ضربت ميناء (بيرل هاربر) الأمريكي، فأرادت اليابان معرفة مدى الخسائر التي تكبدها الخصم الأمريكي من جراء هذه الضربة، أطلق اليابانيون إشاعة تفيد أن خسارة هذه الضربة كانت كبيرة مادياً ومعنوياً، الأمر الذي أدى إلى نشر الهلع والخوف في الأوساط الأمريكية، مما دفع بالإدارة الأمريكية بعد تعتيم عن نتائج

---

1 جمال عبد الناصر : (1918- 1970) : رجل دولة مصري ورائد عربي . ولد في بني مر (أسيوط) . ألف حركة الضباط الأحرار التي قلبت الملك فاروق 1952م. أمم قناة السويس 1956 م . رئيس الجمهورية 1958 حتى وفاته . من مؤسسي حركة عدم الانحياز مع نهرو وتيتو . له كتاب فلسفة الثورة .

الضربة، دفعها إلى أن تعلن للشعب الأمريكي حقيقة الخسائر المترتبة على هذه الضربة بالأرقام وهنا تمكن اليابانيون من معرفة حقيقة خسائر هذه الضربة بالأرقام، كذلك فإن هذا الكشف عن الحقيقة الذي ترتب على إطلاق الإشاعة اليابانية في الوسط الأمريكي زود اليابان بمعلومات حقيقية عرفوا من خلالها قدراتهم وقوة أسلحتهم.

4-هدف أو غرض تفتيت الروح المعنوية للعدو: ونذكر هنا على سبيل المثال إشاعة الرصاص في الهند أثناء الثورة الهندية على الإنجليز عام 1857 م حيث استخدم الثوار الهنود بنادق حديثة في الثورة، فاضطر المستعمر الإنجليز إلى إطلاق إشاعة ونشرها لتصل إلى الأوساط الهندية الثائرة المسلمة وغير المسلمة. ففي وسط الثوار الهنود من المسلمين تقول الإشاعة إن الرصاص أو الذخيرة المستخدمة في بنادق الثوار محفوظة بعلب مزيته بزيت الخنازير. أما في أوساط الثوار غير المسلمين ومعظمهم من عبدة البقر تقول الإشاعة إن الذخيرة أو الرصاص الذي يستخدمه الثوار محفوظة بعلب مزيته بزيت البقر. وفي الحالتين أن الإشاعة حققت أهدافها وأغراضها لأن الثوار نفروا واستنكفوا كلاً حسب عقيدته من التعامل مع هذه الذخيرة فكان لهذه الإشاعة الدور الكبير في تفتيت الروح المعنوية للثوار، وفشلت الثورة بعد أن تخلى الثوار عن أسلحتهم الجديدة.

سادساً :أنواع الإشاعة:

يتخذ أصحاب الإشاعة أشكالاً كثيرة وأنواع مختلفة تلائم كل غرض يريدون الوصول إليه، ويمكن تصنيف الإشاعة كما يلي:-

1-الإشاعة الزاحفة:- وهي الإشاعة التي تصنع ببطء وتروج ببطء وتتناقل من قبل الناس همساً وبطريقة سرية وتنتهي في نهاية المطاف إلى أن يعرفها الناس جميعاً. وتنمو مثل هذه الشائعات عادة في الأنظمة الاستبدادية والدكتاتورية التي تضيق فيها فسحة الحقوق والحريات.

2-الإشاعة العنيفة:- وهي الإشاعة التي يكثر حدوثها ووجودها أثناء الحروب والكوارث والأزمات والهزيمة. إن مثل هذه الشائعات تستند عموماً على العواطف الجياشة كالذعر والخوف، والحربين العالميتين شهدت الكثير من أنواع هذه الشائعات .

3-الإشاعة الغاطسة:- وهي الإشاعة التي تظهر ثم تغوص لتظهر مرة أخرى عندما تتهيأ الظروف الملائمة والمساعدة للظهور، ويكثر هذا النوع من الشائعات في القصص المتشابهة التي يعاد ظهورها في كل الظروف المتشابهة. فالعدو الصهيوني حاول أن يعاود نشر العديد من الشائعات في حرب تشرين 1973 م ضد المصريين، وذلك معتمداً على شائعات مماثلة ظهرت في حرب حزيران عام 1967 م .[1] لعل قصة

---

1 حرب عام 1976 : لم تحقق إسرائيل في حرب 1956 إلا القليل من أهدافها ، التي حصرت إجمالاً في فتح خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية . كما أن عدوان 1956 م جعل إسرائيل تعاني من مشاكل استراتيجية غير محلولة فقد بقي الأردن وسوريا خارج القتال ، ولم يكن هناك مبرر أمام إسرائيل آنذاك لاحتلال مرتفعات الضفة الغربية أو القنيطرة في الهضبة السورية ، وكان على إسرائيل أن تنتظر عشر سنوات أخرى . ويمكن اجمال أسباب تحضير إسرائيل لحرب جديدة في المنطقة بما يلي :

1- المساحة التي اغتصبوها عام 1948 لم تكن كافية لاستيعاب يهود العالم أو غالبيتهم ، ولذا تطلعوا نحو التوسع على الاتجاهات كافة لتوفير مساحات أراض تلبي متطلبات المستقبل .

2- تحويل مياه نهر الأردن .

3- ظهور المقاومة الفلسطينية :التي قامت ببعض العمليات العسكرية ضد أهداف إسرائيلية .

4- عقد اتفاقيات صلح مع الدول العربية : فمن وجهة النظر الإسرائيلية ستقع هزيمة عسكرية تلحقها إسرائيل بالعرب للاعتراف بها وقبولها دولة من دول المنطقة والتخلي عن حلم تحرير فلسطين .

وقد أشاعت مؤتمرات لقمة العربية التي دعى إليها الرئيس الراحل عبد الناصر في خطابه حين قال : فلنجتمع من أجل فلسطين وما أسفرت عنه من اتفاقات على إنشاء القيادة العربية الموحدة ، كل ذلك اشاع جواً من الحماس العربي الذي بعث جواً من التفاؤل بقدرة العرب على تحقيق المعجزات فيما كان واقع الحال يعكس أشياء مريرة ، وقبل الحرب بفترة بسيطة كان المعسكر العربي منقسماً على نفسه وكانت الاتهامات والشتائم بين الأنظمة السياسية تجري عبر الاذاعات ومن خلال الصحافة ولم ينسى العرب خلافاتهم إلا قبل الحرب بأيام قليلة وأثناء الحرب ، وقد انعكست الخلافات بين الأنظمة السياسية العربية على القدرات العسكرية والتنسيق العسكري ، مما نتج عنه وقوع الهزيمة العسكرية في تلك الحرب .

اللسان وطابع البريد المشهور تلقى المزيد من الضوء على هذا النوع من الإشاعات وتتخلص القصة في أن أسير أمريكي عند الألمان في الحرب العالمية الأولى كتب خطاباً وأرسله إلى أسرته. ولم يكن الخطاب يحوي شيئاً غير عادي إلا ملحوظة كتبها الأسير وطلب فيها من أسرته أن تحتفظ بطابع البريد الملصق على الظرف. ولما كانت أسرته تعرف أن ابنها لم يكن يوماً من الأيام من هواة جمع الطوابع، فقد دهشوا لهذا الطلب وقرروا أن يتأكدوا من الأمر، فنزعوا الطابع ليجدوا جملة تحته تقول:- إن الأعداء قطعوا لسانه. لقد انتشرت هذه الإشاعة أثناء الحرب العالمية الأولى والثانية بالرغم أن القصة يعوزها الدليل المادي حيث أن خطابات الأسرى لا تحمل عادة طوابع، كما أن قطع اللسان من الناحية العلمية يؤدي إلى الموت بكل تأكيد ما لم يقم خبير بإجراء عملية ناجحة.

4-الإشاعة الوهمية:- وهي الإشاعة التي تنتج عن الخوف وليس عن الرغبة. مثل هذه الإشاعات نسمعها أحياناً ومفادها أن هناك قوى كبيرة وقوية تقف وتؤيد مسألة الاعتراف والتعامل مع العدو الصهيوني. لذا فإن مسألة كهذه ضرورة يبج السير فيها حتى نتفادى هذه القوة وشرها.

5-إشاعة الكراهية:- ومثل هذه الإشاعة تنتشر من جراء الشعور بالكراهية لنظام أو لحزب سياسي ما، وأسباب هذا النوع من الإشاعات هو الصراع السـياسي بين الكتل والأحزاب خصوصاً وقت الانتخابات فيطلقها مرشح ضـد مرشـح آخـر. وقد تشحن هذه الإشاعات بأنواع من الشتم وتشويه السمعة لـزرع الكراهيـة في نفوس الناخبين إزاء هذا المرشح المقصود بالإشاعة.

6-الإشاعة الورديـة :- وتسـمى أيضـاً الإشـاعة المتفائلـة أو إشـاعة التوقـع، وغالباً ما تحوي هذه الإشاعات وعـوداً إيجابيـة بتحقيـق مصـلحة للوسـط الـذي تنتشر فيها. وان معظم النظم السياسية والحكومات تلجـأ إلى صـناعة ونشر مثـل هذه الإشاعات لكسب الرأي العام من جهة ولقياس نبض واتجاهات الرأي العـام حول سياسة أو قرار أو إجراء تريد تلك النظم أو الحكومات القيام بها مستقبلاً.

سابعاً :مقاومة الإشاعات:

ونظراً لتأثير الإشـاعة، فإننـا نـرى مـن الواجـب أن نـذكر طـرق مقاومتهـا والسبل الناجحة للعمل على تلافي خطرها وآثارها والحد من انتشارها فهناك سبل وطرق متعددة لتحقيق ذلك، وهي استخدام كل ما يمكن استخدامه للتخلص من كل الشروط والظروف التي تـؤدي إلى صـناعة وانتشـار ونجـاح الإشـاعات وهـذا يقتضي ما يلي:-

- توفير المعلومات الصحيحة، ونشر الحقائق.

- إشاعة روح الحوار والمصارحة بين الحكام والمحكومين.

- توفير فرص العمل للعاطلين والنساء، فضلاً عن توفير النوادي لتسلية المتقاعدين.

- الاهتمام بالعلم والمعرفة، لمقاومة الجهل والأمية اللذان يشكلان ظروف مناسبة لانتشار ونجاح الإشاعة.

- التحصين الأمني لا سيما في موضوعات ومعلومات تتصل بالسيادة والأمن الوطني وكرامة الوطن والمواطن. وفي هذه الحالة فإن التحصين الأمني لا يعتمد فقط على قوة البوليس، والمخابرات، وطرق التشويش الإذاعي، إنما يعتمد على دراسة علمية وتفنيدها تفنيداً علمياً يعتمد التحليل المدروس عن طريق معامل أو مراكز متخصصة في دراسة الإشاعات، والتعامل معها والتصدي لها.

المبحث الثاني

الإشاعة في التاريخ

على ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية

إن الإشاعة قديمة قدم وجود الإنسان، وهذا التاريخ يأتي بصفحات تؤكد وجود الإشاعة مع وجود الإنسان، ولا يستبعد أن تعيش الإشاعة ما عاش الإنسان غير قابلة للاستنفاذ في مواضيع معينة، وأن تأخذ أشكالاً متنوعة، في أوقات مختلفة. ويشير القرآن الكريم إلى كثير من الشائعات التي روجها الكافرين حول الأنبياء صلوات الله عليهم.

فمن الأنبياء نوح[1] الذي قاومه قومه بإشاعة وبفرية يطلقونها حوله، ويبثونها، ويتوارثونها أحياناً. فقد كان قوم نوح قد عكفوا على عبادة غير الله تعالى واتخذوا لهم أصناماً يعبدونها من دونه. فاختار الله تعالى نوحاً من بين أولئك القوم، لينذرهم عذاب الله إذا تمادوا في غيبهم وضلالهم، فعتّوا عن أمر ربهم، واجتمع الملأ من قومه كبراؤهم وأهل الثراء منهم على تكذيبه واحتقاره هو ومن اتبعه. واستبعدوا أن يكون واحد منهم لا يمتاز عليهم بالغنى والثراء يأتي لهدايتهم دون أن يكون ملكاً، أو يمتاز بفضل من الغنى والثروة، وأنفوا أن يكونوا

1 نوح عليه السلام : هو النبي الثاني ممن ذكروا بعد آدم عليه السلام . وهو أول الرسل كما في حديث الشفاعة عن أبي هريرة في صحيح مسلم : (يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض) وبعضهم يؤول هذا الحديث ويقول برسالة آدم وادريس . وقد ذكر نوح عليه السلام في ثلاثة وأربعين موضعاً من القرآن الكر يم . ذكرت قصة نوح عليه السلام في سورة الأعراف وسورة هود وسورة المؤمنون وسورة الشعراء وسورة القمر وسورة نوح وهي مختلفة اللفظ بحسب ما تكون العناية موجهة نحوه من البيان .

بذل نوح عليه السلام منتهى وسعه واجتهد بغاية امكانه أن يتبعه قومه في الايمان بالله تعالى وأن يقلعوا عن عبادة تلك الأصنام .

وطال الزمن وهو يغاديهم بالنصح ويرواحهم بالعظة سراً وعلانية وهم لا يزداد إلا اعراضاً ونأياً عن طريقته مع بيان المسرات المترتبة على الإيمان والنعم التي تنتظرهم في عاجل حياتهم من إرسال المطر لسقياهم وسقيا أرضهم ووفرة الأموال وكثرة الذرية .

مثل الذين اتبعوا نوحاً من الضعفاء. وزعموا أنهم إنما اتبعوه من غير روية ولا أحكام.

قال تعالى : "إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {1/71} قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ {2/71} أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ {3/71} يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاء لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {4/71} قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا {5/71} فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا {6/71} وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا {7/71} ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا {8/71} ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا {9/71} فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا {10/71}يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا {11/71} وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا {12/71} مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا {13/71} وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا {14/71} أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا {15/71} وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا {16/71} وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا {17/71} ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا {18/71} وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا {19/71} لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا {20/71} قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا {21/71} وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا {22/71} وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا {23/71} وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا {24/71} مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا {25/71} وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا {26/71} إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا {27/71} رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا {28/71}" نوح: 1 - 28

وقد اتهم من قومه بأنه يريـد التفضيـل علـيهم يتـزعم ويتـأمر، وفي قولـه تعالى : "فَقَالَ الْمَـلَأُ الَّـذِينَ كَفَـرُوا مِـن قَوْمِـهِ مَـا هَـذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّـثْلُكُمْ يُرِيـدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاء اللـهُ لَأَنـزَلَ مَلَائِكَـةً مَّـا سَـمِعْنَا بِهَـذَا فِي آبَائِنَـا الْأَوَّلِـينَ {24/23}" المؤمنون: 24

ومعنى يتفضل يتزعم ويتآمر ويلاحظ، وأن الخطاب موجّه للجمهور وليس مواجهاً به نوح عليه السلام، وفي هذا دلالة أن المقصود من الحملة هو المحافظـة على الجماهير في وضع معين، وفي حالـة متجمـدة عـلى مـا هـي عليـه كي يسـتمر ابتزازها وتسخيرها.

وقد اتهموه وجماعته المؤمنة اتهامـاً آخـر ألا وهـو الكـذب، فقـالوا: قـال تعالى : " أَن لاَّ تَعْبُـدُواْ إِلاَّ اللـــهَ إِنِّيَ أَخَـافُ عَلَـيْكُمْ عَـذَابَ يَـوْمٍ أَلِـيمٍ {26/11} فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِـهِ مَـا نَـرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَـا وَمَـا نَـرَاكَ اتَّبَعَـكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِـن فَضْـلٍ بَـلْ نَظُـنُّكُمْ كَـاذِبِينَ {27/11}" هود: 26 - 27

ومرة ثالثة رموه بالضلال. ، مؤكـدين اتهـامهم هـذه المـرة، وليسـوا ضـانين مترددين كالمرة السابقة قال تعالى : "لَقَـدْ أَرْسَـلْنَا نُوحًـا إِلَى قَوْمِـهِ فَقَـالَ يَـا قَـوْمِ اعْبُدُواْ اللـهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَـيْكُمْ عَـذَابَ يَـوْمٍ عَظِـيمٍ {59/7} قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ {60/7}" الأعراف: 59 - 60

ثم يشاع عنه الجنون، قال تعالى : " كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَـذَّبُوا عَبْـدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ {9/54} " القمر: 9

وهذا هو هود عليه السلام[1]، كان قومه أصحاب أوثان يعبـدونها مـن دون اللـه تعالى وكان هود عليه السلام ينذر قومه ويحذرهم بأس اللـه ويضرب لهـم المثل بقوم نوح، مع ذلك رموه قومه بالطيش والخفة

قال تعالى : " وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللـهَ مَا لَكُم مِّـنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ {65/7} قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ {66/7}" الأعراف: 65 - 66

ويجدر بالملاحظة ، أن الملأ هم الذين كانوا يتولـون تصـنيع وإطـلاق ونشر الإشاعات، لأنهم أصحاب المصلحة في معارضـة دعـوات الأنبيـاء حتـى تبقـى لهـم السيطرة على القطعان، ثم يردد القوم ما أطلق الملأ من إشاعات بلا وعي وتبعية عمياء.

أما عن موسى عليه السلام[2]، فإنه يحمل دعوة ربه إلى فرعون وملاءه وقومـه ويلح موسى عليه السلام على فرعون بالدعوة إلى الإيمان باللـه تعـالى في مـلأ قومـه وذلك يكسر من هيبته ويحط من رتبتـه، وجـه فرعـون إلى القـوم كلامـه متجـاهلاً الإله الذي يدعوا إليه موسى، وانه سيتخذ الوسـيلة للصـعود إلى الـه مـوسى لمعرفـة هذا الإله، ولعله فهم من قول مـوسى رب السـماء والأرض أنـه موجـود في السـماء. وأوهم القوم أن الصعود إلى السماء تناله قدرته. فأصدر أمره إلى هامان أن يبنى له

1 ذكر هود عليه السلام في القرآن الكريم سبع مرات . ان عاد لم تذكر في كتاب من الكتب المقدسة سوى القرآن الكريم . وليس بيد أحد من الناس من أخبارهم ما يوثـق بـه ويصـح التعويـل عليـه . سوى القرآن وحده – فقد ذكر مساكنهم وأحوالهم وجسامة أجسامهم وقوتهم ومـا كـانوا نـاعمين فيه من خصب ورغد عيش وما استمسكوا به مـن الكفـر والأوثـان وعتـوهم وفسـادهم في الأرض وتماديهم في الاستمساك بعبـادتهم الباطلـة ومابـذل هـود في سـبيل هـدايتهم وردهـم عـن فاسـد اعتقادهم وما قابلوه به من العناد والسخرية والاستهزاء إلى أن تأذن اللـه بهلاكهم .

2 شب موسى عليه السلام في بيت فرعون . وكان قوى البأس وافر القوة ولم يخف عليه انـه دخيـل في بيت فرعون وأنه اسرائيلى من ذلك الشعب المضطهد من فرعون وآله . فكـان ظهـيراً للعبرانيـين قومه .

صرحاً يأخذ في السماء صعداً حتى ينالها ويطلع إلى اله موسى ثم أردف ذلك بأنـه يظن أن موسى كاذب في أن له إلهاً سوى فرعـون وعنـدما طلـب آيـة مـن مـوسى فألقى عصاه من يده فإذا هي ثعبان لا شك فيه يتحرك ويسـعى، ووضـع يـده في جيبه ثم نزعها فـإذا هـي بيضـاء للنـاظرين. رأى فرعـون والملأ مـن قومـه ذلـك فعمدوا إلى التمادي على تكذيب موسى فيما جـاء بـه مـن الآيتـين فـيملأ فرعـون سماء مصر ويسمم الأجواء بما يطلق من شائعات فيقول: إنـه سـاحر علـيم يريـد أن يخرجكم من أرضكم.

قال تعالى : " قَـالَ لِلْمَـلَإِ حَوْلَـهُ إِنَّ هَـذَا لَسَـاحِرٌ عَلِـيمٌ {34/26} يُرِيـدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ {35/26} " الشعراء: 34 - 35

ولقد تكرر ذكر اتهام فرعون لموسى بالسحر مرات عديـدة في القـرآن، مـره على لسان فرعون، ومرة على لسان الملأ وبعد ذلك يردد الشعب.

وأما عن اتهام فرعون لموسى بالظن فقد قـال تعـالى : " وَلَقَـدْ آتَيْنَـا مُـوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَـونُ إِنِّي لَأَظُنُّـكَ يَـا مُوسَى مَسْحُورًا {101/17}" الإسراء: 101

ومره أخرى يجمع إلى السـحر تهمـة الكـذب، قـال تعـالى : "وَلَقَـدْ أَرْسَـلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ {40/ 23} إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَـالُوا سَـاحِرٌ كَذَّابٌ {40/ 24} " غافر: 23 - 24

وأما الملأ فقد كرروا نفس مقولة فرعون، يقول تعالى في كتابه العزيز:

" قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ {109/7} يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ {110/7}" الأعراف: 109 - 110

وهذا فرعون أيضاً يتهم موسى عليه السلام أيضاً بالسحر والجنون، ويقول تعالى:الذاريات 38 – 39 قال تعالى : " وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ {38/51} فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ {39/51}" الذاريات: 38 - 39

أن الإشاعة بالقوم أجمعهم لقيت تصديقاً، قال تعالى : " فَلَمَّا جَاءهُم مُّوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَـذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ {36/28} " القصص: 36

وهذا يوسف عليه السلام[1]، أن امرأة العزيز نظرت إلى يوسف وما هو عليه من الخلق السوي والجمال المفرط فأشعل ذلك في نفسها جذوة الحب وصار ذلك يزداد بتكرر رؤيتها له إلى أن غلبها الحب على حيائها.فأخذت تداعب يوسف وهو يعرض عنها. إلى أن هاج بها هائج. واعتزمت على شفاء ما في نفسها من الصبابة فصارحته القول. ودعته إلى نفسها دعوة . واحتاطت للأمر وأخذت عدتها له . وغلقت الأبواب. وقالت ليوسف هيت لك.[2]

قال انه ربي أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون

---

1 يوسف عليه السلام : كان يوسف عليه السلام جميل الصورة أثيراً عند أبيه يخصه بقسط عظيم من محبته . وكان ذلك سبباً في حقد إخوته عليه وسبباً في محنته التي كانت خيراً وبركه عليه وعلى الأمم القريبة من مصر وعلى مصر . ذكر اسم يوسف عليه السلام في 26 آية من الكتاب 24 آية في سورة يوسف وآية في الانعام وآية في سورة غافر . وقد ذكرت قصة يوسف مطولة في سورة يوسف . وسبب نزول هذه السورة في القرآن الكريم أن كفار مكة لقى بعضهم اليهود وتباحثوا في ذكر محمد صلى الله عليه وسلم . فقال لهم اليهود سلوه لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر .

2 هيت لك : أقبل ، أسرع : إرادتي لك .

قال تعالى : " وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللـهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ {23/12} وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ {24/12} وَاسُتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {25/12} قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ {26/12} وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ {27/12} فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ {28/12} يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ {29/12} وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ {30/12}فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ للهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ {31/12} قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ {32/12} قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ {33/12} فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {34/12} ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ {35/12}" يوسف: 23 - 35

للعلماء في تفسير هذه الآية آراء فمنهم من يقول أن امرأة العزيز قد همت بيوسف ليضاجعها وهو هم بها وأنه قعد منها مقعد الرجل من امرأته فلما لم يبق

شئ دون إتمام ما قصدته وقصده جاء جبريل وأخبره بأنه سيكون نبياً، وهذا العمل لايليق من الأنبياء فكف عنها ، وهذا برهان ربه ومعنى الآية لولا أن رأي برهان ربه لفعل .

ومما سبق في الآيات الكريمة يتبين ظهور حق يوسف وكذب امرأة العزيز بأن رأوا قميصه قُدَّ من دبره – فعاد الشاهد أو العزيز على امرأته باللوم وقال انه من كيدكن عظيم وأمر يوسف بكتمان الخبر وأمرها بالاستغفار لذنبها وصرّح بأنها مخطئة فيما صنعت ويقول الدكتور أحمد نوفل، في قصة يوسف عليه السلام، وبرغم التكتم والتحفظ الإعلامي الشديد من قبل قصر العزيز فإن الإشاعة قد تفشت في نساء مصر، وابتدأن فيها وأعدن، وزدن وبالغن، وقلن: قال تعالى : " **وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ {30/12}**" يوسف: 30

ويضيف هنا أن هذه الإشاعة هي عين ما حدث بالفعل، فهي على هذا رواية واقعية لما حصل وليست إشاعة، ولكن بالتأمل في الفعل المضارع تُراود ودلالاته وايحاءاته وعلى طريقة القرآن في الإيجاز وطي التفاصيل. على هذه الطريقة استعمل القرآن الفعل المضارع، ليوحي بما في نفوس النسوة من ظن أن امرأة العزيز تمارس هذه المراودة عن حب مقيم، وضلال مبين، وأن ما حصل ليس لحظة عابرة، وإنما فعل مستمر، عبّر عن هذه الظنون والخواطر، الفعل المضارع "تراود" واكد ذلك جملة مؤكدات تضمنتها الجملة التذييلية (إنّا لَنراها في ضَلال مُبينٍ) من هذه المؤكدات: إن، واللام، واسميه الجملة، والظرفية الموجبة بالشمول

(في ضلال) ووصف الضلال بالمبين واستعمال لفظ الضلال بمعنى الغرام، فهو حب وصل حد الضلال، كل ذلك في كلمات قليلات: (إنّا لَنراها في ضَلال مُبينٍ) ويضيف بملاحظة أخرى في وصول السر إلى النسوة، مع انه لم يشهده إلا أشخاص لا يعقل منهم خروج السر، ولكن الذي يبدو أن النسوة أشعن هذه المقولة دون أن يعلمن بتلك الحادثة، بل من خلال ملاحظاتهن لامرأة العزيز أثناء زيارتها في البيت فقد كن يرقبن بعيون النساء المترفات ذاك الفتى وشغف سيدته به.

ولما فشت المقولة بذلك رأى العزيز وحسّن له مثيروه أمراً هو أنه لا يخلصهم من العار ويكف السنة الناس عنه وعن زوجته إلا زجه في السجن ليخيلوا للناس أنه مازج في السجن إلا لأنه آثم كاذب في ادعاء البراءة. وأن زوجة العزيز بريئة مما قذفت به، يقول تعالى: قال تعالى : "**ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ {35/12}** " يوسف: 35

ويقول أحمد نوفل ولعل الحين الذي أشارت له الآية هو حين انتهاء موجة الإشاعات التي عمت المقربين من أصحاب النفوذ، والطبقة العليا في المجتمع.

وبعد أن دخل يوسف عليه السلام على غير جريمة أتاها ودخل معه السجن فتيان احدهما رئيس الخبازين عند الملك والثاني رئيس سقاته، قال تعالى : " **وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ {36/12} قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي**

تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ {37/12}وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ {38/12} يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ {39/12} مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ {40/12} يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ {41/12} وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ {42/12} وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ {43/12}قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ {44/12} وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ {45/12} يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ {46/12} قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ {47/12} ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ {48/12} ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ {49/12}" يوسف: 36- 49

وعاد رئيس السقاة إلى الملك بتأويل رؤياه فسر بها وعلم انه تأويل مناسب متفق مع الرؤيا. فقال الملك ائتوني بيوسف. فلما أرادوه على ذلك أبى أن يخرج من

السجن حتى يعرف أمره على حقيقته وطلب إلى الرسول أن يعود إلى الملك ويسأل عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن ويتداخل معنا الدكتور أحمد نوفل، ويقول عن يوسف عليه السلام، ما كان أشد ذكائه وأبعد نظره حين طلبه الملك إعجاباً به فلم يستجب، بل طلب فتح ملف القضية، وما ذلك إلا لتتاح له فرصة العمل دون أن تعكر عليه الإشاعات صفوة أو تضعف سلطته ونفوذه، الهمس والتشكيك والإشاعات طلب الرسول أن يعود إلى الملك ويسأل عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن، فلما أعيد التحقيق في القضية وأشرف عليها الملك بنفسه، وقال النسوة ما قلن. قلنا حاش لله ما علمنا عليه من سوء وأنكرن أن يكن سمعن شيئاً عن شأنه وشأن امرأة العزيز، قالت امرأة العزيز:

قال تعالى : " **قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ {51/12}**" يوسف: 51 وصدر الحكم ببراءته المطلقة من هذه الفعلة في محاكمة علنية مشهودة، عندئذ خرج يوسف من السجن وتسلم الصلاحيات والسلطات التي خوله إياها الملك يقول تعالى في كتابه العزيز:

قال تعالى : " **قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ {51/12} ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ {52/12}**" يوسف: 51 – 52 وأما مريم بنت عمران، فقد نشأت نشأة طهر وعفاف وبُعد عن الاشغاف إلى رذيلة مكلوءة بعناية الله محروسة بحراسته فلما بلغت مبلغ النساء

وجدت وقتاً في خلوة وحدها فلم ترع إلا بالملك جبريل الذي أرسله اللـه إليها جاءها على صورة فتى فأخذها الرعب وظنته يريد بها سوءاً فاستعاذت منه ووصفته بعدم التقوى، فاعلمها انه مرسل من اللـه تعالى ليهب لها غلاماً زكياً. فأخذها العجب من ذلك. إذ كيف يكون لها ولد وهي لم يمسها أحد من الناس. فهوّن عليها الأمر وأحال على قدرة اللـه تعالى وهو الإله الذي لا يعجزه شيء وينفخ في جيب درعها فإذا هي حامل. ويقول تعالى:" **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا {16/19} فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا {17/19} قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا {18/19} قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا {19/19} قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا {20/19} قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا {21/19}**" مريم: 16 - 21

وحملت مريم بعيسى[1] بمجرد نفخ الملك في جيبها وطبيعي أنها قد مرت بجميع أدوار الحمل إلى أن ولدته.

---

1 عيسى عليه السلام : هو عبد اللـه ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه . وهو آخر أنبياء اللـه ورسله من بنى إسرائيل . كما أن آخر الأنبياء والرسل من بنى الإنسان جميعاً محمد صلى اللـه عليه وسلم . ذكر اسمه في =القرآن بلفظ المسيح تارة وهو لقب له وبلفظ عيسى وهو اسمه العلمى وهو بالعبرية (يشوع) أى المخلص إشارة إلى أنه سبب لتخليص كثيرين من آثامهم وضلالهم ، وبكنيته (ابن مريم) تارة آخرى .

ان النصارى إذا ذكروا نسب المسيح فإنما يذكرون نسب يوسف النجار فهو شاب صالح من شبان اليهود من قوم مريم ويقول لوقا في الاصحاح الأول في الفقرة 27 من انجيله أنه من بيت داود – وكانت مريم مخطوبة ليوسف قبل أن تحمل بالمسيح . ولما وجدت حاملاً أسر في نفسه أن يتركها ولا يشهر بها لأنه كان باراً غامر في منامه بإمساكها لأنها بريئة من الدنس (متى ص 1-20) .

ونشأ يسوع (عيسى) وهو مشهور بأنه ابن يوسف النجار . ويقول برنابا أن مريم اتخذت يوسف النجار عشيراً لها من حين أحست بالحمل ، حيث أن عادة اتخاذ العشير موجودة في اليهود إلى اليوم .

يأتى الشاب إلى الفتاة ويخطبها . وحينئذ يتعاشران بدون اتصال زوجي ويقيمان على ذلك مدة كافية حتى إذا رضيت أخلاقه ورضيها إنما الزواج ودخل بها وعاشرها معاشرة الازواج . وإذا لم يرض أحدهما أخلاق الآخر فسخت الخطبة وذهبت كل منها لسبيله ، كل ذلك ولايكون بينهما اتصال زوجي أصلاً إلا أن يتم الزواج.

ولما حان انفصال جنين مريم ألجأها المخاض إلى جذع نخلة هناك في الموضع الذي فيه مدينة بيت لحم[1] وهي على بضعة من الكيلو مترات من بيت المقدس ويقول البيضاوي أن الزمن كان زمن شتاء والنخلة يابسة وإنما كان مجيئها إليها لتستتر بها أو لتعتمد عليها هنا حسبت مريم ألف حساب وحساب لِمَ هي قادمة عليه من لوم اللائمين من قومها وما سيرمونها به من الفاحشة فقالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً. قال تعالى : " **فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا {23/19}**" مريم: 23 يقول الأستاذ عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء، فلما أتت قومها وعلى يدها عيسى عليه السلام تحمله، ارتاعوا لهذا الحدث النازل والخطب العظيم، وزاد في ارتياعهم ما كانوا يعلمونه فيها من طهارة المنبت وطيب البيئة ونشأة التقوى التي نشأتها، فأخرجهم ذلك إلى الزراية عليها وتفيضها على ما أتت به من أثم في زعمهم،وما قارفت من خطيئة وقالوا لها فيما قالوا: هذه مريم، يراها قومها و وقد أتت بولدها تحمله، فما يصطبرون، وهم اليهود، فيسألونها ويستبينون الحقيقة، بل يطلقونها إشاعة قاتلة: قال تعالى : " **فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا {27/19} يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا {28/19}** " مريم: 27 – 28 وأما تناؤهم على أمها فغير مقصود إنما هو تعريض بها.قال تعالى : " **فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا {27/19} يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا {28/19} فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا {29/19} قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا {30/19}** " مريم: 27 - 30

1 بيت لحم : بالفتح وسكون الحاء المهملة . بليد قرب البيت المقدس عامر حفل فيه سوق وبازارات ومكان مهد عيسى عليه السلام .

ولولا أن السماء دافعت عنها بمعجزة تلوي الأعناق حين تكلم الطفل في المهد لكانت ورطتها مهلكة.

وعن تكلم عيسى بالمهد يقول النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال ((لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريجُ، كان يصلي، جاءته أمه فدعته، فقال: أُجيبها أو أُصلي، فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات، وكان جريجُ في صومعته، فتعرضت له امرأةً وكلّمته فأبى، فأتت راعياً فأمكنته من نفسها، فولدت غلاماً، فقالت: من جريجٍ، فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه، فتوضأ وصلّى ثم أتى الغلام، فقال: من أبوك يا غلام؟ قال: الرَّاعي، قالوا نبني صومعتك من ذهب؟ قال: لا، إلا من طين، وكانت امرأة ترضع ابناً لها من بني إسرائيل، فمر بها رجلٌ راكبٌ ذو شارة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها وأقبل على الراكب، فقالت اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها يمصه – قال أبو هريرة: كأني أنظر إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) يمص إصبعه، ثم مر بأمه. فقالت اللهم لا تجعل ابني مثل هذه، فترك ثديها، فقال: اللهم اجعلني مثلها، فقالت: لِمَ ذاك؟ فقال: الراكب جبَّار من الجبابرة. وهذه الأمة يقولون: سرقت، زنيت، ولم تفعل)).(رواه البخاري : المختصر رقم 3436).

ونحن إذا أوردنا هذه الآيات والمقولات والأحاديث النبوية الشريفة لنوضح دور الإشاعة في التاريخ وتأثيرها على الأنبياء والأشخاص في تلك المجتمعات كيف تحورت حسب الأهواء والرغبات.

المبحث الثالث

إشاعات الجاهلية

(الإشاعات التي روجها اليهود والكفار والمنافقون)

حول خاتم النبيين (صلى اللـه عليه وسلم)

نود التحدث عـن بعـض أخـلاق الرسـول (صـلى اللــه عليـه وسـلم) قبـل البعثة، فهذه خديجة بنت خويلد[1]، كانت امرأة تعمل بالتجارة ذات شرف ومـال، تستأجر الرجـال مـن مالهـا وتضـاربهم إيـاه بشيء تجعلـه لهـم منـه نصـيباً لقـاء أجرهم، فلما بلغها عن رسول اللـه صدق الحديث وعظيم الأمانة وكرم الأخـلاق، أرسلت إليه ليخرج في مالها إلى الشـام يرعـى تجارتهـا وتعطيـه أفضـل مـا كانـت تعطي غيره، ومعـه غلامهـا مـيسرة. وقـد قبـل محمـد (صـلى اللــه عليـه وسـلم) هذا العرض فرحـل إلى الشـام عـاجلاً في مالهـا ومعـه مـيسرة[2]. فحالفـه التوفيـق في هذه الرحلة أكثر من غيرها. وعاد إلى خديجة بأرباح مضاعفة، فـأدى لهـا مـا عليـه في أمانة تامة ونُبل عظيم. ووجـد مـيسرة مـن خصـائص النبـي (صـلى اللــه عليـه وسلم) وعظم أخلاقه ما ملأ قلبه، دهشـة لـه، وإعجابـاً بـه فـروى ذلـك لخديجـة، فأعجبت خديجة بعظيم أمانته، ولعلها دهشت لما نالها من البركة بسببه، فعرضـت

---

1 قالت نفيسة بنت منية : كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن العزى بـن قصي ، امـرأة حازمـة جلدة شريفة ، أوسط قريش نسباً وأكثرهم مالاً ، وكل قومها كان حريصاً على نكاحها لو قـدر عـلى ذلك . قد طلبوها وبذلوا لها الأموال .

2 خرج النبي صلى اللـه عليه وسلم مع أبي طالب وهو ابن اثنتـي عشرة سـنة ، فلـما بلـغ خمسـاً وعشرين سنة قال له أبو طالب : أنا رجل لا مال لي وقد اشتد علينا الزمان ، وهذه عير قومـك قـد حصر خروجها إلى الشام ، وخديجة تبعث رجالاً مـن قومـك ، فلـو جئتهـا فعرضـت نفسـك عليهـا لأسرعت إليك . وبلغ خديجة ما قاله أبو طالب فقالت : أنـا أعطيـك ضـعف مـا أعطـي رجـلاً مـن قومك . فقال أبو طالب : هذا رزق قد ساقه اللـه إليك .

فخرج مع غلامها ميسرة : وجعل عمومته يوصون به أهل العير حتى قد ما بصرى ، مدينـة حـوران – أول مدينة فتحت بالشام . فنزلا في ظل شجرة ، فقـال نسـطورا الراهـب : مـا نـزل تحـت هـذه الشجرة قط إلا نبي . ثم قال لميسرة : أفي عينيه حمرة ؟ قال : نعم لا تفارقه .

فقال : هو نبي ، وهو آخر الأنبياء . ثم باع سلعته فوقع بينه وبـين رجـل تـلاح فقـال لـه : أحلـف باللات والعزى . فقال رسول اللـه : ما حلفت .بهما قط وإني لأمرؤ أعـرض عـنهما . فقـال الرجـل : القول قولك . وكان ميسرة إذا كانت الهاجرة (نصف النهار عند اشتداد الحر). يرى ملكـين يظـلان رسول اللـه من الشمس .

نفسها عليه زوجة بواسطة صديقها نفيسة بنت منيّة[1]، فوافق النبي (صلى اللـه عليه وسلم). وتزوجها عليه السلام وقد كان له من العمر خمسة وعشرون عاماً ولها من العمر أربعون.

أما قصة زواجه (صلى اللـه عليه وسلم) منها، فإن أول ما يدركه الإنسان من هذا الزواج هو عدم اهتمام الرسول (صلى اللـه عليه وسلم) بأسباب المتعة الجسدية ومكملاتها، فلو كان مهتماً بذلك كبقية أقرانه من الشباب لطمع بمن هي أقل منه سناً أو بمن ليست أكبر منه على أقل تقدير. ويتجلى لنا أنه (صلى اللـه عليه وسلم) إنما رغب لشرفها ونبلها بين جماعتها وقومها حتى إنها كانت تلقب في الجاهلية بالعفيفة الطاهرة.

وظل هذا الزواج قائماً حتى توفيت خديجة عن خمسة وستين عاماً، وقد ناهز النبي (صلى اللـه عليه وسلم) الخمسين من العمر، دون أن يفكر خلالها بالزواج بأي امرأة أو فتاة أخرى.

وما بين العشرين والخمسين من عمر الإنسان هو الزمن الذي تتحرك فيه رغبة الاستزادة من النساء، والميل لتعدد الزوجات للدوافع الشهوانية.

ولكن محمداً (صلى اللـه عليه وسلم) تجاوز هذه الفترة من العمر دون أن يفكر بأن يضم إلى خديجة مثلها من الإناث: زوجة أو أمة، ولو شاء لوجد الزوجة والكثير من الإماء، دون أن يخرق بذلك عزماً أو يخرج على مألوفاً وعرفاً بين الناس، هذا على

1 قالت نفيسة بنت منية : أرسلتني خديجة دسيساً (أي سراً) إلى محمد بعد أن رجع من الشام ، فقلت يا محمد : ما يمنعك أن تزوج ؟ فقال ما بيدي ما أتزوج به ، قلت : فإن كفيت ذلك ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب ؟ قال : فمن هي ؟ قلت : خديجة . قال : وكيف بذلك ؟ قلت عليَ . قال : وأنا أفعل : فذهبت فأخبرتها ، فأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها فحضر ، ودخل رسول اللـه في عمومته فتزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة .

الرغم من أنه تزوج خديجة وهي أيم، وكانت تكبره بما يقارب مثل عمره ويضيف هذا ما يلجم أفواه أولئك الذين يأكل الحقد أفئدتهم على الإسلام وقوة سلطانه، من المبشرين والمستشرقين وعبيدهم الذين يسيرون من ورائهم، ينعقون ما لا يسمعون إلا دعاءً ونداءً، فقد ظنوا أنهم وجدوا في موضوع زواج النبي (صلى اللـه عليه وسلم) مقتلاً يصاب منه الإسلام، ويمكن أن يشوه من سمعة محمد (صلى اللـه عليه وسلم) ، وتخيلوا أن بمقدورهم أن يجعلوه عند الناس في صورة الرجل الشهواني الغارق في لذة الجسد العازف في معيشته المنزلية ورسالته العامة عن عفاف القلب والروح. وموضوع زواجه (صلى اللـه عليه وسلم) هو وحده الدليل الكافي على عكس ذلك تماماً. فالرجل الشهوان، لا يعيش إلى الخامسة والعشرين من العمر في بيئة العرب في جاهليتها، عفيف النفس، دون أن ينساق في شيء من التيارات الفاسدة.

وللأسف فقد استمرت هذه الإشاعات إلى يومنا هذا يزيد المر مرارة أن بعض المسلمين تناقلوها وجبلوها مع أفكارهم الضعيفة الضالة، وأخذوا فيها.

أما زواجه بعد ذلك من عائشة[1] ثم من غيرها، فإن لكل منهن قصة، ولكل زواج حكمة قال تعالى : " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللـهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللـهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللـهَ كَثِيراً {21/33}" الأحزاب: 21

1 عائشة بنت أبي بكر الصديق : كانت مسماه لجبير بن مطعم فخطبها رسول اللـه فقال أبو بكر رضي اللـه عنه : دعني حتى أسلها من جبير سلاً رفيقاً . فتزوجها الرسول صلى اللـه عليه وسلم بمكة قبل الهجرة بسنتين ، وقيل بثلاث ، وهي بنت ست سنين ، وبنى بها بالمدينة وهي بنت تسع سنين . وبقيت عنده تسع سنين ولم يتزوج بكراً غيرها .

الرسول (صلى اللـه عليه وسلم) قـدوة للإنسـانية وأي قـدوة. فهـو أعظـم قدوة للإنسانية كلها في تاريخها الطويل، ولقد كان رسول اللـه (صلى اللـه عليـه وسلم) آية من آيات اللـه حيث تجمعت فيه شخوص كثيرة مجتمعـة في شـخص واحـد. وقـد واجـه النبـي (صـلى اللـــه عليـه وسـلم) في بدايـة الـدعوة حمـلات الإشاعات التشكيك، إذ يقول الدكتور أحمد نوفـل عـن إشـاعات الجاهليـة حـول خاتم النبيين (صلى اللـه عليه وسلم) ، أما نبينا (صـلى اللـــه عليـه وسـلم) فقـد واجه منذ بداية الدعوة وطوال الفترة المكية بحملات الإشاعة والتشكيك، واستمر أعداء الدعوة الإسلامية في استخدام هـذا السـلاح في الفـترة المدنيـة وتفننـوا فيـه. وكان الشعر من أهم الوسائل المستعملة في ترويج هذه المفتريات.

وكان مما أطلقت الجاهلية حول المصطفى (صلى اللـه عليـه وسـلم) مـن أكاذيب. تهمه الجنون، فقد كان أبو لهب ومـن جنـدهم لهـذه الغايـة يجلسـون على طرقات القبائل، ويقولون أنهم أعلم بمحمد (صلى اللـــه عليـه وسـلم) ، وأن ما يقوله من كلام، إنما هو ناشئ عن مس جنون. ففي سيرة ابـن هشـام: (ثـم إن قريشاً اشتد أمرهم، للشقاء الذي أصـابهم في عـداوة الرسـول (صـلى اللـــه عليـه وسلم) ومن أسلم معه منهم، فأغروا به سفهاءهم فكذبوه آذوه، ورمـوه بالشـعر والسحر والكهانة والجنون) ويـرد القـرآن الكـريم في أكـثر مـن سـورة عـلى هـذه الفرية، قال تعالى : "**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ {1/68} مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُـونٍ {2/68} وَإِنَّ لَكَ لَأَجْـرًا غَـيْرَ مَمْنُـونٍ {3/68} وَإِنَّـكَ لَعَـلى خُلُـقٍ عَظِـيمٍ {4/68}**" القلم: 1 - 4

قال تعالى : " وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ {51/68} " القلم: 51 ففي العام العاشر من بعثته (صلى الله عليه وسلم) ، توفيت زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وتوفي عمه أبو طالب، يقول ابن هشام: (فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب،حتى إذا اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً. ودخل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بيته والتراب على رأسه فقامت إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول لها لا تبكي يا بنية فإن الله مانع اباكِ).

ولما نالت قريش من النبي (صلى الله عليه وسلم) من الأذى، خرج إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ويرجو أن يقبلوا منه ما جاءهم به من عند الله عز وجل.

ولما انتهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف، كانوا يومئذٍ ساداته، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم من أجله، ولكنّهم كذبوه، وأعرضوا عنه، فردوا عليه رداً منكراً، وفاجئوه بما لم يكن يتوقع من الغلظة وسمج القول. فقام رسول الله من عندهم وهو يرجوهم أن يكتموا خبر مقدمه إليهم عن قريش، فلم يجيبوه إلى ذلك أيضاً. ثم أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، وأخذوا يرمونه بالحجارة حتى أن قدمي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أخذتا تدميان، وزيد بن حارثة[1] يقيه بنفسه حتى لقد شجّ رأسه عدة

---

1 زيد بن حارثة : ابن عبد العزى بن امرئ القيس ، ويقال له زيد الحب . وأمه سعدى بنت ثعلبة ابن عبد عامر ، زارت قومها وزيد معها ، فأغارت خيل في الجاهلية فمروا على أبيات بنى معن فاحتملوا زيداً وهو =

شجاج، ثم التجأ إلى بستان من بساتين الطائف لعتبة بن ربيعة، فرجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد عليه السلام، وقد أنهكه التعب والجراح، إلى ظل شجرة عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه وتوجه إلى الله تعالى بهذا الدعاء: (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيدٍ يتجهمني، أم إلى عدوٍ ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليَّ غضبٌ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن ينزل بي غضبك أو يحلَّ عليَّ سخطك لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك)).

ولما رآه ابني ربيعة صاحبي البستان، تحركت الشفقة في قلبيهما، فدعوا غلاماً نصرانياً لهما يقال له (عداس) فأرسلا إليه قطفاً من العنب في طبق، ولما ابتدأ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يأكل، قال: بسم الله. ثم أكل، فقال عداس معجباً: والله إن هذا الكلام لا يقوله أهل هذه البلاد، فقال له الرسول (صلى الله عليه وسلم): ومن أي البلاد أنت وما دينك؟ فقال: ((نصراني من نينوى))[1]، فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم): ((من قرية الرجل الصالح يونس بن متى)) فقال عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟

=يومئذ غلام ، فوافوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم ، فلما تزوجها رسول الله وهبته له وكان أبوه حارثه حين فقده قال :
بكيت على زيد ولم أدر ما فعل أحى فيرجى أم أتى دونه الأجل وعن محمد بن الحسن بن أسامة بن زيد عن أبيه قال : كان بين رسول الله وبين زيد عشر سنين ، رسول الله أكبر منه ، وكان زيداً رجلاً قصيراً آدم شديد الأدمة في أنفه فطس ، وكان يكنى أبا أسامة . وقال الزهري : أول من أسلم زيد .

قال أهل السير : وشهد زيد بدراً وأحداً والخندق والحديبية وخيبر ، واستخلفه رسول الله على المدينة حين خرج إلى المريسيع وخرج أميراً في سبع سرايا ولم يسم أحدٌ من أصحاب رسول الله في القرآن باسمه غيره .

قتل زيد في غزوة مؤته سنة ثمان وهو ابن خمس وخمسين سنة .

1 نينوى : بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح النون والواو بوزن طيطوى : هي قرية يونس بن متى عليه السلام بالموصل . وبسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى منها كربلاء التى قتل بها الحسين رضي الله عنه .

فقال رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم): ذلك أخي، كان نبياً وأنا نبي، فانكـبَّ عداس على رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) يقبل رأسه ويديه وقدميـه. ثـم انصرف النبـي (صـلى الـلــه عليـه وسـلم) مـن الطـائف راجعـاً إلى مكـة دون أن تستجيب ثقيـف لدعوتـه، وبعـد عـودة الرسـول (صـلى الـلــه عليـه وسـلم)مـن الطائف مهموماً حزيناً، لعدم وجود من ينصره، فكانت مشـيئة الـلــه للتخفيـف من معاناة النبي (صلى الـلـه عليـه وسـلم) مـا لقيـه مـن الكفـار مـن ألمٍ وحـزنٍ فأكرمه بمعجزة الإسراء والمعراج.

ويقصد بالإسراء الرحلة التي أكرم الـلـه بها نبيه الكريم من المسجد الحـرام بمكـة المكرمة إلى المسجد الأقصى بالقدس، أما المعـراج فهـو صـعود النبـي (صـلى الـلــه عليـه وسلم) من المسجد الأقصى إلى السماوات العُلى ثم الوصول بـه إلى حـد انقطعـت عنـده علوم الخلائق من ملائكة وإنس وجن، كل ذلك في ليلة واحدة أما قصة ذلك فهـذا بيـان ذلك: بينما كان الرسول (صلى الـلـه عليـه وسـلم) نائمـاً في مكـة. إذ جـاءه جبريـل عليـه السلام[1]، فأيقظه، وخرج به إلى باب المسجد الحرام. فحمله عـلى دابـةٍ يقـال لهـا الـبراق، وهي دابة فوق حمار ودون بغل، يضع حافره عند منتهى طرفه. فانطلق به، حتى انتهى إلى المسجد الأقصى، وفيها انه (صلى الـلـه عليه وسلم) دخل المسـجد الأقصى فصـلى فيـه ركعتين، ثم أتاه جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن، فاختار النبـي عليـه الصـلاة والسـلام اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة. وفيها انه عرج به (صلى الـلـه عليه وسلم) إلى السماء الأولى فالثانية فالثالثة. وهكذا حتى ذهب إلى سدرة المنتهى وأوحـى الـلــه إليـه عندئـذ

---

1 أخرج أبو الشيخ عن شريح بن عبد الـلـه أن النبي صلى الـلـه عليه وسـلم لمـا صـعد إلى السـماء رأى جبريل في خلقته منظوم أجنحته بالزبرجد واللؤلؤ والياقوت قال فخيل لي أن ما بين عينيـه قـد سد الأفق وكنت أراه قبل ذلك على صور مختلفة وأكـثر مـا كنـت أراه عـلى صـورة دحيـة الكلبـي وكنت أحياناً أراه كما يرى الرجل صاحبه من وراء الغربال .

ما أوحى.. وفيها فرضت الصلوات الخمس على المسلمين، وهي في أصلها خمسون صلاة في اليوم والليلة. ولما كانت صبيحة اليوم التالي، حدّث الرسول (صلى اللـه عليه وسلم) الناس بما شاهد، طفق المشركون يجمع بعضهم بعضاً ليتناقلوا هذا الخبر ويضحكوا منه، فكذبوه وسخروا منه. وتحداه بعضهم أن يصف لهم بقايا بيت المقدس ما دام أنه قد ذهب إليه وصلى فيه، والرسول (صلى اللـه عليه وسلم) حينما زاره لم يخطر في باله أن يجيل النظر ويحفظ أشكاله وعدد سواريه، ولم يكن رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) قد رآه قبل ذلك، فرفعه اللـه تعالى لنبيّه (ص) تكريماً له، فأخذ ينظر اليه ويصفه لهم وصفاً تفصيلياً كما يسألون عن جابر بن عبد اللـه رضي اللـه عنهما: أنه سمع رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) يقول: (لما كذَّبني قريش، قمت في الحجر، فجلا اللـه لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه) أما أبو بكر رضي اللـه عنه فقد حدثه بعض المشركين عمايقوله الرسول (صلى اللـه عليه وسلم) ، رجاء أن يستعظمه فلا يصدقه، فقال (إن كان قال ذلك لقد صدق، إني لأصدقه على أبعد من ذلك).

ومع ذلك لم يصدقوا خبر الإسراء، إنما ازدادوا كبراً وعناداً، وقصدوا من ذلك العمل على تفريق جمع المسلمين لكن الأمر ما زادهم إلا طاعة وتصديقاً للنبي (صلى اللـه عليه وسلم).

وكما قلنا سابقاً بأن النبي (صلى اللـه عليه وسلم) واجه منذ الدعوة وطوال الفترة المكية بحملات الإشاعة والتشكيك ، ومن المفتريات التي أشاعتها الجاهلية على رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم): (الكذب) وهم يعلمون في قراره أنفسهم أن رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) أصدق

الناس وأبرهم بدليل أن أبا سفيان[1] عندما سأله هرقل - كما في الحديث الصحيح - عن رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم): هـل جـربتم عليـه الكـذب؟ قـال: لا فقال هرقل: ما كان ليدع الكذب على الناس ثم يكذب على اللـه. هؤلاء أنفسهم هم الذين أشاعوا عنه الكذب أمام جماهيرهم لأنها لا تملك العقلية نفسـها التـي لدى هرقل حتّى تمحص الحقائق والأخبار.ولقد كان له (صلى اللـه عليـه وسـلم) أثر كبير في حلّ المشكلة التي تسببت عن اختلاف القبائـل حـول مـن يسـتحق أن ينال شرف وضع الحجر الأسـود في مكانـه، فقـد خضـع جمـيعهم لاقتراحـه الـذي أبداه حلاً للمشكلة، علماً منهم بأنه الأمين والمحبوب مـن الجميـع. وهـذا القـرآن الكريم يسجل في هذا الصدد، قال تعـالى : "أَمْ يَقُولُـونَ افْـتَرَاهُ قُـلْ فَـأْتُواْ بِسُـورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللـهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ {38/10}" يونس: 38

وفرية أخرى لصيقة بهذه الفرية هي إشاعة قريش عن الحداد الرومي أنه هو الذي علم محمداً (صلى اللـه عليه وسلم) ما جاء بـه، ولـيس الـذي جـاء بـه وحياً في زعمهم وفي هذا قال تعالى : " وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُـونَ إِنَّمَـا يُعَلِّمُـهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ {103/16}" النحل: 103

1 أبو سفيان : صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بـن عبـد منـاف بـن قصي بـن كـلاب . رأس قريش وقائدهم يوم أحد ويوم الخندق . وله هناتٌ وأمور صعبة ، لكن تداركه اللـه بالاسلام يـوم الفتح فأسلم شبه مكره خائف ، ثم بعد أيام صلح إسلامه . وكـان مـن دهـاة العـرب ، ومـن أهـل الرأي والشرف فيهم ، فشهد حنيناً ، وأعطاه صهره رسول اللـه من الغنائم مئة من الإبل ، وأربعين أوقية من الدر اهم يتألفه بذلك ، ففرغ عن عبادة (هبل) ومال إلى الإسلام .
وشهد قتال الطائف ، فقلعت عينه حينئذ ، ثم قلعت الأخرى يوم اليرمـوك . وكـان يومئـذ يحـرض على الجهاد ، وكان تحت راية ولده يزيد . وكان أسنَ من رسول اللـه بـعشر سـنين . وعـاش بعـده عشرين سنة ، وكان عمر يحترمه ، ذلك لأنه كان كبير بني أمية . توفي بالمدينة سنة إحدى وثلاثين . وقيل سنة اثنتين ، وقيل : سنة ثلاث أو أربع وثلاثين ، وله نحو التسعين .

وكان اللـه سبحانه وتعالى بالمرصاد كما يبـدو مـن خـلال الآيـات السـابقة الذكر فازداد النبي (صلى اللـه عليه وسلم) ثباتاً لا يتأثر بهذه الإشاعات.

وكان من إشاعات قريش ضد النبي (صلى اللـه عليه وسلم) مـا ردده أبـو سفيان والملأ من قريش ثم عامة مكة، وهو زعمهم بأنه ساحر. مدعين أنه يفـرق بين المرء وأهله وعشيرته.

يقول اللـه تعالى في هذه الفرية التـي رددتهـا قـريش وعجبـت مـن حـال أصحابها،

" **وَعَجِبُـوا أَن جَـاءهُم مُّنـذِرٌ مِّـنْهُمْ وَقَـالَ الْكَـافِرُونَ هَـذَا سَـاحِرٌ كَـذَّابٌ {4/38}**" ص: 4

قال تعالى :

" **أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّـذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَـاحِرٌ مُّبِـينٌ {2/10}**" يونس: 2

وجاء في ما يرويه ابن هشام عن ابـن إسـحاق أن عتبـة بـن ربيعـة، وكـان سيداً ذا بصيرة ورأي في قومه – قال في نادي قريش : (يا مـعشر قـريش، ألا أقـوم إلى محمد فأكلمه، وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكـف عنا؟ فقالوا بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلمـه، فجـاء عتبـة حتـى جلـس إلى رسـول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) فقال: يا بن أخي، انك منا حيـث قـد علمـت مـن الشرف في العشيرة والمكانة في النسب، وإنك قد أتيت قومك بـأمر عظـيم فرقـت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم.. فاسمع منـي أعـرض عليـك أمـوراً تنظـر فيهـا لعلك تقبل منها بعضها. فقال له رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم): قل يـا أبـا الوليد، اسمع.

قال يا ابن أخي: إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً. جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وان كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك فيه.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: فاسمع مني. ثم قال : بسم الله الرحمن الرحيم : قال تعالى : " **حم {1/41} تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ{2/41} كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ {3/41} بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ {4/41} وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ {5/41} قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ {6/41}**" فصلت: 1 - 6

ثم مضى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في القراءة وعتبه يسمع حتى وصل إلى قوله تعالى:" **فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ {13/41}**" فصلت: 13 فامسك عتبة بغيه وناشده الرحمة أن يكف عن القراءة، وبذلك خوفاً مما تضمنته الآية من تهديد. ثم عاد عتبه إلى أصحابه فلما جلس بينهم قالوا : ما ورائك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة. يا معشر قريش أطيعوني وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو

فيه فاعتزلوه فو اللـه ليكونن لقوله الـذي سـمعت منـه نبـأ عظـيم فـإن تصبه العرب فقط كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم.

قالوا: سحرك واللـه يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيـي فيـه فاصـنعوا مـا بدا لكم. وكان من جليل حكمة اللـه تعالى أن يقوم مشركوا قريش بسلسـلة مـن المفاوضات مع رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم)، بعـد أن صـوروا في أنفسـهم كل هـذه الاحـتمالات، وهـم أدرى النـاس بطبيعـة دعوتـه والغايـة البعيـدة مـن رسالته وأنه لن ينزل عند شيء من مغرياتهم. ولكن هكذا شـاءت الإرادة الإلهيـة حتى ينطق التاريخ بتكذيب كل من سيأتي من محترفي التشكيك والغـزو الفكـري مع الزمن. وفي رواية أخرى في السيرة: (أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليـه نفـر مـن قريش وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم، فقال لهم: يا معشر قريش، أنـه قـد حضر هـذا الموسـم، وأن وفـود العـرب سـتتقدم علـيكم فيـه، وقـد سـمعوا بـأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيـه فيكـذب بعضـكم بعضـاً ويرد قولكم بعضه بعضاً.

فقالوا: بل أنتم فقولوا أسمع- قالوا: نقـول كـاهن. قـال: لا واللـــه مـا هـو بكاهن، ولقد رأينا الكهان، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه.

قالوا: فنقول مجنون، قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنـون وعرفنـاه، فـما هو بخنقه ولا تخالجه ولا سوسته. قالوا: فنقول شاعر.

قـال: مـا هـو بشـاعر، لقـد عرفنـا الشـعر كلـه، رجـزه وهزجـه وقريضـة، ومقبوضة ومبسوطه، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول ساحر.

قال: ما هـو بسـاحر، لقـد رأينـا السـحار وسـحرتهم، فـما هـو بنفـثهم ولا عقدهم.

قالوا: فما تقول أنت يا أبا عبد شمس؟ قال: والـلـه إن لقولـه لحـلاوة، وان أصله لعذق، وأن فرعه لجناة، وما انتم بقائلين من هذا شيئاً عرف أنه باطل، وأن أقرب القول فيه أن تقولوا ساحر، جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنـه بـذلك، فجعلـوا يجلسـون بسـبل الناس حين قدموا لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره.

لو جئنا نحلل هذا الاجتماع القرشي لوجدنا فيـه عـدة أمـور منهـا، أولاً: إن الإشاعات حول الـدعوة والداعيـة لم تكـن عمليـة عشـوائية، ولكـن عمـل مـنظم مخطط مدروس. وثانياً أنه حتى تهمة السحر لم تحظى بالقبول الكامل منهم بـل وجدت طعناً قوياً، ولكنهم مع هذا ارتضوها، لأنه يمكن إقناع الجمهور بهـا بشـئ من المخادعة والتلبيس.

ثالثاً: أن القيادة الجاهلية لقريش كانت تعلم الحقيقة كاملة، وتعلم يقينـاً أن رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) ليس كما يشيعون عنه ويفـترون، ولكنـه المبرئ من كل نقص وعيب أما عن أول هجرة في الإسـلام، إن رسـول الـلــه (صـلى الـلـه عليه وسلم) لما رأى ما يصيب أصحابه مـن الـبلاء، ولا يقـدر عليـه الصلاة والسلام على أن يحميهم ويمنعهم مما هم فيـه، قـال لهـم: (لـو خـرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهـي أرض صـدق، حتـى يجعـل الـلــه لكم فرجاً مما أنتم فيه).

فخرج عند ذلك المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى اللـه بدينهم، فلما رأت قريش ذلك، أرسلت الى النجاشي[1] عبد اللـه بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص[2] ولم يكن قد أسلم بهدايا مختلفة كثيرة، إليه والى حاشيته وبطارقته، رجاء أن يرفض قبول هؤلاء المسلمين في جواره ويسلمهم.

فلما كلم النجاشي في ذلك، وكانا قد كلما من قبله بطارقته وقدّما إليهم ما جاءا به من الهدايا رفض النجاشي أن يسلم أحداً من المسلمين إليهما حتى يكلمهم في شأن دينهم الجديد هذا. فجيء بهم إليه، ورسولا قريش عنده، فقال لهم: (ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني ولا في دين أحد من الملل)؟

فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب[3]، فقال: (يا أيها الملك: كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء

1 النجاشي : اسمه أصحمة ملك الحبشة معدود في الصحابة رضي اللـه عنهم ، وكان ممن حسن إسلامه ولم يهاجر ، ولا له رؤية ، فهو تابعي من وجه ، صاحبٌ من وجه ، وقد توفي في حياة النبي صلى اللـه عليه وسلم ، فصلى الرسول صلى اللـه عليه وسلم عليه بالناس صلاة الغائب ، ولم يثبت أنه صلى الرسول صلى اللـه عليه وسلم على غائب سواه ، وسبب ذلك أنه مات بين قوم نصارى ، ولم يكن عنده من يصلي عليه ، لأن الصحابة الذين كانوا مهاجرين عنده خرجوا من عنده مهاجرين إلى المدينة عام خيبر . توفي في سنة تسع من الهجرة

2 عمرو بن العاص : ابن وائل الإمام أبو عبد اللـه ، ويقال : أبو محمد السهمي . داهية قريش ورجل العالم ، ومن يضرب به المثل في الفطنة ، والدهاء ، والحزم . هاجر إلى رسول اللـه مسلماً في أوائل سنة ثمان ، مرافقاً لخالد بن الوليد ، وحاجب الكعبة عثمان بن طلحة ، ففرح النبي صلى اللـه عليه وسلم بقدومهم وإسلامهم ، وأمر عمراً على بعض الجيش ، وجهزه للغزو.
له أحاديث ليست كثيرة ، تبلغ بالمكرر نحو الأربعين ، اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة أحاديث منها ، وانفرد البخاري بحديث ، ومسلم بحدثيين ، وروى أيضاً عن عائشة .
ولما توفي النبي صلى اللـه عليه وسلم كان عمرو على عُمان ، فأتاه كتاب أبي بكر بوفاة رسول اللـه . وشهد عمرو يوم اليرموك ، وأبلى يومئذ بلاءً حسناً . وقيل بعثه أبو عبيدة ، فصالح أهل حلب وأنطاكية ' وافتتح سائر قنسرين عنوةً . وقال خليف : ولى عمر عمرو فلسطين والأردن ، ثم كتب إليه عمر ، فسار إلى مصر وافتتحها ، وبعث عمر الزبير مدداً له .
توفي عمرو ليلة عيد الفطر ، سنة ثلاث وأربعين .

3 جعفر بن أبي طالب : السيد الشهيد ، الكبير الشأن ، علم المجاهدين ، أبو عبد اللـه ، ابن عم رسول اللـه ، عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي الهاشمي ، أخو علي بن أبي طالب ، وهو أسن من علي بعشر سنين . هاجر الهجرتين ، وهاجر من الحبشة إلى المدينة ، فوافى المسلمين وهم على خيبر إثر أخذها ، فأقام بالمدينة أشهراً ، ثم أمره رسول اللـه على جيش غزوة مؤته بناحية الكرك ، فاشتشهد ، وقد سر رسول اللـه كثيراً بقدومه ، وحزن واللـه لوفاته . روى شيئاً يسيراً . وروى عنه ابن مسعود ، وعمرو بن العاص ، وأم سلمة وابنه عبد اللـه .
عن نافع ، أن ابن عمر قال : جمعت جعفراً على صدري يوم مؤته ، فوجدت في مقدم جسده بضعاً وأربعين من بين ضربة وطعنة . وعن ابن عباس ، قال رسول اللـه : " رأيت جفعر بن أبي طالب ملكاً في الجنة ، مضرجة قوادمه بالدماء ، يطير في الجنة " . يقال : عاش بضع وثلاثين سنة .

الجوار ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الـلـه إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الـلـه لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم، ونهانا عن الفواحش، فصدقناه وآمنا به، وتبعناه على ما جاء به من الـلـه، فقد بغى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عـن ديننـا ليردونـا إلى عبـادة الأوثان، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، خرجنا إلى بلادك واخترنـاك عـلى مـن سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نُظلم عندك).

فسأله النجاشي أن يتلوا عليه شيئاً مـما جـاءهم بـه الرسـول (صـلى الـلــه عليه وسلم) من عنـد الـلــه، فقـرأ عليـه جعفـر صـدراً مـن سـورة مـريم، فـبكى النجاشي حتى خضلت لحيته، ثم قـال لهـم: (إن هـذا هـو الـذي جـاء بـه عـيسى ليخرج من مشكاة واحدة. ثم التفت إلى رسولي قريش قائلاً: انطلقا، فلا والـلـه لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون).

ثم إنهما عادا فقالا للنجاشي: (أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بـن مـريم قولاً عظيماً. فأرسل إليهم فسألهم عما يقولون). فأرسل إليهم. فقال جعفر بن أبي طالب (نقول فيه الذي جاءنا به نبينا محمـد (صـلى الـلــه عليـه وسـلم)، يقـول: (هو عبد الـلـه وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول).

فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً، ثم قـال: والـلــه مـا عـدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود).

ثم ردَّ إليهما هـداياهما، وعـاد الرسـل إلى قـريش خـائبين وبعـد فـترة مـن الزمن بلغهم إسلام أهل مكة، فرجعوا لما بلغهـم ذلـك حتـى إذا دنـوا مـن مكـة بلغهم أن ما قد سمعوه من إسلام أهـل مكـة باطـل، فلـم يـدخل أحـد مـنهم إلا بجوار، أو مستخفياً. ومما سبق يتبين لنا ظهور إشاعتين، الأولى عندما عـاد رسـولي قريش للنجاشي فقالا أنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، والثانية عندما بلغهم إسلام أهل مكة. فبالإشاعة الأولى وهو قول رسولي قريش للنجـاشي: (أيهـا الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً) فنسـتنتج سـمتين الأولى سـمة الغموض فهي بلا برهان أو مصدر أو دليل واضح. والسمة الثانية، سـمة الأهميـة فهي ذات موضوع مهم بالنسبة للوسط الذي تنتشر فيه، فقد كان النجـاشي عـلى دين عيسى عليه السلام، وكان مخلصاً وصادقاً في نصرانيته.

فلم تجد إشاعات قـريش وكـذبهم ولم تـؤثر في النجـاشي الـذي كـان يعلـم أن محمداً على حق ولذا صلى اللـه عليه وسلم عليه النبي (صلى اللـه عليه وسلم) عند وفاته صلاة الغائب، أما عن الإشاعة الثانية، وهي بلـوغ المسـلمين إسـلام أهـل مكـة، فنستنتج مما يلي حرب نفسية سـابقة لحـرب ماديـة وهـي إمسـاك المسـلمين الـذي هاجروا للحبشة. وهناك قصة شبيه بذلك تلك القصـة التاريخيـة التـي كانـت تـروى عن (تحومس الثالث)[1] أنه عندما أراد فتح يافا في فلسطين، وجد الأمر عسـيراً، ونظـراً لمناعة المدينة وعلو أسوارها. فلجأ إلى الحيلة والخديعـة. حـاول (تحـومس) أن يقنـع

---

1 تحومس : أو تحوتمس : اسم أربعة فراعنة من السلالة 18 . منهم : الثـاني (1520 - 1504 ق.م.) . شـيد بنايـات الكرنـك . الثالـث : (1504 – 1450 ق.م.) مـن أعظـم ملـوك مصر . انـتصر عـلى السوريين في مجدو 1475 . احتل قادش وفينيقيا وبلغ الفرات .

حاكم يافا بمقابلته ليروي له خبراً مهماً. وقبل حاكم يافا بلقاء (تحومس). واجتمع الاثنان وعرض (تحومس) على حاكم يافا. أن (فرعون) يملك عصا سحرية يستطيع بواسطتها أن يغير الأشياء. ومشت الحيلة على حاكم يافا. وطلب من (تحومس) أن يريه العصا السحرية، ووافق (تحومس). إلا أنه اشترط أن يكون لقائهما على انفراد. ولما انفرد (تحومس) بحاكم يافا سدد له ضربة قاضية أودت بحياته، واستطاع (تحومس) بحيلته هذه ضرب كل مقاومة عند أهالي يافا فدخلها منتصراً.

يبين لنا من هذه القصة التاريخية وجود الحيلة والخديعة، كما هو الحال بلوغ المسلمين إسلام أهل مكة، وعندما دنوا من مكة بلغهم أن ما قد سمعوه من إسلام أهل مكة باطل.

وفي سورة أجملت كل ما كانوا يتقولونه عن رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم). يقول تعالى:

بسم اللـه الرحمن الرحيم

"الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ {1/34} يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ {2/34} وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ {3/34} لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ {4/34} وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ {5/34} وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ

الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ {6/34} وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ {7/34}أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ {8/34} أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاء إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ {9/34} وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ {10/34} أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ {11/34} وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ {12/34} يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ {13/34} فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ {14/34}لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ {15/34} فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ {16/34} ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ {17/34} وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ {18/34} فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ {19/34} وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ {20/34} وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن

يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ {21/34} قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ {22/34}وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ {23/34} قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {24/34} قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ {25/34} قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ {26/34} قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاء كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {27/34} وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ {28/34} وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ {29/34} قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ {30/34} وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ {31/34}قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ {32/34} وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {33/34} وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ {34/34} وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ {35/34} قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ {36/34} وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا

زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ {37/34} وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ {38/34} قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ {39/34}وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاء إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ {40/34} قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ {41/34} فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ {42/34} وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ {43/34} وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ {44/34} وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ {45/34} قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ {46/34} قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ {47/34} قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ {48/34}قُلْ جَاء الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ {49/34} قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ {50/34} وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ {51/34} وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ {52/34} وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ {53/34} وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ {54/34}" سبأ: 1 - 54

وهاجر رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) إلى المدينة المنورة، ونجد أن الإشاعة ازدادت وتضاعفت، وصار يديرها ويسهر عليها اليهود أصحاب الخديعة والمكر والشر في العالم. وجندوا لترويجها ألسنة السوء من معسكر النفاق المنبثين في وسط الصف الإسلامي. ولولا تماسك البيئة الاجتماعية الإسلامية، لكان لمكر هؤلاء شأن آخر، ولكن التهذيب الإسلامي للمجتمع وتأكيد الإسلام على وحدة كلمة المؤمنين، وطاعة رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) فوّت على أعداء اللـه أغراضهم. عن النعمان بن بشير رضي اللـه عنه قال: قال رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) : (مثل المؤمنين: في تراحمهم ، وتوادهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضواً تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

قال تعالى : " **مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللـهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا {80/4}**" النساء: 80

قال تعالى : " **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ للهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللـهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللـهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ {1/8}**" الأنفال: 1

قال تعالى : " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللـهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ {20/8}**" الأنفال: 20

قال تعالى : " **يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا {20/33}**" الأحزاب: 20

قال تعالى : " **يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا {71/33}**" الأحزاب: 71

والآيات السابقة تحث على طاعة الله ورسوله: ومما سبق وكما قلنا إن تأكيد الإسلام على وحدة كلمة المؤمنين، وطاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) هي التي فوتت على أعداء الله أغراضهم.

فهذا النبي (صلى الله عليه وسلم) عندما تزوج زينب بنت جحش[1] ، وجد هؤلاء فرصتهم التي لا تضيع أن يزيفوا الحقيقة على الجماهير. فصاروا يشيعون أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) تزوج من امرأة ابنه، أي أنه أتى منكراً هو ينهى عنه، والأعراف تنهى عنه ولا تقره.

ويضيف لقد أحزنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هذه القالة الخبيثة، ووجد منها حرجاً في صدره حتى نهاه الله عن ذلك وأمره أن يمتثل لأمر الله بتزوجها، وأن زواجه منها ليس بأمره هو، عن أنس قال: لما انقضت عدة زينب بنت جحش قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لزيد بن حارثة: اذهب فاذكرني له. فلما قال ذلك عظمت في نفسي فذهبت إليها فجعلت ظهري إلى الباب فقلت: يا زينب بعثني إليك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يذكرك. فقالت: ما كنت لأحدث شيئاً حتى أوامر ربي عز وجل[2].

فقامت إلى مسجدٍ لها فأنزل الله عز وجل هذه الآية:

---

1 زينب بنت جحش بن رئاب : أمها بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الله زوجها رسول الله زيد بن حارثة فلما طلقها زيد بن حارثة تزوجها رسول الله في سنة خمس من الهجرة وكانت من المهاجرات .

2 أخرج البخاري من حديث أنس أن زينب كانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وتقول : زوجكن أهاليكن وزجني الله تعالى من فوق سبع سماوات .

قال تعالى : " وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا {37/33}" الأحزاب: 37 فجاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فدخل بغير إذن (أخرجه مسلم). فكان زواجه منها تشريعاً إلهياً عزز موقف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من هذا الزواج.

ولم يكتفوا بهذا في قصة زينب بل أشاعوا أيضاً أنها وقعت في نفسه (صلى الله عليه وسلم)، وهي زوجة زيد، وكذبوا، إذ هو الذي زوجها من زيد، فلو كان يريد الزواج منها فما يمنعه؟

ولم تنتهي الإشاعات إلى هذا الحد، فهذا حديث الإفك حول السيدة عائشة رضي الله عنها، واتهامها في عرضها، عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن حديث عائشة زوج النبي (صلى الله عليه وسلم) ، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله بما قالوا. وكلّهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت اقتصاصاً. وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني وبعض حديثهم يُصدق بعضاً.

ذكروا أن عائشة زوج النبي (صلى الله عليه وسلم) قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا أراد أن يخرج سفراً أقرع بين نسائه فآيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) معه.

قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة (بنـي المصـطلق)[1] فخـرج فيهـا سـهمي، فخرجت مع رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم)، وذلك بعـدما أنـزل الحجـاب، فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه مسيرنا، حتى إذا فرغ رسول اللـه (صـلى اللــه عليه وسلم) من غزوه وقفل ودنونا من المدينـة أَذَنَ ليلـةً بالرحيـل فقمـت حـين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجـيش فلـما قضـيت مـن شـأني أقبلـت إلى الرحـل فلمسـت صـدري فـإذا عقـدي مـن جـزع ظفـار فقـد انقطـع فرجعـت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي هـودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه.

قالت: وكانت النساء إذ ذاك خفافاً لم يُهبلن ولم يفشهن اللحم، إنمـا يـأكلن العُلقة[2] من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه.

وكانت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعـد مـا استمر الجيش. فجئت منازلهم وليس بها داعٍ ولا مجيـب. فتيممـت منـزلي الـذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إليّ. فبينما أنا جالسـة في منـزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطّل السُلمي[3] ثم الذكواني قد عرس[4] من

---

1 غزوة بني المصطلق وتسمى بغزوة المريسيع ، ذكر ابن إسحاق وبعض علماء السـيرة أنهـا كانـت في العام السادس من الهجرة ، والصحيح الذي ذهب إليه عامة المحققين أنها كانت في شـعبان مـن العام الخامس للهجرة ، ومن ابرز أدلة ذلك أن سعد بن معاذ كان حياً في هذه الغـزوة ، ولـه ذكـر في قصة الإفك . وقد توفي سعد بن معاذ في غزوة بني قريظـة متـأثراً بجرحـه الـذي أصـيب بـه في الخندق ، وقد كانت غزوة بني قريظة سنة خمس من الهجرة . فكيف يكون سعد حيـاً بعـد عـام من وفاته ؟!

وسببها ما بلغ النبي صلى اللـه عليه وسلم من أن بني المصطلق يجمعون له وقائدهم الحارث بن ضرار ، فلما سمع رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء يقال له (المريسيع) . فتزاحم الناس واقتتلوا فهزم اللـه بني المصطلق وقتل من قتل منهم . وقسم رسـول اللـه أربعة أخماس الغنيمة على المقاتلين للراجل سهم وللفارس سهمان .

2 العلقة : أي القليل.

3 صفوان بن المعطل : ابن رخصة بن المؤمل ، أبو عمرو السلمي ، ثـم الـذكواني ، المـذكور بـالبراءة من الإفك . وفي قصة الإفك ، قال فيه النبي صلى اللـه عليه وسلم : " مـا علمـت إلا خـيراً " . وقـد روي له حديثان . قال ابن سعد : أسلم صفوان بن المعطل قبل المريسيع . وكان عـلى سـاقة النبـي صلى اللـه عليه وسلم ، إلى أن قال : مات بسمسياط في آخر خلافة معاوية ، حدثني بذلك محمـد بن عمر .

4 أي النزول آخر الليل في السفر لنوم أو استراحة .

وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فآتاني فعرفنـي حـين رآني وقد كـان يـراني قبـل أن يضرب الحجـاب عـلي فاسـتيقظت باسـترجاعه حـين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي، ووالـلـه ما يكلمني كلمة وما سمعت منـه كلمـة غير استرجاعه، حتى أنـاخ راحلتـه فـوطيء عـلى يـدها فركبتهـا فـانطلق يقـود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موعزين في نحر الظهـيرة فهلـك مـن هلـك في شأني.

وكـان الـذي تـولى كـبره عبـد اللـــه بـن أبي ابـن سـلول. فقـدمنا المدينـة فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهراً والناس يفيضون في قول أهـلِ الإفـك ولا أشـعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول اللـه (صـلى اللـــه عليه وسلم) اللطف الذي كنت أرى منـه حـين أشـتكي. إنمـا يـدخل رسـول اللـــه (صلى اللـه عليه وسلم) فيُسلم ثم يقول: كيف تيكُم؟ .

فذاك يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت وخرجـت معـي أم مسطح قبل المناصع وهو مُبترزنا ولا نخـرج إلا لـيلاً إلى ليـل ، وذلـك قبـل أن تتخـذ الكنف قريباً من بيوتنا وأمرنا أمـر العـرب الأول في التنـزه، وكنـا نتـأذى بـالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مِسطحٍ وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبـد مناف، وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بـن أثاثـه ابـن

عباد بن المطلب[1] فأقبلت أنا وبنت أبي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطحٍ في مِرطها فقالت: تعس مِسطح. فقلت لها بئس ما قلت، أتسبين رجلاً قد شهد بدراً؟

قالت: أي هنتاه أو لم تسمعي ما قال؟ قلت: وماذا قال؟ قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك.

فازددت مرضاً إلى مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل عليَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فسلم ثم قال:كيف تيكم؟ قلت: أتأذن لي أن آتي أبويَّ؟ قالت، وأنا حينئذٍ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما. فأذن لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فجئت أبوي فقلت لأمي: يا أمتاه: ما يتحدث الناس؟ فقالت: يا بُنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر[2] إلا كثرن عليها قلت: سبحان الله، وقد تحدث الناس بهذا؟

قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي.

ودعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) علي بن أبي طالب[3] وأسامة بن زيد[1] حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله

---

1 مسطح بن أثاثة : ابن عباد بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي ، المطلبي المهاجري البدري . المذكور في قصة الإفك . كان فقيراً ينفق عليه أبو بكر . توفي سنة أربع وثلاثين .

2 أي نساء ذلك الزمان ، أي القول في عيبها ونقصها ، لأن أمهات المؤمنين لا يعبنها .

3 علي بن أبي طالب : يكنى أبا الحسن ، وأبا تراب ، أسلم وهو ابن سبع سنين ، ويقال عشر ، ويقال خمس عشرة ، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم . كان أدم شديد الأدمة (أي السمرة) ، ثقيل العينين عظيمها ، أقرب إلى القصر من الطول ، ذا بطن كثير الشعر عظيم اللحية أصلع ، أبيض الرأس واللحية .

= بويع لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة سنة ثلاث وثلاثين ، غداة مقتل عثمان رضي الله عنه . وقد تخلف جمع من الصحابة عن مبايعته : منهم سعد بن أبي وقاص وأسامة بن زيد والمغيرة بن شعبة والنعمان بن بشير وحسان بن ثابت .. وقد كانت أيام خلافته كلها سلسلة من الفتن والحروب والاضطرابات ، ابتدأت =

(صلى الـلـه عليه وسلم) بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسـه لهـم من الود. فقال يا رسول الـلـه هم أهلك ولا نعلم إلا خيراً. وأما علي بن أبي طالب فقال: لن يضيق الـلـه عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تُصدقك.

قالت: فدعا رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) بريـرة فقـال: أي بريـرة، هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟ قالـت لـه بريـرة والـذي بعثـك بـالحق إن رأيت عليها امراً قط أغمضه عليها أكثر مـن أنهـا جاريـة حديثـة السـن تنـام عـن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله؟

قالت: فقام رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) على المنبر فاسـتعذر مـن عبد الـلـه بن أبي ابن سلول، قالت: فقال رسول الـلـه (صـلى الـلــه عليـه وسـلم) وهو على المنبر: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجـل قـد بلغنـي أذاه في أهـل بيتي؟ فوالـلـه ما علمت على أهلي إلا خيراً. وقد ذكروا رجلاً مـا علمـت عليـه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي.

فقام سعد بن معاذ الانصاري[2] فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الـلـه، إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنـا ففعلنـا أمـرك، قالـت:

=بوقعة الجمل ، تلتها وقعة صفين ، والخصومات التي قامت بين جمهور المسلمين ومعاوية ، تلتها فتنة الخوارج التي لم تنته إلا بجريمتهم النكراء ، بمقتل علي رضي الـلـه عنه .

قتله عبد الرحمن بن ملجم ، وهو أحد رؤوس الخوارج ، قتله عام 40 للهجرة عندما خرج كعادتـه يوقظ الناس لصلاة الفجر ، ففاجأه ابن ملجم وضربه بالسيف على قرنـه فسـال دمـه عـلى لحيتـه رضي الـلـه عنه . وقد توفي عن ثلاثة وستين عاماً . وكانت مدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر .

1 أسامة بن زيد : حب رسول الـلـه صلى الـلـه عليه وسلم ، ومولاه . استعمله النبـي صـلى الـلــه عليه وسلم على جيش لغزو الشام ، وفي الجيش عمر والكبار ، فلم يسر حتى تـوفي رسـول الـلــه ، فبادر الصديق ببعثهم ، فأغاروا على أبنى ، من ناحية البلقاء . قال ابن سعد : مات في آخـر خلافـة معاوية .

2 سعد بن معاذ : ابن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، السيد الكبير الشهيد ، أبو عمرو الأنصاري الأوسي الأشهلي البدري ، الذي اهتز العرش لموته . ومناقبـه مشـهورة في الصحاح ، وفي السيرة ، وغير ذلك .

قال ابن شهاب : وشهد بدراً سعد بن معاذ . ورمي يوم الخندق ، فعاش شهراً ، ثم انـتفض جرحـه فمات .

فقام سعد بن عُبادة[1] وهو سيد الخزرج وكان رجلاً صالحاً أجهلتـه الحميـة فقـال لسعد بن معاذ: كذبت والـلـه لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بـن خضـير وهو ابن عم سعد بن معاذ، فقال لسعد بن عُبادة كـذبت، لعمـر الـلــه لنقتلـه، فإنك منافق (قال له ذلك مبالغـة في زجـره عـن القـول الـذي قالـه) تجـادل عـن المنافقين. فثار الحيّان (أي تناهضوا للنزاع والعصبية) الأوس والخزرج حتى همـوا أن يقتتلوا، ورسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) قائم على المنبر فلم يزل رسـول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) يخفضهم حتى سكتوا وسكت.

قالت: وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم. ثم بكيت ليلتـي المقبلة لا يرقأ لي دمـع ولا أكتحـل بنـوم، وأبـواي يظنـان أن البكـاء فـالق كيـدي. فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت عليَّ امرأة من الأنصار، فأذنـت لهـا فجلست تبكي معي. فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسـول الـلــه (صـلى الـلــه عليه وسلم)، فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل لي مـا قيـل، وقـد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني شيء. قالـت فتشـهد رسـول الـلــه (صـلى الـلــه عليه وسلم) حين جلس ثم قال: أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كـذا وكـذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الـلـه عـز وجـل، وإن كنـت ألممـت بـذنبٍ فاسـتغفري الـلـه عز وجل وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب الـلـه عليه.

1 سعد بن عبادة : السيد الكبير الشريف ، أبو قيس الأنصاري الخزرجي الساعدي المدني ، النقيـب سيد الخزرج . له أحاديث يسيرة وهي عشرون بالمكرر . مات قبل أوان الروايـة . روى عنـه سـعيد بن المسيب ، والحسن البصري ، مرسل . كان ملكاً شريفاً مطاعـاً . وقـد التفـت عليـه الأنصـار يـوم وفاة رسول الـلـه صلى الـلـه عليه وسلم ليبايعوه ، وكان موعوكاً ، حتى أبو بكر والجماعة فردوهم عن رأيهم ، فما طاب لسعد . مات بحوران سنة ست عشرة .

قالت: فلما قضى رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) مقالته قلص دمعـي حتى ما أحس منه قطرة. فقلت لأبي: أجب عني رسول الـلــه (صـلى الـلــه عليـه وسلم) فيما قال، فقال: والـلـه ما أدري ما أقول لرسول الـلــه (صـلى الـلــه عليـه وسلم) ؟ فقلت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القـرآن إني والـلــه لقـد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في نفوسكم وصدقتم به فإن قلت لكـم إني بريئة والـلـه يعلم إني بريئة لا تصدقوني بذلك، ولأن اعترفت لكم بأمرٍ والـلـه يعلم أني بريئـة لتصـدقوني وإني والـلــه مـا أجـد لي ولكـم مـثلاً إلا كـما قـال أبـو يوسف:

قال تعالى : " **قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْـتَبِقُ وَتَرَكْنَـا يُوسُـفَ عِنـدَ مَتَاعِنَـا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ {17/12} وَجَـآؤُوا عَـلَى قَمِيصِـهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَالـلـهُ الْمُسْـتَعَانُ عَـلَى مَا تَصِفُونَ {18/12}**" يوسف: 17 - 18

قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي. قالت: وأنا والـلـه حينئـذٍ أعلـم أني بريئة وأن الـلـه مبرئي ببرائتي، ولكن والـلـه مـا كنـت أظـن أن ينـزل في شـأني وحي يُتلى ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الـلـه عز وجل فيَّ بـأمر يـتلى، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الـلـه (صلى الـلــه عليـه وسـلم) في النـوم رؤيـا يبرئني الـلـه بها، قالت: فوالـلـه مـا رام رسـول الـلــه (صـلى الـلــه عليـه وسـلم) مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الـلـه عز وجل عـلى نبيـه (صـلى الـلـه عليه وسلم) فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء[1].

1 الشدة .

عند الوحي حتى إنه كان ليتحدر منه مثل الجُمان من القرق في اليوم الممطر من ثقل القول الذي أُنزل عليه. قالت: فلما سُرى عن رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال أبشري يا عائشة أما اللـه فقد برأك. فقالت لي أمي: قومي إليه فقلت: واللـه لا أقوم إليه ولا أحمد إلا اللـه هو الذي أنزل برائتي، قالت: فأنزل اللـه عز وجل :

قال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ {11/24} لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ {12/24} لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللـهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ {13/24} وَلَوْلَا فَضْلُ اللـهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ {14/24} إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللـهِ عَظِيمٌ {15/24} وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ {16/24} يَعِظُكُمُ اللـهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ {17/24} وَيُبَيِّنُ اللـهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللـهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {18/24} إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللـهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ {19/24} وَلَوْلَا فَضْلُ اللـهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللـه رَؤُوفٌ رَحِيمٌ {20/24}يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللـهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللـهَ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَاللـهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {21/24} وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللـهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا

تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللــهُ لَكُمْ وَاللــهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {22/24} إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ {23/24} يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {24/24}" النور: 11-24

فأنزل اللـه عز وجل هذه الآيات لبرائتي فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره: واللـه لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال.

فأنزل اللـه عز وجل:

قال تعالى : " وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللـهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللـهُ لَكُمْ وَاللـهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {22/24} " النور: 22

فقال أبو بكر الصديق واللـه إني لأحب أن يغفر اللـه لي. فرجع إلي مسطح لنفقته التي كان ينفق عليه وقال لا أنزعها منه أبداً.

قالت عائشة: وكان رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) سأل زينب بنت جحش زوج رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) عن أمري ما علمت أو ما رأيت؟ فقالت: يا رسول اللـه احمي سمعي وبصري، واللـه ما علمت إلا خيراً.

قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي (صلى اللـه عليه وسلم) فعصمها اللـه بالورع وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها فهلكت فيمن هلك.

قال ابن شهاب: فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط. (أخرجه في الصحيحين).

لقد قصدوا بذلك هذه صورة الرسـول (صـلى الـلــه عليـه وسـلم) في نظـر أصحابه فطعنه المنافقون في عرضه، وأي عـرض! إنهـا ابنـة صـاحب أبي بكـر أحـد المبشرين بالجنة، لكنهم لم ينالوا من رسول الـلـه شيئاً فعزز الـلـه سبحانه وتعالى موقف عائشة لما أنزل فيها قرآناً واظهر حقد الحاقدين وثبت رسول الـلــه (صـلى الـلـه عليه وسلم).

إذاً لقد تعرض الرسول (صلى الـلـه عليه وسلم) لأنواع من الإشـاعة، وهـي حرب نفسية في نفـوس المنـافقين المريضـة، لفـرض التـأثير عـلى عقـول وعواطـف الخصم لكي يتصرف وفقاً لما ينسجم وسياسة المستخدم ووفقـاً لخططـه المرسـومة وتحطيم إيمان الخصم بعقيدة وتحطيم الوحدة النفسية للخصم، وهـو مـا حـاول المشركين استخدامه ضد المسلمين فيما ورد سابقاً.

أما عن الإشاعة في الميدان العسكري من حياة الرسـول (صـلى الـلــه عليـه وسلم) ، فبعد غزوة بدر[1] قويت شوكة المسـلمين وعـز شـأنهم، وهـابتهم العـرب، وما كان اليهود ليذروا المؤمنين يحصدون ثمرة الـنصر كاملـة ويسـتثمرون غلبـتهم على قريش في تحصين مواقعهم النفسية، وإلقاء الرعب في نفوس أعـدائهم. ومـن هنـا سـارع اليهـود الى التهـوين مـن شـأن هـذا الانتصـار، والتقليـل مـن قيمتـه العسكري بل والإدعاء بهزيمة المسلمين وتفرق شملهم.

1 غزوة بدر الكبرى : وسببها أن النبي صلى الـلـه عليه وسلم سمع بعير تجارية لقريش قادمة مـن الشام بإشراف أبي سفيان بن حرب ، فندب المسلمين إليها ، ليأخذوها لقاء ماتركوا مـن أمـوالهم في مكة ، فخف بعضهم لذلك وتثاقل آخرون ، إذا لم يكونـوا يتصـورون قتـالاً في ذلـك .وتحسـس أبـو سفيان الأمر وهو في طريقه إلى مكة ، فبلغه عـزم المسـلمين عـلى خـروجهم لأخـذ العـير ، فأرسـل ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة ليخبر قريشاً بالخبر ويستفزهم للخروج محافظة على أموالهم . فبلغ الخبر قريشاً فتجهزوا سراعاً ، كلهم قاصدين الغزو ، حتـى إنـه لم يتخلـف مـن أشراف قـريش أحد ، وكانوا قريباً من ألف مقاتل .

كان للنصر الذي أحرزه المسلمون في بدر آثاره السيئة على نفوس اليهود والمشركين، فما أن سمعوا أنباءه قبل أن يعود المسلمون إلى المدينة، حتى حاولوا إخفاءه وعملوا على التشكيك في إمكان وقوعه، وحاولوا إقناع أنفسهم بعدم صحة ما سمعوا، فقالوا أن محمداً قد قتل وأن أصحابه قد هزموا وأخذوا يؤيدون قولهم بوجود ناقة الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع زيد بن حارثة، وكان الرسول قد بعثه بأخبار النصر الى المدينة. فلما تحقق خبر الانتصار سقط في يد الأعداء، وزادت حسرتهم لما أصبحوا عليه من الهوان والمذلة حتى قال بعضهم : بطن الارض خير من ظهرها.

أما عن غزوة أحد[1]، فقد حرصت قريش منذ نكبتها في بدر على الأخذ بثأرها من المسلمين وصممت على الاستعداد عسكرياً لإستعادة كرامتها وشرفها، وقرر زعماء قريش رصد أرباح قافلة أبي سفيان التي نجت من المصادرة قبل معركة بدر لتغطية معركة الثأر وقد قدر مبلغها خمسين ألف دينار. علاوة على ذلك فقد عمل زعماء قريش على حشد أكبر عدد ممكن من المقاتلين من أجل خوض هذه المعركة لذا فإنهم لم يكتفوا برجال قبيلة قريش وحدها، بل حاولوا إشراك حلفائهم معهم في القتال، فدعوا قبيلة ثقيف وعبد مناه، والأحابيش للمساهمة معهم.

1 غزوة أحد : سببها أن بقية من زعماء قريش ممن لم يقتلوا في غزوة بدر ، اجتمع رأيهم على الثأر لقتلاهم في غزوة بدر ، وأن يستعينوا بعير أبي سفيان وما فيها من أموال لتجهيز جيش قوي لقتال رسول الله (صلعم) . فاجتمعت كلمة قريش على ذلك ، وانضم إليهم أيضاً ممن يسمون بالأحابيش ، واستعانوا بعدد كبير من النسوة كي يمنعن الرجال من الفرار إذا أحدق بهم المسلمون . وخرجوا من مكة وقد بلغوا ثلاثة آلاف مقاتل .

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة في ألف من أصحابه ، وذلك يوم السبت لسبع ليال خلون من شوال على رأس أثنين وثلاثين شهراً من هجرته ، حتى إذا كانوا بين المدينة وأحد انخذل عبدالله بن أبي سلول بثلث الجيش _ وعامتهم من شيعته وأصحابه _ وكر راجعاً بهم وهو يقول : " عصاني وأطاع الولدان ومن لا رأي له ، وماندري علام نقتل أنفسنا؟ " .

وهذه الغزوة لم تخلوا من الإشاعات، ففي أثناء هذه الغزوة أشاعت قريش خبر مقتل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وقد كانوا قتلوا مصعب بن عمير[1] رضي الله عنه وظنوه الرسول (صلى الله عليه وسلم). وتركت هذه الاشاعة آثارها في نفوس الصحابة رضي الله عنهم، يقول تعالى . تعليقاً على موقف الصحابة، وتصحيحاً للتصور في قوله للمؤمنين:

قال تعالى : " **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ {144/3}**" آل عمران: 144

ومن تحليل ما سبق يتبين لنا أن أشاعت قريش خبر مقتل الرسول (صلى الله عليه وسلم)، لغرض زعزعة ثقة المسلمين بأنفسهم وتخويفهم وهزيمتهم، وكما هو معلوم أن الحرب النفسية تتضمن أي عمل من شأنه إجبار الخصم أن يحول رجاله وعتاده من الجبهة النشطة استعداداً لصد هجوم لم يأت.

والمعلوم أن المشركين حاولوا زعزعة نفوس المسلمين بإشاعة مقتل الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فكما قلنا سابقاً أن من أبرز أهداف الحرب النفسية تحطيم الوحدة النفسية للخصم..

---

1 مصعب بن عمير : السيد الشهيد السابق البدري القرشي . قال البراء بن عازب : أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير ، فقلنا له : ما فعل رسول الله ؟ فقال : هو مكانه ، وأصحابه على أثري . قتل يوم أحد ، قال ابن إسحاق : وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله حتى قتل ، قتله ابن قمئة الليثي ، وهو يظنه رسول الله ، فرجع إلى قريش ‘ فقال : قتلت محمداً ، فلما قتل مصعب . أعطى رسول الله اللواء علي بن أبي طالب ، ورجالاً من المسلمين .

فقد حاول المشركين بهذه الاشاعة تحطيم معنويات المسلمين والتشكيك في قدرتهم على المقاومة وخلق روح الاستسلام وعدم الثقة بالنفس عند المسلمين. هذا ما حاول المشركين فعله.

هذا ولقد خاض المسلمون المعركة تحت شعار أمت، أمت واستطاعوا اختراق صفوف المشركين وإجبارهم على التراجع حتى بدا لهم أن النصر قد بات في متناول أيديهم، مما شجع سرية الرماة التي كانت تحمي ظهور المسلمين فوق الجبل على مغادرة مواضعها لمشاركة مقاتلة المسلمين في جني ثمار النصر، وبذلك اختلت خطة المسلمين الحربية مما ساعد المشركين على القيام بحركة التفاف سريعة من خلال الاستيلاء على مواضع الرماة ومحاصرة المسلمين وهكذا فقد انقلب النصر إلى هزيمة، واضطربت صفوف المسلمين وأخذوا يقاتلون من أجل إنهاء المعركة بأقل خسارة ممكنة.

قال تعالى : " **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ {144/3}**" آل عمران: 144

قال في الظلال مُعلقاً على هذه الآية بقوله أنها تشير إلى واقعة معينة حدثت في غزوة أُحد، ذلك حين انكشف ظهر المسلمين بعد أن ترك الرماة أماكنهم من الجبل، فركبه المشركون، وأوقعوا بالمسلمين، وكسرت رباعية الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وشج وجهه، ونزفت جراحه، وحين اختلطت الأمور، وتفرق المسلمون، لا يدري أحدهم مكان الآخر. حينئذٍ نادى منادٍ: أن محمداً قد قُتل. وكان لهذه

الصيحة وقعها الشديد على المسلمين. فانقلب الكثيرون منهم عائدين إلى المدينـة، مصعدين في الجبل منهزمين، تاركين المعركـة يائسـين، لـولا أن ثبـت رسـول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) في تلك القلة من الرجال، وجعل ينـادي المسـلمين وهـم منقلبون، حتى فاءوا إليه.

ومما سبق يتبين لنا أن انكشاف ظهر المسلمين بعد أن ترك الرماة أمـاكنهم من الجبل، فركبه المشركون، وأوقعـوا بالمسـلمين. وكسرت رباعيـة الرسـول (صـلى اللـه عليه وسـلم)، وتفـرق المسـلمون، لا يـدري أحـدهم مكـان الآخـر يتبـين أن الحـرب النفسـية التـي اسـتخدمها المشركـين قـد لاقـت نجـاح في بـادىء الأمـر في تحقيق أغراضها وأهدافها بظـروف الفـوضى والاضـطرابات في صـفوف المسـلمين. ومع ذلك فلم تفلح قريش في بث هذه الإشاعات فالحرب يوم بيـوم فقـد انـتصر محمد (صلى اللـه عليه وسلم) في بدر وما زادته أحد إلا ثباتاً.

المبحث الرابع

الإشاعة في زمن الصحابة رضوان اللـه عليهم

تولى أبو بكر الصديق[1] رضي اللـه عنه أمر المسلمين، وواجه أمور هامة استطاع بإيمانه باللـه والإقتداء بالرسول (صلى اللـه عليه وسلم) أن يتجاوزها ويخرج منها منتصراً وهي، محاربة الممتنعين عن الزكاة، ومحاربة المرتدين عن الإسلام، ومحاربة المتنبئين، وإنفاذ جيش أسامة. وعندما تجمعت هذه المشاكل أمام خليفة رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم)، استشار أصحابه والمسلمين فيما يفعل، فذهب أكثر المسلمين أن لا طاقة لهم بحربِ العرب أجمعين، فذهب البعض الآخر أنه لا داعي للحرب مع مانعي الزكاة ما داموا ثابتين على إيمانهم.

فعن أبي هريرة رضي اللـه عنه قال: لما توفي رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) وكان أبو بكر رضي اللـه عنه، وكفر من كفر من العرب، فقال عمر[2] رضي اللـه عنه: كيف تقاتل الناس؟ وقد قال رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم): (أُمرت أن أُقاتل الناس؟ حتى يقولوا لا إله إلا اللـه، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على اللـه)، فقال:

---

1 أبو بكر الصديق رضي اللـه عنه : اسمه عبد اللـه بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي . اجتمع المسلمون في سقيفة بني ساعدة ، بعد وفاة رسول اللـه ، وتشاوروا فيمن ينبغي أن يخلف رسول اللـه في قيادة المسلمين ورعاية أمورهم ، أجتمعت كلمتهم جميعاً على أن يكون أول خليفة لرسول اللـه من بعده ، أبو بكر رضي اللـه عنه .

وأهم ما قام به أبو بكر في مدة خلافته :

اولاً : تجهيزه وتسييره لجيش أسامة .

ثانياً : جهز الجيوش لقتال أهل الردة ومانعي الزكاة ، وعقد أحد عشر لواء ، وأمر صاحب كل لواء بالتوجه إلى جهة .

ثالثاً : جهز الصديق خالداً إلى العراق ، وبعث معه المثنى بن حارثة الشيباني ، ففتحوا بلاداً كثيره ، وعادوا منتصرين غانمين .

رابعاً : حدثته نفسه بغزو بلاد الروم . وتوجه المسلمون إلى بلاد الروم . واجتمعوا في اليرموك ، وأرسلوا إلى أبي بكر يخبرونه بكثافة جموع الروم ، فكتب رضي اللـه عنه إلى خالد بن الوليد بالعراق يأمره بالتوجه إلى الشام ، وأن يأخذ نصف الجيش المرابط في العراق ليكون ردءاً لجيش أبي عبيدة ، وأن يستخلف على النصف الباقي المثنى بن حارثة ، وأمره أن يتولى جيوش الشام بمجرد أن يصل إليها.

فسار خالد حتى وصل إلى المسلمين في الشام ، ثم التقى المسلمون والروم ، والتحم القتال بينهم ، في سلسلة من المعارك ، دامت مدة من الزمن . وكان نهايتها النصر للمسلمين ، وقتل من الروم عدد كبير .

2 ستتقدم ترجمته .

والـلـه لأقاتلن من فرق بـين الصـلاة والزكـاة، فـإن الزكـاة حـق المـال، والـلـــه لـو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الـلـه (صـلى الـلـــه عليـه وسـلم) لقـاتلتهم على منعها. قال عمر رضي الـلـه عنه: فوا لله ما هو إلا أن قد شرح الـلـه صدر أبي بكر رضي الـلـه عنه بالقتال، فعرفت أنه الحق[1].

وبذلك اسـتقر رأي خليفـة رسـول الـلـــه (صـلى الـلـــه عليـه وسـلم) عـلى الوقوف في وجه هذه المشكل ليعيد من فقد صوابه إلى الصواب مستعيناً بالـلــه، وقد استجاب المسلمين إلى قرار أبي بكر.

فكما قلنا فبعد أن قبض الهادي صلوات الـلـه وسلامه عليه، كـاد أن ينهـار البنيان لولا يقظة الصديق وشدة عمر بن الخطاب[2] رضي الـلـه عنهما الذين عملا جاهدين على توحيد كلمة العرب بين المهاجرين والأنصار في مسألة الخلافة التـي ألهم الـلـه المسلمين فيها الصواب.

فقد أخرج النسائي وأبو يعلى والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال: لما قبض رسول الـلـه (صلى الـلـه عليـه وسـلم) قالـت الأنصـار: منـا أمـير ومـنكم أمـير، فآتـاهم عمـر بـن

---

1 رواه البخاري بالمختصر رقم (1399- 1400).

2 عمر بن الخطاب : بن نفيل بن عبد العزى ، هو أمير المؤمنين عمـر بـن الخطـاب ، لقبـه رسـول الـلـه بالفاروق ، لأنه فرق بين الحق والباطل بويع لـه بالخلافـة في اليـوم الـذي تـوفي فيـه أبـوبكر الصديق كان من أشراف قريش أشتهر قومه بالشرف والمجد ، ولد بعد حادثـة الفيـل بثلاثـة عشرة سنة .

أسلم في السنة السادسة من النبوة ، ولـه سـبع وعشرون عامـاً ، هـذا وإليـه السـفارة في الجاهليـة فكانت قريش إذا وقعت الحرب بينهم أو بينهم وبين غيرهم بعثوه منافراً أو مفاخراً .

هذا وقد سر المسلمون كثيراً بإسلامه ، وبعد إسلامه ظهر الإسلام بمكة وفـرح بـه المسـلمون ، وقـد طلب عمر بن الخطاب رضي الـلـه عنـه إلى النبـي صـلى الـلـــه عليـه وسـلم أن يـأذن لـه بـالجهر بإسلامه أمام قريش فأذن له . روي له عن رسول الـلـه 539 حديثاً .

قتل رضي الـلـه عنه غدراً على يد عبد مجوسي غير مسلم ، يقـال لـه (فـيروز) ويكنـى أبـا لؤلـؤة المجوسي ، إذ طعنه وهو يصلي الفجر ، فاستشهد رضي الـلـه عنـه متـأثراً بجراحـه ، وكـان ذلـك في السنة الثالثة والعشرين للهجرة ، ودفن إلى جانب صاحبيه النبي صلى الـلـه عليه وسـلم وأبي بكـر رضي الـلـه عنه .

الخطاب رضي اللـه عنه، فقال: يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسـول اللــه تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر؟ فقال الأنصار: نعوذ باللـه أن نتقدم أبا بكر.

وأخرج ابن سعد والحـاكم والبيهقـي عـن أبي سـعيد الخـدري قـال: قُبض رسول اللـه واجتمع الناس في دار سعد بن عُبادة وفـيهم أبـو بكـر وعمـر، فقـام خطباء الأنصار، فجعل الرجل منهم يقول: يـا مـعشر المهـاجرين إن رسـول اللــه (صلى اللـه عليه وسلم) كان إذا استعمل رجلاً منكم قرن معه رجلاً منا، فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان منا ومنكم، فتتابعت خطباء الأنصار على ذلك، فقام زيد بن ثابـت[1] فقـال: أتعلمـون أن رسـول اللــه (صـلى اللــه عليـه وسـلم) كـان مـن المهاجرين، وخليفته من المهاجرين، ونحن كنا أنصار رسـول اللــه (صـلى اللــه عليه وسلم)، فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره، ثم أخذ بيد أبي بكر فقال: هذا صاحبكم، فبايعه عمر ثم بايعه في وجوه القوم، فلـم يـرى الـزبير، فـدعى بـالزبير فجاء، فقال: قلت ابن عمة رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) وحواريـه أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال: لا تثريب يا خليفة رسول اللــه فقـام فبايعـه، ثـم نظر في وجوه القوم فلم يرى علياً، فدعا به فجاء فقال: قلت ابن عم رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) وختنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال: لا تثريب يا خليفة رسول اللـه فبايعه.

---

1 زيد بن ثابت : ابن الضحاك ، الإمام الكبير ، شيخ المقرئين ، كاتب الوحي . حدث عن النبي صلى اللـه عليه وسلم وعن صاحبيه ، وقرأ عليه القرآن بعضه أو كله ، ومناقبه جمـة ، وتـلا عليـه ابـن عباس وغير واحد . وكان من حملة الحجة ، وكان عمر بن الخطاب يستخلفه إذا حج على المدينة . هو الذي تولى قسمة الغنائم يوم اليرموك . وقد قُتل أبوه قبل الهجرة يوم بعاث ، فربي زيد يتيماً . وكان أحد الأذكياء ، فلما هاجر النبي صلى اللـه عليه وسلم ، أسلم زيدٌ ، وهـو ابـن إحـدى عشرة سنة فأمره النبي صلى اللـه عليه وسلم أن يتعلم خط اليهود ، ليقـرأ لـه كتـبهم ، قـال : " فـإني لا آمنهم " .

وهكذا اختاروا أبا بكر الصديق رضي اللـه عنه، خليفة للمسـلمين، ليكـون أول خليفة، فعمل جاهداً على توحيد كلمة المسلمين.

فعندما تولى ابو بكر الصديق الخلافة بعد رسول اللـه (صـلى اللــه عليـه وسلم) فأطـل عليـه المتنبئـون برؤوسـهم يعلنـون النبـوة، رأى أبـو بكـر المتنبئـين يدّعون النبوة في شبه الجزيرة العربية، إذ ظن كل مدعي نبوة أنه قـادر عـلى مـا قدر عليه النبي (صلى اللـه عليه وسـلم) في الحجـاز ومـا جـاوره، ولم يعلـم أنهـا رسالة السماء وخاتمة الرسالات السماوية لهداية كافة البشر لخروجهم من الظلال إلى النور.

وقد ظن المدعون أن المسألة مسألة كهانة وأشجاع وأتباع فـنجم في الـيمن مـدعى نبـوة هـو الأسـود العـنسي يلقـب بـذي الخـمار "كـان كاهنـاً يـرى قومـه الأعاجيب ويجذبهم بحلاوة منطقه، ادعى النبوة حين مـرض النبـي (صـلى اللــه عليه وسلم) واتبعته فرجح عامة. وقد قتل في زمن رسول اللـه (صلى اللـه عليـه وسلم)، ونجم في أسد وغطفان طليحة الأسدي، وفي بني حنيفة باليمامة مسـيلمة الكذاب، وفي عُمان كعب بن زرارة، وفي العراق ظهر سـجاح في أخوالهـا مـن بنـي بكر ورهطها من بني تميم. أعلن المتنبئون العصيان والتمـرد عـلى حكـم المدينـة، فقد رفضت القبائل فريضة الزكاة واعتبروها جزية تدفع للمدينة، وأن هذا الدين ليس لهم فيه منفعة إلا الغرم وأنهـم كـانوا يأخـذون مـن كسرى ومـن قـيصر قبـل ظهور الإسلام، فلما فرضت الزكاة دفعوها لرسول اللـه (صـلى اللــه عليـه وسـلم) ولما يدخل الإيمان في قلـوبهم، فلـما تـوفى رسـول اللــه (صـلى اللــه عليـه وسـلم) امتنعوا عن دفعها واعتبروها جزية تأخذها قريش. إذا أمعنا النظر فيما سـبق نجـد

أن كل مدعى للنبوة، وظنه على أنه قادر على ما قدر عليه النبي (صلى اللـه عليه وسلم) في الحجاز وما جاوره، إشاعة وهي عبارة عن قضية مقدمة للتصديق تخلوا تماماً من الصدق، إذ هي إشاعة واضحة هدفها التضليل عن الحق الذي جاء به خاتم النبيين محمد (صلى اللـه عليه وسلم)، وهدف هذه الإشاعة تقديم قضية كاذبة تهدف أن هناك أنبياء بعد النبي محمد (صلى اللـه عليه وسلم) ، وهو ما تهدف عبارات هؤلاء المدعين الكاذبين بأنهم أنبياء، ونسيانهم أنها رسالة السماء وخاتمة الرسالات السماوية لهداية البشر أجمعين.

أما عن الفرائض الأخرى فمنهم من كان يستثقلها على نفسه ومنهم من أنف من السجود وتعاظم أن يسجد لله بجبهته فقال طليحة الأسدي : (إن اللـه لا يُصنع بتعفير وجوهكم فاذكروا اللـه قياماً فإن الصرع تحت الرغوة). وكما قلنا سابقاً لولا إيمان أبو بكر الصديق باللـه وإقتدائه بسنة نبيه محمد (صلى اللـه عليه وسلم) أن يتجاوز هذه الأمور وأن يخرج منها منتصراً.

إذ واجه خليفة رسول اللـه هذه الصعوبات واستطاع هو ومن معه من المسلمين بإيمانهم الخروج من هذه الأمور منتصرين.

ونضرب أمثلة أخرى عن الإشاعة التي أصابت بعض الصحابة، فهذا سعد بن أبي وقاص[1]، الذي أسلم قديماً وهو ابن عشرة سنوات، وقال: كنت ثالثاً في الإسلام. فعن علي، قال: ما سمعت رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) يفدي أحداً بأبويه إلا سعد

1 سعد بن أبي وقاص : الأمير أبو إسحاق القرشي الزهري المكي : أحد العشرة ، وأحد السابقين ، وأحد من شهد بدراً والحديبية ، وأحد السنة أهل الشورى . روى جملة صالحة من الحديث ، له في الصحيحين ، خمسة عشر حديثاً ، وانفرد له البخاري بخمسة أحاديث ، ومسلم بثمانية عشر حديثاً .
عن سعيد بن المسيب ، سمعت سعداً يقول : ما أسلم أحدٌ في اليوم الذي أسلمت ،؟ ولقد مكثت سبع ليال ، وإني لثلث الإسلام .
ومن مناقب سعد أن فتح العراق كان على يدى سعد ، وهو كان مقدم الجيوش يوم وقعة القادسية ، ونصر اللـه دينه ، ونزل سعد بالمدائن ، ثم كان أمير الناس يوم جلولاء ، فكان النصر على يده ، واستأصل اللـه الأكاسرة .

بن أبي وقاص، فإني سمعته يقول لـه في يـوم أحـد: (ارم سـعد، فـداك أبي وأمـي) (رواه البخاري) فهذا الصحابي الجليل تعرض للإشاعة، إلا أن الـلـه سبحانه وتعـالى استجاب دعوته فكانت براءته، أما عن هذه الإشاعة، فعن جـابر بـن سـمره رضي الـلـه عنه قال: شكا أهل الكوفة سعداً رضي الـلـه عنه إلى عمر رضي الـلــه عنـه، فعزله واستعمل عليهم عماراً، فشكوا حتى ذكروا انه لا يحسن يصلّي، فأرسل إليه فقال: يا أبا اسحق إن هؤلاء يزعمون انك لا تحسن تُصلي؟ قال أبـو اسـحاق: أمـا أنا، والـلـه فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الـلـه (صـلى الـلــه عليـه وسـلم) مـا أخرم عنها، أصلي صلاة العشاء، فأركد في الأوليين، وأخف في الآخـريين، قـال: ذلـك الظن بك يا أبا اسحاق، فأرسل معه رجلاً، أو رجالاً، إلى الكوفة، فسأل عنـه، أهـل الكوفة، ولم يدع مسجداً إلا سأل عنه، ويثنون معروفاً، حتى دخـل مسـجداً لبنـي عبسٍ، فقام رجل منهم، يقال له أسامة بن قتادة، يُكنـى أبـا سـعده، قـال: أمـا إذ نشدتنا، فإن سعداً كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية. قال: سعدٌ: أما والـلـه لأدعون بثلاثٍ:" الـلـهم إن كان عبدك هذا كاذباً، قـام ريـاء وسمعة، فاطل في عمره، وأطل فقره، وعرضه بالفتن. وكان بعد إذ سئل يقـول: شـيخٌ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد، قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد، قـد سـقط حاجبـاه على عينيه من الكبر، وأنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمـزهن"[1]. وعـن هشـام بـن عروة عن أبيه أن أروى بنت أويس ادعت على سعيد بن زيـد[2] أنـه أخـذ شـيئاً مـن أرضها فخاصمته إلى مروان بن الحكم فقال سعيد: أنـا كنـت آخـذ مـن أرضـها شـيئاً

1 رواه البخاري بالمختصر رقم (755).

2 سعيد بن زيد: أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، ومن السابقين الأولـين البـدريين ، ومـن الـذين رضي الـلـه عنهم ورضوا عنه . شهد المشاهد مع رسول الـلـه ، وشهد حصار دمشق وفتحها ، فـولاه عليها أبو عبيدة بن الجراح ، فهو أول من عمل نيابة دمشق من هذه الأمة .
له ثمانية وأربعون حديثاً ، فله حديثان في الصحيحين وانفرد له البخاري له بحديث .
وامرأته هي ابنة عمه فاطمة ، أخت عمر بن الخطاب .
أسلم سعيد قبل دخول النبي صلى الـلـه عليه وسلم دار الأرقم .

بعد الذي سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟ قال: وما سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟ قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (من أخذ شبراً من الأرض ظُلماً طوقه إلى سبع أرضين) فقال له مروان: لا أسألك بينه بعد هذا، فقال: اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها في أرضها. قال: فما ماتت حتى ذهب بصرها ثم بينما هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرةٍ فماتت) [1].

إذ لولا ظهور الحق في هذه الإشاعات، لكان لها الأمر السلبي على التاريخ، ولا ننسى قول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه(دولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة) إذاً فهذا هو نهاية الباطل.

فكان حال الصحابة من الإشاعات، كما هو حال النبي (صلى الله عليه وسلم)، والأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين. إلا أن إيمانهم بالله سبحانه وتعالى. والإقتداء بسنة النبي (صلى الله عليه وسلم) هي القادرة على إظهار الحق.

ونستنتج مما سبق أن الإشاعة لم تتوقف على النبي (صلى الله عليه وسلم) بل جاوزت لتجرف الصحابة في هيجان البحر المدمر. لولا ظهور الحق في نهاية المطاف. هذا فلم تفلح أسلحة المنافقين الفتاكة في خلق إشاعة كاذبة حول هؤلاء الصحابة الكرام، فهي إشاعات كاذبة بلا براهين أو دليل واضح. كانت تهدف إلى تحطيم بنية الإسلام وتماسكه. إلا أنها باءت بالفشل الذريع.

---

1 أخرجه مسلم : باب المساقاة برقم 138 – 139 / 140- 141 .

الفصل الثاني

الحروب العالمية ودور الإشاعة فيها

المبحث الأول

الحروب العالمية والإقليمية ودور الإشاعة فيها

نتناول مناطق الحروب في أوروبا وأمريكا وفي منطقة الشرق ونقسمها قسمين:

أولاً: بالرغم من الوعي الكامل والثورة الصناعية الهائلة في دول أوروبا وكذلك أمريكا الشمالية والجنوبية. إلا أن الحروب التي قامت بين تلك الدول بل بين تلك القوميات لم تكن لتخطر على بال. وقد كانت الأسس التي تشتعل بسبب الحروب أسس وأهمية في الغالب. يخترع الحكام لتلك الإمبراطوريات الأعذار والمبررات كي يتدخل جيش قوي لسحق أمة، أو قومية، أو دولة، أو دويلة صغيرة. طمعاً في أرضها وشعبها تحت ذرائع وأهمية ليست من الواقع في شيء. وقد انحصرت المبررات في:

1. الإدعاء بملكية الأرض موضوع الخلاف لأحد طرفي الحرب.
2. الإدعاء بأن هؤلاء عبيد لأولئك.
3. ابتداع فتنة مختلقة تكون مبرراً لحرب تجتاح فيها دولة لدول أخرى.
4. إدعاء حماية أقلية من أصول الدول المعتدية.
5. الإدعاء، بأن الأرض هي جزء من الدول المعتدية.
6. الطمع في ثروات الدولة المعتدى عليها. في ذلك الزمان مثل فحم حجري أو ذهب أو فضة أو ماء أو غير ذلك.
7. الإصرار على الحصول على منفذ بحري يسهل الاتصال مع العالم الخارجي أو الاتصال بالبحار الدافئة كما كانت تعرف سابقاً.

8. لسبب ديني عقائدي مختلفة.

ثانيـاً: الحـروب في المشرق العـربي والإسـلامي: تلـك التـي كانـت سـبباً في صراعات من شقين:

1. عربية – عربية . 2. عربية إسلامية فارسـية. 3.عربيـة رومانيـة.

حيـث ظلـت الرغبـة في العـودة إلى عصر الإمبراطوريـات سـبباً كامنـاً في النفـوس لإعادة أمجاد الدولة الساسانية[1] أو الدولة البيزنطية. وكل ذلـك أدى إلى صراع مـر وقاسٍ مع الإسلامية سواء كانت في المشرق أم في المغرب العربي.

إن جل هذه الحروب كانت حروباً لأهداف شخصية الغـرض منهـا الحكـم وبسط النفوذ. إذا استثنينا عصر الفتوحـات الإسـلامية. وخـير دليـل عـلى التمـزق والترهل هو ما سيطر به الشعوبيون على الدولة العباسية. لتصبح خاصـة أفـرزت دولا كثيرة عنوانها العرق أو الجنس أو القومية.

وإن موضوعنا تجـلى في أبشـع صـورة في الأنـدلس حيـث سرت الإشـاعة في العرب ونخـرت في عظـم هـذه الأمـة مـما جعلهـا نهبـاً إلى كـل مـن انـتقض مـن الأسباب، ليخلص الأندلس من يد العرب الذين اسـتعانوا بأعـداء العـرب والإسـلام ضد بني جلدتهم ظناً منهم أن هذا ينقظهم من الهلاك. إلا أن النتيجـة كانـت أن خرجوا بل أخرجوا من الأندلس ونكل بهم جميعاً.

1 الساسانيون : سلالة فارسية قامت على أنقاض الأرشاقيين الفرئيين ودامـت حتـى الفـتح العـربي ، 224- 651 . كانت عاصمتها المدائن . أسسها أردشير الأول الذي استولى على طيسـفون وقضى عـلى أرطبان الخامس آخر ملك أرشاقي . من ملوكها شابور الأول والثـاني وبهـرام الخـامس وكسرى الأول والثاني . غزت جيوشها أرمينيا وسورية ومصر ، حاربها الروم البيزنطيون . قضى الفـتح العـربي عـلى آخر ملوكها يزدجرد الثالث .

وقد كانـت الإدارة الفاعلـة في إشـعال نـار هـذين الحـربين سـواء الإشـاعة والأطماع الخفية في حينه لكل مـن ألمانيـا وأوروبـا عمومـاً ثـم أمريكـا في الحـرب العالمية الثانية. حيث أدت هاتين الحربين إلى إفناء أكثر مـن 200 مليـون شـخص. فقط لتحقيق طموحات المخططين الإستراتيجيين الذين يعملـون في الخفـاء دومـاً. دون النظر إلى النتائج المـدمرة. إن مـا ينطبـق عـلى الحـروب العالميـة والكونيـة، ينطبق تماماً على الحروب الإقليمية والمحلية.

لقد أبدعت الدول العظمى[1] عبر أجهزة استخباراتها في خلـق الحـروب بـين أبناء الوطن الواحد، وكذلك بين البلد وجيرانه لأسباب أقلها ما فعلته الإشـاعة مـن فعـل في عقـول وقلـوب النـاس بإدعـاءات واهيـة. سـاهمت وبـدون وعـي مـن المستهدفين في دمار شامل للأرض والشعب في تلك البلدان.

1 الدول العظمى : تعتبر الدول العظمى – بموجب القانون الـدولي – الـدول التـي تمتلـك عضـوية دائمة في مجلس الأمن وهذه الدول هي : الولايات المتحدة الأمريكية – روسيا – بريطانيا – فرنسـا – الصين وهذه الدول تملك أيضاً – حق النقض أو ما يسمى الفيتو . هذا مـن الناحيـة السياسـية ، أما من الناحية العسكرية فإن الدول العظمى هي التي تمتلك قنابل ذرية ونووية وصواريخ عـابرة للقارات ، وكذلك الدول التي تستطيع إطـلاق صـواريخ ومحطـات إلى الفضـاء الخـارجي للأغـراض العلمية أو العسكرية .

المبحث الثاني

الحرب النفسية أنواعها وأدواتها:

الوسائل غير العسكرية التي اتخذها أعداء الإسلام عن التمسك بالإسلام مما يتعلق بالعقيدة وما يتصل بها من أفكار وأنماط وسلوك. ويمكن أن يطلق عليه ما يسمى اليوم " الحرب الباردة".

أصبحت الحرب النفسية ظاهرة من الظواهر التي تهتم بها كل النظم السياسية في مختلف دول العالم، لذلك فإن من مواصفات الحرب النفسية أنها تستخدم من قبل الدول وليس من قبل الأفراد. وعلى هذا الأساس تعرف الحرب النفسية كما جاء في قاموس المصطلحات الحربية الصادرة عن وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) عام 1955 م، بأنها: (استخدام مخطط من جانب دولة أو مجموعة من الدول للدعاية وغيرها من الإجراءات الإعلامية التي تستهدف جماعات معادية أو محايدة أو صديقة للتأثير على آرائها وعواطفها واتجاهاتها وسلوكها بطريقة تساعد الدول المستخدمة لهذا المخطط تحقيق سياستها وأهدافها ومصالحها). وقد أطلقت تسميات متعددة وكثيرة على الحرب النفسية منها: الحرب الباردة – حرب الأعصاب – الحرب السياسية وغيرها من المسميات المتعددة.

ويتضح لنا أن الحرب النفسية هي:

1. شكل من أشكال الصراع المبرمج أو المخطط موجه إلى الخصم.

2. الخصم هنا ليس فرداً، بل مجتمع بأسره سواء كان عدواً أو محايداً أو صديقاً.

إلا أن الإسلام بنظر الغرب عدواً.

3. إن الغرض من هذه الحرب هو التأثير على عقل وعاطفة الخصم لكي يتصرف وفقاً لما ينسجم وسياسة المستخدم ووفقاً لخططه المرسومة.

4. إن الحرب النفسية توجه إلى جمهور مجتمع الخصم من العسكريين والمدنيين، حكام ومحكومين، قادة واتباع، وفقاً لما تقتضيه الخطط المرسومة لهذه الحرب.

5. من أبرز أهداف الحرب النفسية تتمثل بتحطيم إيمان الخصم بعقيدته السياسية وتحطيم الوحدة النفسية للخصم، ومواجهة الحملات المضادة من الخصم، وتحطيم معنويات الخصم والتشكيك في قدرته على المقاومة وخلق روح الإستسلام وعدم الثقة بالنفس عند الخصم.

وأما عن نجاح الحرب النفسية في تحقيق أغراضها وأهدافها فهذا يتطلب شروط منها:

1. عدم الاستقرار.

2. الحروب.

3. الانتكاسات.

4. الفوضى والاضطرابات في صفوف الخصم.

أنواع الحرب النفسية:

أولاً: الحرب النفسية الإستراتيجية: وهي الحرب التي تتصل بمخطط يتضمن لإستراتيجية بعيدة المدى.

ثانيـاً: الحـرب النفسـية التكتيكيـة: وهـي الحـرب الـذي يتصـل مخططهـا بأهداف قصيرة المدى ونتلمس هـذه الحـروب النفسـية التكتيكيـة أثنـاء المعـارك العسكرية ما بين الأطراف الدولية.

ثالثاً: الحرب النفسية التعزيزية: وهـي مخطـط للتـأثير في نفسـية الخصـم وتستخدم في الغالب لتعزيز وتثبيت ودعم النصر في الحربين النفسيين السابقين.

أدوات الحرب النفسية:

للحرب النفسية أدوات منها تقليديـة ومنهـا حديثـة. ومـن ضـمن الأدوات التقليدية للحـرب النفسـية: الشـتم والتحقـير مـا بـين الخصـوم، وكـذلك التهـريج والصراخ والأناشيد ودق الطبول أثناء الغـزوات إضـافة إلى الحيلـة والخـداع أثنـاء الغزوات إضافة إلى الحيلة والخداع أثناء الحروب.

ومــن الأدوات الحديثــة القديمــة للحــرب النفســية التجســس والضــغط الاقتصادي والدفاع عن الأقليـات وكسـب مـا يسـمى بالطـابور الخـامس[1] وغسـل الدماغ والإشاعة.

قوله فبالنسبة لغسل الدماغ أو ما يسمى (بغسل المخ) فإنه يمثـل أداة مهمـة في الحروب النفسية. وهي أداة ليست بجديدة، فلقد عرفت كل أمة وفي كل مرحلـة نوعاً من فرض المذاهب والعقائد على مواطنيها. وقـد اسـتخدم تعبـير (غسـل المـخ)

1 الطابور الخامس : يقصد بهذه الكلمة أتباع الدول المتنازعة والمقيمون في أراضي الدولـة الثانيـة ، إذ يبد أون بنشر الشائعات وبث الر وح الإنهزامية لدى الشعوب الأخرى وإثارة نار الفتن الداخلية والتجسـس لمصـلحة بلادهـم ، ويهـدف عنـاصر الطـابور الخـامس إلى إضـعاف الجبهـة الداخليـة ومحاولة إستخدام الرأي العام في تحقيق النصر والضغط على الحكومة للإنسـحاب مـن الحـرب أو الإستسلام .

ويعتبر الطابور الخامس شديد الخطورة في التأثير على الشعب وخصوصاً الشعوب الأميـة أو قليلـة التعليم والغير مثقفة ، إذ أنه في حالة الحرب يجب أن تكـون جميـع الإمكانـات مسخرة لمصـلحة البلد بما في ذلك الجبهة الداخلية التي تعتبر الحصن الأخير للدولة في مواجهة الأخطـار الخارجيـة ، وتعتبر الشائعات السلاح الأول الذي يستخدمه عناصر الطابور الخامس لنصرة بلادهم وتعتبر هذه الطريقة مؤثرة وخطيرة جداً على الشعب قليل الخبرة .

لأول مرة من قبل الصحفي (ادوار هنتر) في ترجمة لكلمة (هس ناو) المستخدمة للإشارة إلى التفسير الصيني (إصلاح الفكر) بصيغة إعادة التشكيل الأيديولوجي.

والأيديولوجية، هي ناتج تكوين نسق فكري يُفسر الطبيعة والمجتمع والفرد وقد برزت مجموعة كان أهمها: الصهيونية[1]، والنازية[2] والفاشية[3] ، والشيوعية [4]، والتطرف. ويرتبط مفهوم (غسل الدماغ) بجهود بعض الشيوعيين لإستمالة غير المؤمنين بالشيوعية. أي برنامج التثقيف السياسي الذي يقوم أساساً على أن الناس الذين لم يتثقفوا في المجتمع الشيوعي لا بد أن يكون لديهم إتجاهات ومعتقدات برجوازية [5]. ومن ثم يجب إعادة تثقيفهم قبل أن يحتلوا أماكنهم في المجتمع الشيوعي. أما عن غسل الدماغ: (غسل المخ، هو أسلوب من أساليب التعامل النفسي يدور حول الشخصية الفردية بمعنى نقل الشخصية المتكاملة، أو ما في

---

1 الصهيونية : حركة المطالبين بوطن قومي لليهود في فلسطين . نشأت في القرن التاسع عشر (19) . وعد بتحقيقها بلفور رئيس وزراء انكلترا "وعد بلفور " 1917م .

2 النازية : إختصار لكلمة (الحزب الإشتراكي الوطني الألماني) الذي تولى الحكم في المانيا (1933-1945 م). وقد أنشأ هذا الحزب الزعيم الألماني (أدولف هتلر 1889- 1945 م) ويقوم مذهب الإشتراكية القومية أو النازية على العنصرية المبالغ فيها ، حيث أنه اعتبر التاريخ ساحة صراع بين السلالات والطبقات العليا والسفلى ، ويرى – أيضاً – أن الشعوب الأرية هي أعلى الجماعات التي تواجه خطر الإختلاط العنصري وتسلط اليهود الذين يعملون على هدم قوة الأمم عن طريق أفكار هدامة وأساليب قذرة . وتهدف النازية إلى توحيد القوى تحت زعامة قوية وإعادة تسليح الأمة وهزيمة العدو الغربي والعمل على سيادة السلالة الألمانية في العالم .

3 الفاشية : هي نظام سياسي يقوم على دكتاتورية الحزب الواحد وتمجيد الدولة وبث روح الحماس والشعور الوطني ، وصيانة النظام والقانون وإحترام الملكية الخاصة وتنظيم النقابات المهنية وإستقبال القوة لتحقيق الأغراض السياسية ، واللجوء إلى الحلول العسكرية بحكم أنها تقوي الشعور القومي وتشجع تضحية الفر د في سبيل المجموعة بحيث لا يمتلك كياناً خاصاً به ، وإنما يستمد وجوده من شخصية الدولة وبقائها وذلك تنفيذاً للمبدأ الفاشي الذي يقول : كل شئ للدولة ، ولاشئ ضد الدولة ، ولاشئ خارج إطار الدولة .

4 الشيوعية : مذهب اجتماعي إقتصادي سياسي يهدف إلى جعل وسائل الإنتاج مشتركة ، كما تهدف إلى توزيع الممتلكات والمنتجات بحيث يصيب كل شخص حاجته منها ، إنطلاقاً من المبدأ الأساسي لهذا المذهب الذي يقول (كلُ بقدر قوته والكل بقدر حاجته) ومن أهم مبادئه القضاء على الطبقة الاجتماعية مع تكليف كل فرد أن يعمل حسب طاقته . وفي عصرنا الحديث بدأت الشيوعية تتلاشى تدريجياً خصوصاً بعد إنهيار الإتحاد السوفيتي من عام 1991 م.

5 البرجوازية : حديثاً تطلق على فئة من المجتمع يمتلكون ثروة بدون أدنى مجهود يذكر ، ويناصرون النظام القائم ، ويفضلون الترف كأسلوب لحياتهم .

حكم المتكاملة الى حد التمزق العنيف بحيث يصبح مـن الممكـن التلاعـب بتلـك الشخصية للوصول بها لأن تصـبح أداة طيعـة في أيـدي المهـيج أو خبـير الفـتن أو القلاقل.

الفصل الثالث

الغزو الثقافي

المبحث الأول

الغزو الثقافي

أولاً: مفهوم الغزو الثقافي:

قال تعالى : "فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللـهُ مَرَضاً وَلَهُـم عَـذَابٌ أَلِـيمٌ بِمَا كَـانُوا يَكْـذِبُونَ {10/2} وَإِذَا قِيـلَ لَهُـمْ لاَ تُفْسِـدُواْ فِي الأَرْضِ قَـالُواْ إِنَّمَـا نَحْـنُ مُصْلِحُونَ {11/2}" البقرة: 10 - 11

قال تعالى : " اللـهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُـونَ {15/2} أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّـلاَلَةَ بِالْهُـدَى فَـمَا رَبِحَـت تِّجَـارَتُهُمْ وَمَـا كَـانُواْ مُهْتَـدِينَ {16/2}" البقرة: 15 - 16

لقد حاول أعداء الإسـلام مواجهتـه بـالقوة العسـكرية، إلا أنهـم أدركـوا أن مواجهة الإسلام بالقوة العسكرية وأساليب القمع لن ولم تحقق لهم التخلص مـن الإسلام، أو حتى الحد في انتشاره، فكانت لهم محاولات عديدة فقـد جربـوا ذلـك في الحروب الصليبية المتكررة في العصور الوسطى والعصر الحاضر، التي اجتاحـت العالم الإسلامي، وكانت النتيجة أنهم لم يفلحوا في ذلك.

وكان إدراكهم كذلك أن الغزو العسكري لديار الإسلام غير مجـدٍ لأنـه كثـير التكاليف المادية والبشرية، فلا بـد إذاً مـن طريقـة أخـرى يـدخلون بهـا إلى ديـار الإسلام، فتوجهوا إلى غزوه ثقافياً وفكرياً وعقلياً.

والاستعمار الغربي الذي هاجم العالم الإسلامي من بضعة قـرون كانـت لـه أهداف مزدوجة، فلقد كان طـامع في خـيرات الشرق الكثـيرة، حيـث يراهـا ميراثـاً لا صاحب له، وهو في الوقت نفسـه مثقـل بضـغائن قديمـة،حيث يكـره الإسـلام،

وأهله كراهية شديدة، ويشتد كرهه للعرب خاصة، فهم قوم محمد صلى الله عليه وسلم وحملة رسالته وما تزال لغتهم مستودع كتابه وسنته [1].

وهم قوم لم تكن لهم دولة ولا حضارة، وكانوا يعيشون على أطلال ذكريات تربطهم بإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، وهم نسب وصهر لهذين النبيين، جمعوا في أنفسهم وفطرتهم بين نقاء الأصل وكرم المعدن وعظمة الاستعداد من جهة أخرى، وبين ضياع الهدف وجاهلية السلوك والاعتقاد والتشريع. من جهة أخرى. وكانوا يتحركون بين هذين النقيضين، فتارة يشهدهم كرم الأصل ونقاء الفطرة وطوراً يقعون في حمأة الجاهلية، وكشف عن استعداداتهم الكامنة ومعادنهم الكريمة.

فقد كان العرب أمه أميَّة قلّ فيهم الحاسب والكاتب، وكانوا بعيدين عن الحضارات العريقة في فارس والروم ومصر، فكانوا كالمادة التي لم تتناولها يد الصانع، فحافظت على أصلها ومعدنها، فالحضارة وان كانت علماً واستنارة وقوة تنظيم، إلا أنها لا تخلوا من تلّوث وتكاثر للألوان والأحوال يغيب معها اللون الأصيل والحال الأول.

---

1 لم يكتف المستشرقون المتعصبون من افتراءات حول ثبوت الرسالة والوحي والكتاب والمعجزة في الإسلام ، بل طفقوا بالتحامل والتطاول وإيراد الشبهات على شخص صاحب الرسالة محمد صلى الله عليه وسلم على اعتبار أن كل شبهة ترد على شخص الرسول صلى الله عليه وسلم هي شبهة على رسالته التي حملها ودينه الذي جاء به للعالمين ، كما أن إثارة هذه الشبهات جزء من مخطط كبير عندهم يهدف إلى عزل الإسلام ورسوله عن حياة المسلمين بخاصة والناس بعامة ، ليحل بدلاً عن ذلك دين الغرب وإباحيته وشخصياته ذات الشهرة بينهم . ومن هذه الشبهات والافتراءات التي أثارها هؤلاء على شخص هذا النبي الكريم ، التشكيك في اسمه والرد على ذلك زعم عدد منالمستشرقين أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن اسمه محمداً بل كانت له أسماء أخرى ومن هؤلاء : (دورمنغم) القائل : " إننا نذكر أن الأسم الأصلي للنبي هو (قثم) ثم تم إجراء تعديل على هذا الاسم بعد ولادته بوقت قصير أو حين بعثته إلى (محمد) الذي هو لقب نبوى ليس أكثر .

والحضارة عطاء لا يخلو من استهلاك وتزيف وإنهاك، ولا سيما كلما أمضت الشعوب في الحضارة (غير الربانية)، فإنها تجد نفسها أمام ركام من الأنماط والعادات، وتتوجه نحو الشهوات والملذات، ويقل في إبنائها عنصر الإقدام والجرأة والتضحية، ويضيف إن العرب لم يُصابوا بعيوب الحضارة، بل كانوا في جزيرتهم كالأرض البكر التي لم يجر عليها المحراث، ولم تزرع، حتى جاء أوان الحرث والزرع، فكان الزراع نبياً رسولاً، علمه ربه. كيف يحرث وكيف يزرع [1].

لقد التقى الاسلام بعقيدته الواضحة وشريعته الكاملة مع العرب، الذين لم يخوضوا تجارب حضارية معقدة قبل ذلك، فكان اللقاء لقاءً فجر طاقات تلك الأمة الوليدة الجديدة.

---

1 فعلى على سبيل المثال اللواط هو جزء من العادات الجنسية لدى الشعوب الغربية ، ليس ذلك وحسب وجزء من ثقافتهم أيضاً صاحبتهم في تطورها على مر العصور واختلاف الأقاليم .
فلقد كانت من بين مضامين الديانة الوثنية الإغريقية ثم الرومانية ، كذلك الفلسفة الإغريقية أصبحت من بين مضامين الفلسفة الحديثة حيث دخلت عند الغربيين في نطاق مايسمى بالحرية الشخصية . إن الشعوب الغربية هم أكثر ميلاً إلى الممارسات الشاذة ، كما نراها وكما نسمع عنهم . لقد ألصق البعض منهم اللوحات بالعرب للتدليل على شهوانيتهم ، وكعادتهم ،لم يقدموا ما يثبت أن العرب كانوا يمارسون اللواط في جاهليتهم ، وما ذلك إلا لأنهم لم يجدوا ما يعينهم على ذلك .فالملاحظ أن العرب على الرغم مما كان لديهم من عادات سيئة في الجاهلية قبل الزواج بأي عدد من النساء ووأد البنات ، وعضل النساء – لم يكن اللواط من بين عاداتهم أبداً ، لالشئ إلا لأنه يتعارض تماماً مع أخلاق البادية ونظرتها للرجولة ومفهومها عن الشرق . كذلك فإن مايقال من أن الفصل بين الرجال والنساء يؤدي إلى ما يسمى بالمثلية الجنسية ،لم يكن معروفاً لديهم ، حيث كانت النساء يظهرن على الرجال أثناء حركة الحياة اليومية ، كما كان الأولاد والبنات يتزوجون في سن مبكرة ، وغالباً حالما يصلون إلى مرحلة البلوغ ، مما كان يتيح لهم إشباعاً طبيعياً لشهوتهم الجنسية.
أما بعد أن أصبح الإسلام دين العرب فإنه لم يرد فيما كتب عن تاريخ المسلمين في المدينة بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إليها ذكر لحادثة لواط واحدة ، على الرغم من أنه ذكر ما وقع من أحداث زنى كالعسيف والكامدية وماعز وغيرهم . وإنما ذكر فقط أن رسول الله نفى شاباً مخنثاً سمعه يصف إحدى النساء وصفاً مكشوفاً . ولقد زعم " رالف لنتون " أن العناية بالقوة الجنسية لدى العرب من البدو أدت إلى إيجاد نظام عاهرات المعابد بصفة منتظمة ، وأنه كان من نتائج ذلك أيضاً تطور موضوع الاتصال الجنسي بين الذكور . وهو خطأ فاحش =أوقعه فيه تعصبه الأعمى، فمن ناحية كان نظام عاهرات المعابد موجوداً في كل الحضارات القديمة ، وقد ذكر هو نفسه هذا ، ومع ذلك لم يقل أبداً أنه وجد هذه الحضارة أو تلك من أجل العناية بالاحتياجات الجنسية القوية للرجال سواء في اليونان ، أو في روما ، أو في الهند أو في هذه البلاد ، ولكنه يتكلم هنا عن العرب ، فيجب أن يكونوا مختلفين ، لماذا ؟ لأنهم أشد شهوانية من غيرهم ! وبالتالي فإن أي نظام يوجد لديهم ينبغي أن يكون من إملاء الشهوانية الشديدة . واتساقاً منه مع هذا المنطق المعوج زعم أنه لما قضى على المعابد وبغاياها لجأ العرب إلى الغلمان ، ولا ندري من أين جاء بهذا الكلام البعيد كل البعد عنه العلم بل والعقل والمنطق ، فليس في التراث العربي الجاهلي ما يؤيده فقد خلا الشعر الجاهلي تماماً من أي إشارة إلى مثل هذا النوع من الاتصال الجنسي ، كما أنه قد خلت من الأخبار التي وردت بكتب المؤرخين المسلمين . ويقول "آدم ميتز " أن الولوع بالغلمان لم يكن له شأن طول العصور التي كانت السيادة فيها للروح العربية .

بالرغم مما كان عليه العرب من فساد في التصور والخلق إلا أنهم كانوا يمتازون من بين سائر الأمم بصفات تؤهلهم لحمل هذه الرسالة العظيمة فقد كانوا مشهورين بالصدق، لا يعرفون الكذب حتى على خصومهم وأعدائهم . وكانوا يعتبرون الكذب معره وعيباً.

وكانوا مشهورين بنصرة الجار وإغاثة اللهفان، وقد بلغ نصرتهم للجار أن وقعت فيهم حرب البسوس، واستمرت سنين طويلة، وكان سببها أن ناقة وطئت فراخ قُبره كانت في أرض أحدهم، وكان يعتبر القُبره مستجيرة به، داخله في عهده وحمايته، فقتل الناقة فاستغاثت صاحبتها برجل آخر كانت في جواره، فقامت حرب يُدافع فيها كل طرف عن قيمة الجوار وإكرام الجار. وحري بهؤلاء أن يُحافظوا على جوارهم، إذا كان هذا الجوار مما يرعاه الله تعالى.

فلما أسلموا وآمنوا كانوا خير جار لمن استجار بهم، فهم يضّحون بالمال والنفس، لا يعرفون شح البخل، ولا هلع الخوف، ولا يحسبون للموت حساباً، ولا يخشون الفقر. وكان كرمهم وتضحيتهم مما يضرب به المثل، فكيف إذا آمنوا بعقيدة تملأ قلوبهم بحبها والتسليم لها، ثم تدعوهم إلى نصرتها والبذل في سبيلها[1].

لقد كانت أكثر الرذائل في حياتهم الاجتماعية فضائل تطرفوا فيها، ولم يتوسطوا، وبالغوا ولم يعتدلوا، فالإسراف تطرف في الكرم، والتهور تطرف في الشجاعة، والظُلم الذي هو تجاوز كل حدود الاعتدال. ثم هم إلى جانب ذلك أهل الطاعة لزعمائهم وشيوخ قبائلهم، أشد أعداء على غيرهم، رحماء بينهم. فلما

1 د. إبراهيم زيد الكيلاني وآخرون – انظر دراسات في الفكر العربي الإسلامي، 13 -12 .

جاء الإسلام أعادهم إلى الوسطية والاعتدال ونقلهم الى مركز الفضائل، فسخروا فضائلهم للحق وأهل الحق. وأحبوا نبيهم (صلى اللـه عليه وسلم) أكثر من أبنائهم، ووجهوا أنفسهم إلى الطاعة والعبادة، فكانوا أكثر الأمم تبعية وارتباطاً بالقيم الجديدة.

أما جاهليتهم فلم تكن جاهلية الكتاب والحساب، وإن قد قل فيهم الكاتب والحاسب، بل كانت جاهلية العقيدة والتصور، فهم مشركون باللـه، إذ لم يكن حظهم من الدين سوى أصنام يخترعونها، ثم سرعان ما يستبدلونها. ويجعلون لها من الهيبة والسلطان ما يشهد على فساد عقولهم وضياع أحلامهم. ولم يكلفوا أنفسهم أن يجعلوا آلهتهم من مادة معقدة، أو يبذلوا عناءاً وجهداً في اختيارها[1].

أما عن النقلة النوعية التي أحدثها الإسلام في العرب، لقد جاء الإسلام وقلع العرب من جاهليتهم وأخذ بأيديهم إلى الهداية، فهذب طباعهم، ونقى فطرتهم، وحملهم أسمى المقاصد وأعظم الأهداف وأبعد الغايات. فصان مادتهم من الضياع تحت أنواع الجاهلية، وخلّصهم من الشوائب التي غيبت أصلهم وضيعت فطرتهم.

جوانب هذه النقلة النوعية في حياة العرب في بعض الأمور على النحو التالي:

1. نقل الإسلام العرب من مرحلة الضلال والحيرة إلى مرحلة المثل الأعلى، وأصبح الإسلام فلسفة وجودهم الفكري والنفسي وبيئتهم الثقافية والمعنوية. ولم يكن الإسلام بالنسبة لهم كالدين عند غيرهم مجرد معتقدات خاصة بالإله

---

1 د . إبراهيم زيد الكيلاني وآخرون - انظر دراسات في الفكر العربي الإسلامي، 13 .

والشعائر، ولكنه كان نظاماً عاماً خضعوا لأحكامه، ونظموا حياتهم على أساسه، وصاغوا منه وجودهم الكلي في العقل والشعور والوجدان وشؤون الحياة.

2. سلَّم الإسلام العرب القيادة الفكرية، داعين مبلغين، والقيادة السياسية حُماة حاكمين.

3. حال الإسلام بمفاهيمه ومبادئه دون ذوبان العرب في الحضارات الأخرى، حتى في أسوأ الأوضاع وعصور الانحطاط [1].

---

1 على سبيل المثال: كان البغاء منتشراً في بلاد الإغريق. فعلى سبيل المثال كانت إحدى مدنها وأسسها ((كورنيت)) تحوي على عشرة آلاف من بائعات الهوى، مع ملاحظة ما كانت المدن تتميز به من عدم الاتساع وقلة السكان. والأغرب من هذا أن الدعارة في اليونان القديمة لم تكن حرفة الإناث فقط وإنما كانت حرفة الذكور أيضاً. وكانت الحكومة تشمل البغاء بحمايتها. وعلى أساس من هذا البغاء بالذات، فنشأت وتطورت نماذج غريبة من نساء يونانيات كن بذكائهن وذوقهن الفني، أعلى من المستوى العام لنساء الأزمنة القديمة. وهكذا كان ينبغي للمرأة أن تصبح من ((الهيثيريات)) لكي تصبح إمرأة حقيقية، وهذا الواقع كان أقسى حكم على العائلة اليونانية. ويضيف ((إنجلز)) إلى ذلك قوله: إن اليونانيين كانوا يقصدون بالهيثيرية، عندما استنبطوا هذا التعبير العلاقات بين الرجال، العازبين منهم والعائشين في زواج آحادي، وبين نساء غير متزوجات، فهذا التعبير يفترض دائماً وجود شكل معين للزواج تقوم خارجه العلاقة المنوه عنها، ويفترض وجود البغاء على الأقل بوصفه أمراً ممكناً.

و((إنجلز)) هنا يعارض ما ذهب إليه ((مورجان)) من أن الهيثيرية ترجع إلى أصول دينية في حين أن انجلز يرجعها إلى نظام الزواج الآحادي ويقول إنها كانت مزدهرة بأكثر فأكثر إلى بغاء سافر. إن هذه الهيثيرية تنجم، عند ((مورجان)) مباشرة من الزواج الجماعي، من مجامعة الغرباء التي كانت النساء يشترين بها حقهن في العفاف. لقد كانت المجامعة من أجل المال عملاً دينياً في البدء وكانت تجري في معبد آلهة الحب، وكان المال يعود في البدء إلى خزينة المعبد، فإن الهيرودول، وهم فئة من العبيد والإماء التابعين للهيكل وهن خادمات ((أنائيس)) في أرمينيا، وخادمات ((أفروديت)) في كورنثيا كن أولى البغايا.كانت مجامعة الرجال الغرباء في البدء واجب كل إمرأة، ثم غدت من نصيب هؤلاء الكاهنات وحدهن، كأنما ما قاله ((انجلز)) أو ما قاله ((مورجان)) فإن الثابت أن البغاء كان جزءاً لا يتجزأ من الحياة الإغريقية، وظل كذلك بالنسبة لمن خلفوهم ابتداء من الرومان وإلى وقتنا هذا.

البغاء لدى المصريين القدماء: لم يرد فيما خلفه المصريون القدماء من آثار شيء يشير من بعيد أو من قريب إلى وجود بيوت تمارس فيها الدعارة، في أي عصر من عصورهم، وأغلب الظن أنهم لم يعرفوه. والراجح أن الإغريق كانوا أول من أدخل البغاء إلى مصر، وذلك في أعقاب هجرة الكثيرين منهم إليها وإقامتهم فيها. وكانت أشهر بغي إغريقية عرفت في مصر هي ((رودوبيس)) وذلك أثناء حكم الفرعون ((احموسي)) الذي يسميه الإغريق ((امازيس)) ويقول عنها ((هيرودوت)) إن أصلها من ((ثرافيا)) وكانت عبدة لإيدامون بن ((هيفايستوبولس)) وهو من جزيرة ((سامسوس)) وكانت زميلة في الرق لإيزوبوس رواية الخرافات لأن هذا كان عبداً لإيدامون. وصلت ((رودوبيس)) مصر حيث أحضرها ((كسانثوس الساموسي)) ولما كان مجيئها بقصد التكسب أعتقها ((خراكسوس الميتيليني)) وهو ابن ((سكاماند رونيموس)) وأخو الشاعرة ((سافو)) لقاء ثمن باهظ. وهكذا تحررت ((رودوبيس)) وبقيت في مصر ولما كانت في منتهى الجاذبية (معنى اسمها ذات الوجه الوردي) أحرزت ثروة كبيرة كافية لها. ولكنها ليست بالثروة الطائلة التي تكفي لبناء هرم، كما ادعى بعض اليونانيين زمن زيارة هيرودوت لمصر وهو ما نفاه، ودلل على عدم صحته وقال: إنه من الممكن لكل من يشاء – حتى يومنا هذا – أن يعرف عشر ثروتها فلا ينبغي أن ننسب إليها ثروة طائلة. فقد أرادت ((رودوبيس)) أن تخلف لها أثراً في بلاد اليونان فأمرت بصنع شيء لم يكن لغيرها أن يفكر فيه أو يقدمه للمعبد ، ووهبته لدلفي تذكاراً لها . وبعشر ثروتها.

4. نقل الإسلام العرب إلى الطور النهائي من أطوار الأمم، بأن حملهم المسؤولية العالمية، فنقلهم من مسؤولية القبيلة إلى مسؤولية العالم دفعةً واحدة، علماً بأن هذه النقلة تحتاج في الأحوال العادية إلى مئات السنين[1].

أما النقلة التي أحدثها هذا الفكر في الحياة الإنسانية فهي نقلة فريدة متميزة لم يحدث مثلها في تاريخ البشرية حتى حُق لنا أن نقسم تاريخ العالم إلى عهدين: عهد ما قبل القرآن الكريم، وعهد ما بعد القرآن الكريم، أما جوانب هذه النقلة على سبيل المثال، لا الحصر.

1. النقلة في المعرفة: كانت المعرفة الإنسانية قبل الإسلام تُستمد من الحواس والعقل، وتسيطر عليها الخرافات والأساطير وأقوال الكُهان والعرافين والضرب بالرمل، والنظر في النجوم. وأما دور العقل فكان يغلب عليه الجانب الفلسفي حيث يُرسل الفيلسوف عقله دونما ضوابط. فبدأ العقل يهرف بما لا يعرف ويقول بما لا يعقل.

لقد جاء الإسلام فقرر أن للمعرفة الإنسانية قنوات ثلاث: أولها: الوحي، وثانيها: العقل، وثالثها: الحس. وجعل الوحي مهيمناً على الوسائل الأخرى، لأنه لا يضل كما تضل، ولا يخطئ كما تخطئ.

2. النقلة في العقيدة: انتقلت الإنسانية بهذا الفكر من العقيدة السلبية والحياة والإنسان، فالفكر الإنساني عن الإله قبل الإسلام كان لا يعدو تصّور الإله حجراً

1 د . إبراهيم زيد الكيلاني وآخرون – انظر دراسات في الفكر العربي الإسلامي، 126.

أو حيواناً أو شجراً، وإذا ارتقى جعله شمساً أو قمراً، وإذا ارتقى أكثر جعله ثلاثة في واحد، وأدخل الإلهيه في الإنسان، والإنسان في الإلهية.

والفترات التي عرفت فيها البشرية التوحيد الخالص كانت فترات قصيرة تنتكس البشرية بعدها في حمأة الشرك والصنمية، وبمجيء القرآن الكريم استمر التوحيد، واستقر إلى أن تأتي الساعة.

3. النقلة في الأخلاق: الأخلاق قبل الإسلام كانت ميداناً للتفكير الفلسفي وكانت النظرة إليها إما مستمدة من النظرة القائلة بأن الحياة المادية هي كل شيء، ولا شيء بعدها[1].

وبناءاً على هذه النظرة فعلى الإنسان أن يعب من شهوات هذه الحياة، وأن يستخدم الأخلاق مطية للإكثار من الملذات، وإما مستمدة من النظرة الثانية التي ترى أن هذه الحياة لا شيء يُذكر وليس لها حقيقة، بل هي خيال، ولذلك فإن على الإنسان أن يعتزل ما فيها من متع وشهوات ويقضي عمره في الحرمان والآلام، حتى يصل الى الحياة الأخرى التي قد تكون طوراً راقياً من أطوار الدنيا، أو حياة وراء هذه الدنيا. وهناك أخلاق تحكمها النزوات والتسلط والجبروت، وما على الإنسان إلا أن يكيف حياته وفق رغبات غيره، ثم جاء الإسلام بمنظومته الأخلاقية التي خلصت البشرية من شطحات الفلاسفة ونزوات الجبارين والمستهترين.

1 ما تزعمه الحضارة الغربية.

4. النقلة في التشريع: لم يعرف العالم قبل الإسلام نظاماً يتصف بالعموم والصلاحية الدائمة، وكان أرقى التشريعات التي وصل إليها الإنسان التشريع الروماني، وهو تشريع غير منطقي في كثير من نصوصه. ويكفي لإثبات سذاجته أنه كان يحاكم الجماد والحيوان، وينزل بهما العقوبة. وكانت المحاكم تقدم الحجارة والأتربة للمحاكمة، ثم تأمر بإبعادها وطردها خارج البلاد وغيرها من العقوبات. حتى جاء الإسلام بتشريعه للفرد وللجماعة وللدولة، وهو تشريع يلبي حاجة الإنسان أبد الدهر، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

هذا وقد قلنا أن الاستعمار الغربي كان يكره الإسلام وأهله كراهية شديدة، فلما واتته الفرصة ووضع يده على أقطارهم شرع بضرب الإسلام بقوة ومكر وانطلقت طلائع الغزو الثقافي تطارد الدين المغلوب أهله على أمرهم، في جميع الميادين الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتعليمية، وأفلحت في تكوين أجيال تنظر إلى ماضيها كله على أنه أنقاض أو مخلفات ينبغي أن تختفي ليحل محلها البناء الجديد الذي وضع الغرب حقيقته وصورته، وذلك عن طريق الاشاعات الكاذبة حول هذا الدين الحنيف.

وقبل التطرق للحديث عن أهداف الغزو الثقافي، وأساليبه، وكيفية مواجهته، لا بد لنا من تعريفه.

الغزو الثقافي: عملية إقحام تراث وفكر وثقافة أمة من الأمم على أمة أخرى بعد عملية التشكيك ليحل مكان فكرها ومعتقداتها السائدة فيها.

ثانياً :أهداف الغزو الثقافي:

1- القضاء على الإسلام وتمزيق المسلمين وعزلهم عن دينهم وتراثهم وثقافتهم:

أدرك أعداء الإسلام أن الإسلام خطر عليهم فهو يهدد الغزاة الطامعين في عقر دارهم فتوجسوا خيفة من القرآن العظيم، ومن وحدة المسلمين، ومن نظام الإسلام، وأدركوا أن القوة كامنة في مصادر ديننا العظيم.

ونتلمس ذلك من بعض أقوال الحاقدين على الإسلام. قال (البر مشادور): (من يدري؟ ربما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الغرب مهددة بالمسلمين، يهبطون إليها من السماء لغزو العالم مرة ثانية، وفي الوقت المناسب).

ويتابع: (لست متنبئاً، لكن الإمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة، ولن تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها. إن المسلم قد استيقظ، وأخذ يصرخ: ها أنا ذا، إنني لم أمت، ولن أقبل بعد اليوم أن أكون أداةً تسيرها العواصم الكبرى ومخابراتها).

وقد قال المستشرق والمبشر (لورانس براون): (إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا لعنةً على العالم وخطراً، وأمكن أن يصبحوا نعمةً له أيضاً، أما إذا بقوا متفرقين، فإنهم يظلون حينئذٍ بلا وزنٍ ولا تأثير).

ويكمل حديثه فيقول: (يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين ليبقوا بلا قوة ولا تأثير).

هذا وقد قال الحاكم الفرنسي في الجزائر في ذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر: (إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن، ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم).

وقال المبشر (أتاكلي): (يجب أن نستخدم القرآن الكريم وهو أمضى سلاح في الإسلام ضد الإسلام نفسه، حتى نقضي عليه تماماً: يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً) [1]. ومن هذا المنطق كانت مخططاتهم لمحاربة الإسلام، ونزع القرآن العظيم من صدور أبنائِه والقضاء على كل وحدة بين أبناء المسلمين.

2- منع الاسلام من الانتشار خارج ديار المسلمين:

من استراتيجية الأعداء محاولتهم محاصرة الإسلام داخل ديار المسلمين وان يعملوا بكل الوسائل والطاقات لوقف انتشاره خارج دياره، حتى لا يتأثر الناس من غير المسلمين به.

3- التمهيد للاستعمار في صوره المختلفة:

1 ان المستشرقين عزَ عليهم أن يتركوا هذا الكتاب العزيز من غير أن يفتروا عليه الكذب كعادتهم مع بقية أركان الإيمان في الإسلام محاولين زعزعة الاعتقاد في صحته وهادفين إلى إبطال القول بأنه من وحي السماء إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .
ويمكن أن نجمل أشهر أقوالهم في هذا الأمر :
1- إن القرآن الكريم من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنه قد استعان في هذا التأليف ببعض اليهود والنصارى .
وقد أصبحت مقولة تأليف محمد صلى الله عليه وسلم للقرآن مشهورة بين المستشرقين لدرجة أن أحدهم وهو (جورج سيل) صرح في إحدى ترجماته للقرآن والتى جاءت لأول مرة عام 1734 م بعنوان (القرآن) أو قرآن محمد بأن هذا الأمر – حقيقي – ولايقبل الجدل وأن محمداً هو المحتال الرئيس في تأليفه وإن كان قد تلقى عوناً من الآخرين – أي في خطة تأليفه له .
2- كما قالوا : إن هذا القرآن ليس فيه جديد يخالف به محمد اليهود والنصارى بل إن مادته المستعملة في تفسير تعاليمه موجودة في الكتاب المقدس قبله .

الغزو الثقافي، وإن كان لا يعتمد على المواجهة، ولا يستخدم القوة المباشرة كما في حالة الغزو العسكري. لكنه مع هذا أعظم خطراً وأجدى على الغزاة من نواحٍ كثيرة نذكر منها[1]:

1. يفقد المستهدفين بالغزو حالة الانتباه إليه والاستعداد له.

2. يتفادى جميع أسباب المقاومة التي يمكن أن يتعرض لها في حالة المواجهة.

3. قليل التكلفة على الغزاة، بينما نتائجه وآثاره أبعد مدى من نتائج أي غزو عسكري، وتعليل ذلك أن الغزو العسكري تنتهي آثاره بانسحاب قوات الاحتلال، أما الغزو الثقافي يبقى مع الناس لأنه يستعمر العقول والقلوب.

4. وسائل الغزو العسكري بشعة ومنفردة قوامها الدم والتضحيات والخراب، بينما وسائل الغزو الثقافي خادعة.

ولقد كانت هناك طرق عدة اتخذوها في تحقيق أهدافهم ومن أهم تلك الطرق:

الشق الأول (أ). نشرالأباطيل حول شريعة الإسلام ومهاجمتها : ومن هذه الأباطيل الزعم بأن القرآن الكريم لم ينزل على نبينا محمد (صلى اللـه عليه وسلم) من عند اللـه تعالى، ولكنه افتراه وتقوله، وهذه الفرية قديمة نطقت بها أفواه المشركين منذ صور الدعوة الأولى، ورد عليها القرآن الكريم.

كما زعموا كذلك أن الإسلام ليس سوى إقتباس من كثير من الشرائع والديانات السابقة[2].

---

1 عزمي طه السيد وزملائه: الثقافة الاسلامية، 184.

2 د. م. ن ، 184.

(كان يتصدر العالم آن ذاك دولتان اثنتان، تتقاسمان العالم المتمدن هما: فارس والروم، ويأتي من ورائهما اليونان والهند).

أما فارس فقد كانت حقلاً لوساوس دينية فلسفية متصارعة مختلفة، كان فيها الزرادشتية [1] التي اعتنقها ذوو السلطة الحاكمون، وكان من فلسفتها تفضيل زواج الرجل بأمه أو ابنته أو اخته، حتى ان يزد جرد الثاني الذي حكم في أواسط القرن الخامس الميلادي تزوج بابنته. هذا إلى جانب انحرافات خلقية مشينة مختلفة.

وكان فيها (المزدكية)[2] التي قامت كما يقول الامام الشهرستاني على فلسفة اخرى هي حل النساء وإباحة الأموال وجعل الناس شراكة فيها كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ، وقد حظيت هذه الدعوة باستجابة عظيمة لدى أصحاب الرعونات والأهواء وصادفت لديهم قبولاً عظيماً).[3]

(وأما الرومان، فقد كانت تسيطر عليها الروح الاستعمارية، وكانت منهمكة في خلاف ديني بينها من جهة وبين نصارى الشام ومصر من جهة أخرى، وكانت تعتمد على قوتها العسكرية وطموحها الاستعماري في مغامرة عجيبة من أجل تطويرها للمسيحية والتلاعب بها حسبما توحي به مطامعها وأهواؤها المستشرقية.

---

1 زرادشت : (ت نحو 583 ق.م) : نبي الفرس الأقدمين ومصلح ديانتهم الأولى . من أتباعه الأخمينيون والساسانيون .

2 مزدك : داع فارسي ظهر في أواخر القرن الخامس . دعا إلى إصلاح ديني وثورة اجتماعية وبشر باشتراكية الأموال والنساء . انتشرت دعوته في عهد قباذ الأول ونتج عنها اضطرابات وفتن نحو (529) فأعدمه كسرى أنوشروان وأعاد الزرادشتية. مذهبه المزدكية المخالفة للمزدية التي أصلحها زرادشت .

3 د. محمد سعيد البوطي – انظر فقه السيرة النبوية، 25- 24 نقلاً عن الشهرستاني : الملل والنحل، 2/ 87-86.

ولم تكن هذه الدولة في الوقت نفسه أقل انحلالاً من دولة الفرس، فقد كانت تسودها حياة التبذل والانحطاط والظلم الاقتصادي من جراء كثرة الاتاوات، ومضاعفة الضرائب)[1]، (أما اليونان فقد كانت غارقة في هوسات من خرافتها وأساطيرها الكلامية التي مُنيت بها دون أن ترقى منها إلى ثمرة أو نتيجة مُفيدة).

وأما الهند، فقد كانت غارقة كما ينقل لنا الدكتور محمد البوطي عن الاستاذ أبو الحسن الندوي: أنه قد اتفقت كلمة المؤلفين في تاريخها أن أحط أدوارها ديانة وخلقاً واجتماعا ذلك العهد الذي يبتدىء من مستهل القرن السادس عشر الميلادي، فقد ساهمت الهند مع جاراتها وشقيقاتها في التدهور الأخلاقي والاجتماعي ، وينبغي أن نعلم أن القدر المشترك الذي أوقع هذه الأمم المختلفة فيما وقعت فيه. من انحلال واضطراب وشقاء، انما هو الحضارة والمدنية اللتان تقومان على أساس من القيم المادية وحدها دون أن يكون ثمة مثل أعلى بعقود هذه الحضارة والمدنية في سبيلهما المستقيم الصحيح، ذلك أن الحضارة بمختلف مقوماتها ومظاهرها ليست سوى وسيلة وسبب.

أما عن الجزيرة العربية فقد كانت هادئة، بعيدة بل منعزلة عن مظاهر هذه الاضطرابات كلها. فلم يكن لدى أهلها من الترف والمدنية الفارسية ما يجعلهم يتفننون في خلق وسائل الانحلال وفلسفة مظاهر الإباحية والانحطاط الخلقي ووضعها في قوالب من الدين، ولم يكن لديهم من الطغيان العسكري الروماني ما

---

1 د.م.ن، 25.

يبسطون بـه أيـديهم بالتسـلط عـلى أي رقعـة مـن حـولهم، ولم يؤتـوا مـن تـرف الفلسفة والجدل اليوناني ما يُصبحون به فريسة للأساطير والخرافات).[1]

فإذا كان هذا حال الأمم قبـل الاسـلام، فنقـول لمـن زعمـوا أن الاسـلام هـو اقتباس من كثير من الشرائع والديانات السابقة، فكيف يكون هذا الدين الحنيف الذي أخرج الناس من الظلمات الى النور، واخراجهم من ممات العقـول والقلـوب إلى إحياء العقول والقلوب، هذا وكما يقول الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني وزملائه، (لم يجد الانسـان كرامتـه وسـعادته كـما وجـدها في الحضـارة الاسـلامية، حضـارة الانسان بحق، فليست حضـارة الرعـاع، ولا حضـارة الإنسـان الأبـيض، ولا حضـارة الدماء الزرقاء، ولقد عاشت البشرية قبـل الحضـارة الاسـلامية في مأسـاة معقـدة، فلم تعـرف معنـى الكرامـة الإنسـانية، ولا معنـى المسـاواة. وجـاء الإسـلام لينقـذ الإنسانية من قيود الطبقية والتمييز العنصري.

أما الهدف من زعمهم أن الإنسان ليس سوى اقتباس من كثير من الشرائـع والـديانات السـابقة، فهنـاك أهـداف مـن وراء ذلـك، وهـو محاولـة صرف أنظـار أتباعهم عن التأثير بهذا الدين بدعوى أن ما جاء فيهِ موجود عنـدهم. كـما آثـروا بأن الإسلام مصدر خطر، لأنه الدين الذي يقر العنف ويبيح رؤيـة الـدماء بـدليل قطع يد السارق، ورجم الزاني المحصن، وضرب عنق القاتل)[2].

إذ تتمثل الغاية من العقوبة في الإسلام بأنها:

---

1 م محمد سعيد البوطي، 26-25.

2 إبراهيم زيد الكيلاني وآخرون: الفكر العربي الإسلامي، 249.

أولاً : تردع الجريمة. فإذا رأى الإنسان في الجريمة نفعاً له وأراد ارتكابها،فإن شبح العقاب المرعب يردعه عنها.

ثانياً: حماية مصالح الناس وضرورات حياتهم.

ثالثاً: إصلاح المجرم وتقويم اعوجاجه)[1]. أما عن الشبهات التي تثار حول نظام العقوبات في الإسلام فيقولون (رد عن البعض الذين يزعمون بأن أحكام الحدود في نظام العقوبات الإسلامي قاسية لا تساير روح العصر، ولا تتفق مع النظرة الجديدة في تحليل نفسية المجرم. ويقولون: هل يمكن أن تطبق اليوم تلك العقوبات الهمجية التي كانت تُطبق في الصحراء؟ وهل يجوزأن تقطع يد في ربع دينار؟)[2] وكان ردهم على هذه الشبهة بالقول:

1. أن عنصر القسوة يمثل الركن الأساسي لمعنى العقوبة، فلو فقدت القسوة فقدت معها العقوبة بدون شك. وأن الذي يحدد قسوة العقوبة فظاعة الجريمة وخطورتها. وهذه الحقيقة محل وفاق عند جميع عُلماء الشرائع والقوانين مهما اختلفوا في تحليل فلسفة العقاب.

2. إن إدعاء القسوة والشدة في حدود الشريعة الاسلامية مظهر من مظاهر السطحية في فهمها.

3. إن الإسلام لا يقرر العقوبات جزافاً، ولا ينفذها كذلك بلا حساب، وله في ذلك نظرة ينفرد بها بين كل نظم الأرض، نظرة تلتقي حيناً برأي الدول القائمة على الحرية الفردية التي ترى بأن الجرائم تنشأ من أسباب نفسية كالعقد النفسية

---

1 م.ن، 239،235.

2 م.ن، 236.

والاضطرابات العصبية، وتلتقي حيناً آخر بـرأي الـدول الاشـتراكية التـي تـرى بـأن الجرائم تنشأ، من أسباب اقتصادية، فنظـرة الإسـلام ممسـك بميـزان العدالـة مـن منصفه. فالإسلام يقرر قطع يد السارق، ولكنه لا يقطعهـا أبـداً وهنـاك شـبهة أن السرقة نشأت من الجوع.[1]

4. إن الذين يخافون من تطبيق العقوبات الشرعيـة، ويـرون فيهـا إهـداراً لكيان الفـرد واسـتهتاراً بشـأنه، يتصـورون خطـأ أنّ هـذه العقوبـات كعقوبـاتهم المدنية ستطبق كل يوم. فالجرائم في ظل العقوبات الوضعية في ازدياد والمجرمون يكثرون ولا ينقصون، وبعض استعراض الشبهات التي تثار حـول نظـام العقوبـات في الإسلام، فإن للعقوبات في الإسلام مزايا، تمتاز عن غيرها من القـوانين الوضـعية، العقوبة في الإسلام لا تُصيب إلا من ارتكب الجريمة، استثناءً أو تفريقاً بـين حـاكم أو محكوم أو غني أو فقير أو رجل أو أمرأة[2]، ولعـل رفـض الرسـول (صـلى اللــه عليه وسلم) شفاعة أسامة بن زيد في فاطمة المخزوميـة التـي سرقـت خـير دليـل على ذلك. أما العقوبة في القوانين الموضعية، ففي الغالب لا تطبق على جميع النـاس ولا سيما الأغنياء وأصحاب السلطة والنفوذ. وكذلك سعوا إلى الإنقـاص مـن التشريـع الإسلامي وإبـراز محاسـنه في صـورة وعيـوب ونقـائص. فموضـوع تعـدد الزوجـات، صورة إعداد الشريعة الإسلامية، بالرغم ما يكتنفـه مـن ضـوابط ورحمـة مـن اللــه

1 عمر بن الخطاب لم ينفذ حد السرقة في عام الرمادة. حيث كانت الشبهة قائمة في اضطرار الناس للسرقة بسبب الجوع.

2 إبراهيم زيد الكيلاني وآخرون: الفكر العربي الإسلامي، 232.

تعالى، صورة هؤلاء لإتباعهم وللعالم كله على أنه ضرب من فوضى الجنس يبيحها هذا الدين للمسلمين.[1]

وكان ردنا على تصورهم بأن الإسلام أباح تعدد الزوجات بثلاثة شروط وهي:

أولاً: أن لا يجمع أكثر من أربع زوجات في وقتٍ واحد.

ثانياً: العدل بين الزوجات، فمن شروط تعدد الزوجات، أن يعدل بين زوجاته في حقوقهن من مأكل ومشرب وملبس ومسكن، وحسن المعاشرة والمعاملة والمبيت والنفقة وكل أمرٍ مستطاع.

ثالثاً: أن يكون قادراً على الإنفاق على زوجاته.قال تعالى : " **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ** {3/4} " النساء: 3 أما عن الحكمة من إباحة تعدد الزوجات، هناك عدة ظروف، ومن هذه الظروف:

1) المرض: فإذا كان مرض الزوجة معدياً أو منفراً، أو مرضاً لا يُرجى شفاؤه، الأمر الذي يجعل الحياة الزوجية، صعبة، فللزوج أن يتزوج إمرأة أخرى تعينه على القيام بشؤون الحياة الزوجية، شريطة الإبقاء على زوجته الأولى وإعطائها حقوقها، لأن الزوجة الأولى لا علاقة لها بالمرض.

2) العقم: من الرأي الراجح لدينا، ولدى علماء النفس أن الغرائز الإنسانية ثلاث، وهذه الغرائز هي: غريزة التدين، وغريزة البقاء، وغريزة حفظ النوع، والتي من خلالها يحاول الإنسان أن يُبقي على نوعه كإنسان، ومن

1 الثقافة الإسلامية د- عزمي طه السيد وزملائه.

مظاهرها: التواصل الجنسي والحرص على الولد، فإن يحرص الإنسان على أن يكون له ولد، أمر طبيعي، نراه في الإنسان ونلمسه عند بني البشر عامة، فجميع الناس يملكون رغبات وتمنيات بالحصول على أولاد، ومن هذا نرى أن الأمومة والأبوة، أي طلب الحصول على ولد، أمرٌ فطري في الإنسان، وإن كان يستطيع الحياة بدون أولاد أو نسل، إلا أن حياته ستبقى قلقة باحثة عن الذرية، خاصة إذا أدرك أن العجز عن القدرة على الحصول على ذرية هو بسبب أمر عضوي كالعقم مثلاً.

ومما تقدم نستخلص ما يلي، إذا كانت الزوجة لا تنجب، والزوج يرغب في الولد، فله أن يتزوج امرأةً أخرى لعل الله يرزقه منها الذرية، مع الإبقاء على زوجته الأولى وإعطائها حقوقها، وهذا خير لها من الطلاق الذي تعاقب على أمر لم تكن مسؤوله عنه.

وما دمنا في هذه الفقرة، وبما أن أعداء الشريعة الإسلامية سعوا للإنتقاص من هذا الدين السمح بتصوير كاذب، فلا بد من فضح العالم الغربي الذي يسعى لتشويه صورة الإسلام، فعلى سبيل المثال.

هناك شركات خاصة في العالم الغربي مهمتها البحث عن النساء الراغبات في تأجير أرحامهن، والحمل من غيرهن، منها شركة (ستوركس storkes) في الولايات المتحدة تكونت جمعية تسمى جمعية الأمهات البديلات أو الأمهات المستعارات يتوافد عليها عدد من الأزواج المصابين بنوع من العقم للبحث عن رحم مستعار.

أما عن تأجير الأرحام، فتتلخص الفكرة بأن تتقدم امرأة تستطيع الحمل والولادة من أسرة لا تستطيع الزوجة فيها أن تحمل أو تلد، إما لغياب الرحم لديها نهائياً أو لعدم قدرتها على احتضان الجنين أو لعدم وجود الرغبة لدى هذه الزوجة بالحمل ترفهاً وتجنباً لمشاق الحمل والولادة، فتأتي هذه المرأة المستعدة للحمل وتتطوع بإتمام العملية. بأجر أو تبرعاً بدون أجر.

وفي الغالب يكون هناك عقد واتفاق ومحامون حتى تأخذ العملية بُعداً قانونياً لا يستطيع أي طرف أن يفسخ العقد أو أن يتراجع دون سبب مذكور في العقد. فنرجع ونقول لأعداء الشريعة الإسلامية، الذي تعيبونه وتنتقصون من إبراز محاسنة، إن الإسلام لا يسمح بما تسمحونه، فيكفيه شرفاً أنه إذا لم تكن الزوجة تنجب والزوج يرغب في الولد، أن يتزوج إمرأةً أخرى لعل الله يرزقه منها الذرية، مع الإبقاء على زوجته الأولى وإعطائها حقوقها.

3) الزيادة في عدد النساء: عندما يزداد عدد النساء على عدد الرجال، سواء أكانت الزيادة طبيعية بارتفاع عدد المواليد الإناث، وقلة المواليد الذكور، أم غير طبيعية أو اختلال التوازن بين عدد النساء والرجال، فالمهاجرون يكونون غالباً من الرجال، فهنا مشكلةً، فلا بد من حلها بمعالجة هذا الأمر، حتى لا تؤدي الزيادة في عدد النساء إلى شيوع الفساد، لعدم وجود العدد الكافي من الرجال للزواج بهن، وحتى لا يبقين دون زواج، فجاء الإسلام وأباح تعدد الزوجات، وفي هذا حماية للمرأة من البؤس والشقاء، وإنقاذ للمجتمع من الضلال.

هذا ولم يتوقف أعداء الشريعة الإسلامية عند هذا الحد بل أنهم تجرؤوا ووصفوا موضوع الطلاق أنه ضرب من الهمجية، ونرد عليهم فإذا استفحل الخلاف بين الزوجين، على درجة تصبح معها الحياة بين الزوجين مستحيلة، بل ينعكس استمرارها سلبياً على الأطفال وإذا ما فشلت الحلول الممكنة جميعها لإعادة الحياة إلى مجاريها بينهما فلا بد من حل جاد، ألا وهو الطلاق.

والطلاق أبغض الحلال إلى اللـه تعالى، وقد شرعه الإسلام تخليصاً لزوجين من حياة أصبحت جحيم باستمرارها.

ومن الغريب في الأمر أن الغزاة الذين يعيبون تعدد الزوجات أو الطلاق تعترف مجتمعاتهم علانية بحق الرجل وهو متزوج بأن تكون له خليلة بل خليلات بالحرام و أن يكون له منهن أولاد وذرية [1] .

---

1 وليم جلادستون (1809 – 1898) " الذي رأس الوزارة البريطانية أربع مرات وتبين أنه كان ينغمس بشكل عادي في عمليات الجلد ، ويتردد على بيوت الدعارة لهذا السبب . وقد جرى اكتشاف ذلك عندما نشرت مذكراته في عام 1975 م ".

والمثير للدهشة حقاً أن " جلادستون " كان في مطلع شبابه يرغب في أن يكون قسيساً انجليكانياً ، غير أنه اتجه إلى العمل بالسياسة ، ثم تزوج زواج مصلحة من فتاة ارستقراطية تدعى " كاثرين جلين " أنجبت له أربعة أبناء .

ولقد ظل " جلادستون " طيلة حياته مهتماً بالدين والأنشطة الكنيسية ، فيما كان يمارس الزنى مع البغايا بعد أن يلهبنه بالسياط لطماً وإذلالاً !.

وكان الضرب بالسياط شائعاً بشكل شعبي بين طائفة المتطهرين في العهد الفيكتوري ، إلى حد بدا معه وكأنه تعبير عن الرغبة في التفكير عما ارتكبه الرجال ، في الماضي ، ضد النساء . ولقد ازداد انغماس الناس في هذا النشاط الشاذ في لندن أثناء حكم الملكة " فيكتوريا " حيث ظهر إلى الوجود نوع من المؤسسات الكبيرة التي تمارس نشاط يدور حول توفير الفرص لمن يرغبون في الحصول على متعة التعذيب بواسطة النساء الجميلات ، ما لبث نشاط هذه المؤسسات أن تضاعف بعد أن تضاعفت أعداد الرجال الذين يرغبون في أن تضربهم النساء بالعصي =والسياط . وظهرت الكتابات التي تمتدح هذا الشذوذ وتضفي عليه أوصافاً غربية ، وأصبحت توجد جماعات تعرف باسم " عشاق العصا " انتشروا وذاع صيتهم دون خجل أو حياء وكانوا يقولون عن أنفسهم إنهم مثل عشاق " فينوس " ربة الجمال ، كل ما في الأمر أن " فينوس " بالنسبة لهم تمسك في يدها إما سوطاً أو عصا لتضربهم أو لتجلدهم من أجل أن يشعروا بالمتعة .

ومما قاله الأديب والكاتب الإنجليزي " سوينبورن " (1837- 1909) إن إحدى المتع الكبرى للضرب بالعصا ، توجد في إحساس المضروب بالسياط أنه ضحية ضعيفة للغضب المروع لامرأة جميلة .

وقال كاتب آخر يدعى "سان جورج ستوك " يصف ضرب المرأة للرجل : " عندما تمسك امرأة رائعة الجمال بالعصا لتضرب بها رجلاً أو لتنال من كرامته ، فعندئذ يكون الضرب من جانبها ، والألم من جانبه فيها متعة حقيقية " .

الشق الثاني (ب): تجسيم مظاهر الضعف في ديار المسلمين وحملها على الإسلام: يحاول أعداء الإسلام بتخطيط واعٍ وماكر أن يُلصقوا بالإسلام كل الأخطاء والانحرافات التي يتورط فيها بعض المسلمين.

ما يزال عند كثير من الغربيين حتى اليوم، أن كلمة مسلم تعني التخلف والعجز وعدم الصلاحية لممارسة أي دور حضاري، ولكن الإسلام إذا ما مارسه المسلمون على وجهه الصحيح فإنه يصنع منهم العجائب أفراداً وجماعات، أما إذا تخلوا عنه تعرضوا للتخلف والانحدار.

وهذا كله من إشاعات الحاقدين على الإسلام للعمل على تشويه صورته .

ثالثاً:أساليب الغزو الثقافي:

الأسلوب الأول: التبشير

التبشير مؤسسة من مؤسسات الغزو الفكري الغربي الموجهة للعالم الإسلامي، التي عملت على إخراج المسلمين من الإسلام بإضعاف العقيدة في نفوسهم، وتقبل نمط الحياة الغربية، ويكون إطلاق لفظ التبشير على ما يقوم به المبشرون من نشر الدين المسيحي، وما يقوم به في خدمة المسيحية ودولها من واقع نظرتهم هم. وتعمل في الواقع على تسهيل الغزو الفكري الغربي للبلاد الإسلامية.

وقد أخذت أوروبا تغزو العالم الإسلامي في أواخر القرن السادس عشر الميلادي عن طريق التبشير، ورصدت لذلك الأموال الضخمة، وأقامت مركز لذلك في جزيرة مالطة، ومنها بدأ التبشير يمتد إلى بلاد الشام وسائر أنحاء العالم الإسلامي. على ما يُسهل لهم مهمتهم، فقد كان التبشير مقدمة وتمهيداً لبسط المستعمرين نفوذهم على منطقة العالم الإسلامي.

واستخدمت الدول الأوروبية الاستعمارية بالتبشير وسيلة من وسائل الغزو الفكري والحضاري، باسم العالم والإنسانية.

وأما عن الطرق والوسائل التي اتخذتها حركة التبشير لتحقيق أهدافها في نشر ثقافة الغرب ما يلي:

أ- التعليم: أنشأ المبشرون المدارس على اختلاف مراحلها والمعاهد والكليات الجامعية في الدول الإسلامية.

والتعليم في رأي المبشرين، أثمن الوسائل لنشر الفكر الغربي بين أبناء المسلمين. وذلك بنشر أفكارهم العامة وثقافتهم من خلال المناهج الغربية التي يدرسونها لأبناء المسلمين. ويقول كبير المبشرين: (صموئيل زويمر) مُخاطباً المبشرين في مؤتمر خاص: (أن مهمة التبشير التي ندبتكم الدولة المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية، ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام، ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله وبالتالي لا صلة له بالأخلاق، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طلائع الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، وهذا ما قمتم به خير قيام. وكما يقول أحد المبشرين عن أهداف هذه المدارس والكليات: (أن أهداف المدارس والكليات التي تشرف عليها الإرساليات في جميع البلاد كان دائماً متشابها، إن المدارس والكليات كانت تعتبر في الدرجة الأولى وسيلة لتحقيق أهداف التبشير حتى أن الموضوعات العلمية البحته التي تعلم من كتب غربية وعلى أيدي مدرسين غربيين تحمل من الآراء التبشيرية.

وتقول المبشرة (أنا فيجان) إن المدارس التبشيرية في بلاد العرب والمسلمين أقوى قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحي، وهذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوماً قادة أوطانهم.

ب- إقامة المستشفيات والعيادات الطبية، التي تقدم للفقراء العلاج المجاني:

بعد استعراض الوسيلة التي اتخذها المبشرون لتحقيق أهدافهم ألا وهي التعليم، فلم يتوقفوا عند ذلك، بل كانت لهم وسائل مختلفة منها إقامة المستشفيات والعيادات الطبية، التي تقدم للفقراء العلاج المجاني، إذا استغل الآم البشر، وسخروا الطب في سبيل غاياتهم. وبذلك يكون المبشرون قد اتخذوا الطب يتقربون به من المريض.

ج- استخدام وسائل الإعلام المتوافرة، وتأليف الكتب، واستخدام الصحف والمجلات، وإنشاء المكتبات ومراكز المعلومات:

لقد استخدم المبشرون في عدد من بلاد المسلمين وسائل الإعلام المتوافرة لنشر أفكارهم وآرائهم في أوساط الناس فألفوا الكتب، واستخدموا الصحافة والنشرات وذلك لنقل صورة الثقافة الغربية المختلفة وتزيينها عند أبناء المسلمين. كما أسسوا دور النشر لترويج الكتب التي تدعوا إلى فكرهم وحضارتهم وتحقيق أهدافهم.

د- انتشار الجمعيات والنوادي:

أسس التبشير أيضاً النوادي والمراكز. إذ ينظم المبشرون المخيمات الكشفية للذكور والإناث، واستخدموا الإحسان والبر والعطف على المحتاجين، ورعاية

ذوي الحاجات الخاصة، وسيلة للاتصال بالمسلمين والعيش معهم، وبث ما يشاءون من اتجاهات الحياة الغربية و أفكارها لإشاعة أن الإسلام عاجز عن تأمين حاجات أبنائه.

آثار التبشير: للحركة التبشيرية آثاراً عميقة في الحياة الإسلامية منها:

1. تعظيم الحياة الغربية، واتباع أنماطها بوصفها سبباً للنهضة،وإشاعة أن الإسلام عاجز عن مواكبة الحياة الحاضرة .

2. إضعاف الروح الإسلامية لدى الناشئة، وقبول الأفكار الغربية والمبادىء الوافدة، فانتشرت بين المسلمين الافكار المادية والشيوعية والإلحادية، وصار أبطال الغرب محط أنظار بعض أبناء المسلمين وقدوتهم. ونسوا أنهم أمةٍ يزخر تاريخها بعظماء أمجاد قدموا للإنسانية الكرامة والسعادة. ونسوا أنهم من أمةٍ أعطت شعوب الدنيا دروساً عملية في احترام كرامة الإنسان، تسودهم المحبة وينعمون بالحرية.

3. تشويه التاريخ الإسلامي. وسير الخلفاء المسلمين، وإظهار حركة التاريخ الإسلامي بأنها حروب وخلافات وفتن وثورات وصراع على الحكم وظلم للرعية، ولجأ المبشرون في هذا الصدد إلى تضخيم الأخطاء التي وقعت، وتصدير بعض الخلفاء بأنهم غارقون في اللهو والعبث والمجون.

4. الطعن في الإسلام ورسوله (صلى الله عليه وسلم). وصدق نبوته، ونشر الأفكار المضللة، كقولهم: إن الإسلام انتشر بالسيف والإكراه.

وهذه كلها ليست أكثر من إشاعات تهدف لتشويه سمعة الإسلام.

الأسلوب الثاني: الإستشراق

لقد أطلقت كلمة الاستشراق على الدراسات التي يقوم بها علماء من الغرب لعلوم الشرقيين، ولغاتهم، وأدبائهم وتاريخهم وأوضاعهم الاجتماعية ونحو ذلك. ولكن ليس لحباب عيون الاسلام وأهله، إنما للإطاحه به شيئاً بشيء.

والاستشراق، حركة ولدت منذ قرون وهي في ظاهرها، حركة علمية يراد منها دراسة التراث الشرقي. في معتقداته وآدابه، ولكنها تريد من وراء هذا التعرف على منابع هذا التراث ومحاولة صرف أهله عنه، ليولوا وجوههم شطر الغرب ويتعلقوا بركاب حضارته، والمستشرق، هو من درس لغة أو أكثر من لغات الشرق، ثم درس بهذه اللغة علوم تلك اللغة وفنونها وآدابها ومعتقدات أهلها.

دوافع الاستشراق:

أ- الدافع الديني التبشيري: قد بدأ الرهبان ثم استمروا. ومعظم المستشرقين من رجال الكهنوت الذين كان يهمهم أن يطعنوا في الإسلام ويحرفوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام دين لا يستحق الإنتشار، وأن المسلمين قوم همج لصوص وسفاكو دماء يحثهم دينهم على الملذات الجسدية ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي.

ويزينوا لهم ما في المسيحية من تعاليم وأحكام، واستدراج المسلمين للأخذ بالحضارة المادية الحديثة، وما فيها من مغريات للنفوس، لإدخال الوهن للعقيدة الإسلامية، والتشكيك في التراث الإسلامية.

ب- الـدافع الاسـتعماري: لم ييـأس الغربيـون بعـد هـزائم الصـليبيين في الحروب الصليبية من العودة إلى احتلال البلاد العربية والإسلامية، فكان إتجاههم إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وأخـلاق وتـراث ولغـات وتـاريخ، من أجـل أن يتعرفـوا إلى مـواطن القـوة فيهـا فيضـعفوها وإلى مـواطن الضـعف فيغتنموها.

كما شجعوا الصراع بين المسلمين والنصارى، وبين السنة والشيعة.

فالدعوة إلى الطائفية، تؤدي إلى تقسيم الشعب الواحـد أو الأمـة الواحـدة إلى طوائف متعادية متباغضة، وذلك يهدف إلى تسهيل سيطرة المسـتعمرين عـلى البلاد والشعوب في العالم الإسلامي.

ج- الدوافع الاقتصادية: يهدفون من ذلك الإستيلاء على الاسـواق التجاريـة والمؤسسات المالية المختلفة والاستيلاء عـلى الـثروات الطبيعيـة. وذلـك بالحصـول عليها بأبخس الأثمان، وأماتة الصناعات المحلية، لتكون بلاد المسلمين بلاد استهلاك لما تُصدره المصانع الآلية الغربية.

إذ أن الهدف الأول من استعمار الدول الغربية للعالم الاسلامي هو البحـث عن مصادر الثروة فيه، وتزويد المصانع الغربية بـالمواد الأوليـة المتـوافرة في العـالم الاسلامي بأقل التكاليف.

د- الـدافع السـياسي: لقـد أخـذ هـذا الـدافع يـتجلى في الـعصر الحـاضر وبعد استقلال أكـثر الـدول العربيـة الإسـلامية اسـتقلالاً شـكلياً، فقـد رأت الـبلاد الاستعمارية حاجتها السياسية تـقضي أن يكـون لهـا في كـل سـفارة مـن سـفارات

الدول الغربية من لديهم زاد جيد من الدراسات الاستشراقية ليقوم لهم هؤلاء بمهمات سياسية مُتعددة في بلاد المسلمين. منها الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة للتعرف على أفكارهم، وبث الاتجاهات السياسية التي تُريدها الدول الاستعمارية فيهم.

هـ- الدافع العلمي: هناك نفر قليل من المستشرقين أقبلوا على الاستشراق بدافع من حُب الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافتها ولغتها، وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم حظاً في فهم الإسلام وتراثه، لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدس والتحريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالية من المستشرقين، بل أن منهم من اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالته.

على أن هؤلاء لا يوجدون إلا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص، لأن أبحاثهم المجردة عن الهوى لا تلقى رواجاً، لا عند رجال الدين ولا عند رجال السياسة، ولا عند عامة الباحثين، لذلك فهي لا تُدر عليهم ربحاً ومالاً، ولهذا ندر وجود هذه الفئة في أوساط المستشرقين.

يقول المستشرق الفرنسي الدكتور (غوستاف لوبون): (إن سبب انحطاط الشرق هو تركه روح الدين ونسبته بالعقائد الباطلة، فإن الدين قوة أدبية لا يُستهان بها. ومن الواجب عليكم أن تأخذوا من دينكم ما يوافق روح العصر، وأن تحافظوا على تقاليدكم الحسنة وعاداتكم المرضية،وعلى الطلاب الشرقيين،

الـذين يـأتون أوروبـا لاقتبـاس أنـوار المعـارف، أن ينتخبـوا مـن العلـوم والفنـون والأفكار والعادات ما يُفيد وطنهم ويوافق أخلاقهم).

أهداف الإستشراق:

أ- انكار أن يكون القرآن الكريم كتاباً سماوياً مُنزلاً من عند اللـه تعالى.

ب- التشكيك بصحة رسالة النبي (صلى اللـه عليه وسـلم)، فهـم ينكـرون أن يكون محمد (صلى اللـه عليه وسلم) نبياً موحى إليه من عند اللـه تعالى.

ج- إنكارهم أن يكون الاسلام ديناً مـن عنـد اللــه، وإنما هـو مُلفـق مـن الديانتين اليهودية والنصرانية.

د- التشـكيك في صـحة الحـديث النبـوي الـذي اعتمـده علـماء المسـلمون المحققون.

هـ- التشكيك بقيمة الفقه الإسلامي، زعموا بـأن هـذا الفقـه مُسـتمد مـن الغربيين وعلى الأخص الفقه الروماني.

و- التشكيك في قدرة اللغة العربيـة عـلى مسـايرة التطـور العلمـي، لتظـل الأمة العربية المسلمة عالة على مصطلحات الغربيين.

ز- تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري بدعوى أن الحضارة الاسـلامية منقولة عن حضارة الرومان واليونان.

وسائل المستشرقين لتحقيق أهدافهم:

1. تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الاسلام والرسول محمـد (صـلى اللـه عليه وسلم) والقرآن الكريم والتاريخ الإسلامي وفي أكثرها التحـري المتعمـد في نقل النصوص.

2. اصدار المجلات لبحوثهم حول الإسلام والمسلمين وشعوبهم وبلادهم.

3. نشر المقالات في الصحف المحلية للبلاد الإسلامية، وقد استطاعوا أن يستأجروا عدداً من هذه الصحف لنشر مقالاتهم والترويج لأفكارهم.وغير ذلك من الوسائل التي حققت لهم أهدافهم.

الأسلوب الثالث :التغريب

والتغريب يعني إيجاد عقلية جديدة تعتمد على تصورات الفكر الغربي ومقاييسه.

والتغريب حركة موجهة لصبغ الثقافة الاسلامية بصبغة غربية، وإخراجها عن طابعها الإسلامي الخالص، وإذابتها فيما يُسمى بالثقافة العالمية.[1] حركة كاملة البناء له نظمه ووسائله وأهدافه وقادته ودعاته، وهو يعتمد على وسائل الاعلام المختلفة من مذياع، وتلفاز، وصحافة، كما يعتمد على دور الثقافة والمدارس.

إذ التغريب هو نقل المسلم من فكر الإسلام إلى فكر الغرب، ويعد هذا المخطط من أقسى ما يواجهه الفكر الإسلامي في العصور المختلفة لأنه وليد الإستعمار. وربيب الإستشراق، وابن التبشير.

أهداف التغريب:

ومن أهداف التغريب هي على النحو التالي:

أ- تنشئة أجيال جديدة من العرب والمسلمين تحتقر كل مقومات الحياة الإسلامية بل الشرقية.

---

1 المصدر السابق.

ب- تدمير الشخصيات العربية الإسلامية الباهرة والتشكيك في عظمتها وفي مقدمتها الرسول محمد (صلى اللـه عليه وسلم) وصحابته الكرام وأبطال الإسلام، ومفكروه.

ج- اثارة الخلافات والخصومات بين العرب والمسلمين.

د- رد التراث الإسلامي إلى الفرس، والهنود، واليونان، والرومان وقد تكلمنا في الصفحات السابقة عن انحلال هذه الأمم وعيشها في الإضطراب والشقاء وبُعدها عن كل الأخلاق. لذا نجد أن التغريب يهتم بدراسة عالم ما قبل الإسلام وأحيائه في صور شتى، كصورة الفرعونية، والجاهلية والوثنية والفارسية والرومانية.

هـ- إثارة عالمية الثقافة والحضارة البشرية ووحدة الفكر البشري، إذ يقول الدكتور عزمي طه السيد وزملائه كلها دعوات دواخلها وغاياتها المريبة، والتي تتمثل في مفهوم واضح هو تذويب الفكر العربي الإسلامي.

ويضيف ويلفت الإنتباه إلى احدى الوسائل القوية في نشر التغريب في الوقت الحاضر، وهي استخدام وسائل الإتصالات الحديثة من سينما وتلفزيون ومحطات فضائية وكذلك الإنترنت، هذه التي تنقل إلى ابنائنا وفي داخل بيوتهم، صور الحياة الغربية وطرائق تعامل الناس في الغرب مع أنفسهم وغيرهم ومع الكون بل ومع خالقهم، وهو ما يختلف كثيراً مع صور التعامل الموجودة في الثقافة الإسلامية.

ويكمل عن خطورة هذه الوسائل الإعلامية الحديثة في تلقي الأطفال ومن هم في مرحلة الشباب الأولى لها، حيث يكون هؤلاء في سن التلقي والتقليد،

فيرسخ في نفوسهم أن يعرض عليهم من صور الحياة الغربية وهو صواب وخير لا ضرر فيه، مع أن حقيقة الأمر أن فيه السم القاتل.

رابعا:مواجهة الغزو الثقافي:

إذ كان الإنسان قد وجد كرامته وسعادته في الحضارة الإسلامية، فالفكر العربي الإسلامي قيم لا تتغير مع تغير الأزمان والأشخاص كغيرها من الحضارات، فهذه القيم لا تخضع للواقع المريض، ولا تحكمها المصالح الهابطة، وقيم الفكر العربي الإسلامي مستمدة من الإسلام، فالصدق والأمانة والمروءة والعدل والشجاعة والرحمة والحياء. قيم لا تتغير أبداً.

فأين هؤلاء الذين يزعمون أن الإسلام خليط من الأديان.

نقول لهؤلاء أن الإسلام يستمد وجوده من الوحي الذي أنزله الله تعالى على عبده رسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) والوحي الإلهي يأتي بالمعرفة الصحيحة المعصومة من الخطأ البعيدة عن آفاق الجهل والنسيان.

والإسلام قدم للبشرية معنى الحياة والسعادة التي كان يفتقر إليه الإنسان بوجود الأمم السابقة قبل الإسلام، فالقوي كان يأكل الضعيف، والظلم قائم، والفواحش قائمة، حتى جاء الإسلام. ووجد لهم معنى الكرامة والسعادة بحق. ويتجلى ذلك بقول جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) للنجاشي: (أيها الملك: كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده،

ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من عبادة الأصنام وأمرنا بصلة الرحم، ونهانا عن الفواحش، فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك). نقول لأعداء الإسلام بأن المواجهة بيننا وبينكم مُستمرة، على الرغم بأنها ليست بسيطة، إلا أننا نملك إيماننا من الله سبحانه وتعالى. إذ يقول تعالى في كتابه العزيز : "**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ {64/5}**" المائدة: 64 وأنتم يا أعداء الإسلام في خسارة بما تعملون.

إذ المعركة بيننا وبين أعداءنا، أعداء الإسلام قائمة وتزداد حماوة ولهيباً يوماً بعد يوم، إلا أننا نقول لهم كلمة أخيرة بأن الأمة الإسلامية، لها تاريخ، وليس كأي تاريخ، بل تاريخ يزخر بعظماء أمجاد، قدموا للإنسانية كافة المثل الأسمى والقدوة العُليا، ليفتخر كل مُسلم ومسلمة بهؤلاء العظماء، أجلهم وأكرمهم للإنسانية كافة النبي الأمين محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) هؤلاء قدمهم الإسلام للعالم بعد أن صقل الإسلام نفوسهم، وجعل لهم نظرةً إلى الكون والحياة الإنسانية.

ولنتذكر قوله تعالى في كتابه العزيز " **وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ {281/2}**" البقرة: 281

الفصل الرابع

الإشاعة وثورة المعلومات

الإشاعة

وثورة المعلومات والاتصالات

إن أبرز مظاهر العصر الراهن هي ثورة المعلومات ووسائل الاتصال، ففي ظل التطورات الحالية المتسارعة التي تجري في العالم وتجاوز وسائل الاتصال للحدود الجغرافية والسياسية وتحول العالم إلى قرية صغيرة، يمكن لأي شخص أن يعلم ما يجري في أقاصي الأرض وهو في غرفته . في ضوء هذه المستجدات التي سترسم موقع ودور أي مجتمع في عالم الغد، حيث التنافس يأخذ طابعاً اقتصادياً وثقافياً . الأمر الذي يزيد من أهمية الإعلام ودوره لأن أية سلعة حتى تصبح عالمية " مبدأ العولمة " لا بد أن تقنع المستهلك وتحقق رغباته سواء أكانت السلعة مادية أم فكرية، وبمقدار ما نملك إعلاماً قوياً ومقنعاً بمقدار ما نستطيع ترويج سلعتنا وبالتالي تعزيز موقعنا في عالم الغد .

والإعلام القوي والمقنع يحتاج إلى وسائل متطورة ترتبط بشكل مباشر بتطور تقني مطلوب، ومن هذا المنطلق تبرز أهمية تقنية الإعلام في الوقت الحاضر ومستقبلاً.

الإعلام ليس نشاطاً إنسانياً حديثاً أو محدثاً وإن كان قد تصاعد دوره في الآونة الأخيرة بشكل كبير. فقد مارست المجتمعات القديمة نشاطاً إعلامياً محدداً، واستخدموا وسائل معينة نذكر منها : (التجارة ـ البعثات الدينية ـ المناداة ـ استخدام وسائل المناداة كقرع الطبول ـ الأعياد والندوات ـ القصائد الشعرية ـ الوسائل التعبيرية كالكتابات والنقوش والرسوم... الخ . وقد شهدت هذه

المجتمعات أشكال عديدة لوسائل الاتصال والإعلام نذكر على سبيل المثال، أنه في عهد يوليوس قيصر (60 ق.م) في روما تم تأسيس " الأعمال اليومية " وهي أول نشرة رسمية تعلق في ساحة الفورم وتحمل للمواطنين أخبار الدولة الرسمية. وتطورت وسائل الإعلام مع تطور الحياة الإنسانية، فظهرت الكتب والرسائل ثم الصحافة... الخ .

في الوقت الحاضر هنالك وسائل إعلام لا حصر لها، وقد وصلت بعضها إلى درجة متطورة جداً من التعقيد والدقة والسرعة كالأقمار الصناعية ووسائل الاتصال بالكون الخارجي " خارج نطاق الكوكب الأرضي "، وبشكل عام يمكن تقسيم وسائل الإعلام إلى قسمين :

1- وسائل إعلام رئيسية (أساسية) : وتشمل : الصحافة ـ الإذاعة ـ التلفزيون ـ المحطات الفضائية ـ شبكات الأنترنيت ـ وكالات الأنباء ـ... الخ .

2- وسائل إعلام ثانوية : وتشمل : السينما ـ المسرح ـ الكاسيت ـ أقراص الكمبيوتر ـ الملصقات ـ اللافتات ـ الصور ـ الكتب ـ... الخ .

ويتبع لذلك أساليب متعددة فقد يكون الإعلام مقروءاً كالصحافة المطبوعة أو سمعياً كالإذاعة والندوات أو بصرياً كالنحت والرقص أو سمعياً ـ بصرياً كالتلفزيون والمسرح والسينما .

تطورت الأساليب العلمية في طرح الإشاعة بحيث أصبحت أخطر سلاح غير منظور على العدو وفي الحروب وقد أفرزت الدول ميزانيات هائلة وأجهزة وتجهيزات عملاقة لهذا الغرض.

أولاً :الإشاعة وأدواتها:

لقد تطورت الإشاعة ،وتطورت أساليبها. منذ خلق الله الإنسان وحتى يومنا هذا. وأبدع الإنسان في صنع الخراب والدمار .أو رفع المعنويات في ظروف ما من خلال الإشاعة سواء كانت مغرضة أو اشاعة نافعة ترفع معنويات الناس وتخرجهم من كوارث طبيعية أو بشرية من حروب أو دمار اقتصادي أو اجتماعي أو سياسي.

أ- الأدوات القديمة للإشاعة:

1. الطابور الخامس.

ذلك الذي تغلغل خلال الشعب في أماكن مختلفة وتبث سموماً مختلفة كثيرة البلبلة أو سماً واحداً يفتك بالناس (السم هنا هو الإشاعة).

كذلك كما اتفقنا قد تكون إشاعة مغرضة ولكن الهدف منها رفع معنويات المواطنين.

2. الحمام الزاجل وتوزيع المنشورات عبر الرسائل التي لا تمس مع الحقيقة.

3. المنادين في الأزقة والمدن.

4. الجواسيس.

5. البيارق المخادعة (الإعلام).

كأن يكون علم النصر بدل الهزيمة أو علم الموت بدل الحياة. حيث كان لكل علم معنى في التاريخ الغابر.

ب- الأدوات الحديثة للإشاعة:

يعجز الإنسان عن إحصاء الإبداعات التي وصلها الإنسان في هذا المجال وعليه فإننا ننوه هنا ببعضها فقط.

1. أنظمة المخابرات والإستخبارات.

2. أجهزة التوجيه المعنوي في القوات.

3. طائرات التجسس بأنواعها المختلفة واهمها (AWax) و (U2) الطائرة SR – 71 سواء بطيار أم بدون.

4. أقمار التجسس الصناعية الفضائية بمهماتها المختلفة وأجيالها المختلفة ومنها: Bigburd- Keyhole–Discoverers–Sames – K H – LL

5. المركبات الفضائية المسكونة والتي تدور وبها رواد فضاء للتجسس سواء من السوفيات أم الأمريكان مثل :

Mol-Halo-TealRuby-Meer

6. الإشاعات عبر الهاتف سواء النقال أو المحمول (الخلوي).

7. الإشاعات عبر البريد الإلكتروني (Email).

8. أجهزة الإرسال اللاسلكي والشيفرة المضللة.

9. أجهزة التصنت الهائلة الإمكانات والفعالية وبدقتها.

10. الإتصالات السرية والأخبار السرية والكتابة الخفية والتصوير المايكروفيلمي.

11. تكنولوجيا وكالات الأمن القومي للدول بأسمائها المختلفة في كل دولة.

12. ولا يفوتنا ما عرفناه منذ العصور الوسطى وتطور ليصلنا في القرن الواحد والعشرين فيما نرى من إبداعات وخيالات مثل:

- الصحف والمجلات.
- الإذاعة المسموعة.

- التلفزيون الأبيض والأسود.
- أشرطة الفيديو.
- أشرطة الكسيت.
- الفضائيات بأنواعها.
- النشرات الدورية والهادفة.
- مجلات الأبحاث الإستراتيجية.
- الإعلانات التجارية.
- الوسائل المسموعة والمكتوبة.
- أنظمة الاستبيانات وقراءة وقياس الرأي العام.

الفصل الخامس

الأمة والآثار المدمرة للإشاعة فيها

إننا نعيش في الوطن العربي حالة من حرب ثقافيـة، وسياسـية، وعسـكرية، واقتصادية، واجتماعية تستهدف وجودنا وحاضرنـا ومسـتقبلنا، وتـدمير أخلاقيتنـا ومثلنا، وتغريبنا عن هويتنـا وتراثنـا، وقطـع كافـة الجـذور والأواصر التـي تـربط بعضنا ببعض، وتشدنا جميعاً إلى أمه حضارية معطاء. إنها حرب هادئة لا يرافقها دوي المدافع، ولكنها لا تقل ضراوة عـن حـرب الـدبابات والطـائرات... إنهـا آيـدز يصيب الأمة أفراداً وجماعات وحكومات إذا ما اسـتفحل حالهـا- بفقـدان المناعـة فيسهل على الطامحين بها تفكيكها، وتذويبها وابتلاعها، والتمدد في أرضـها ونهـب ثرواتها، وإذ نتناول هذه الحرب الشائكة، والمعقدة، والتي تشكل الإشـاعة إحـدى مفرزاتهـا، وأخطـر أسـلحتها، كـما اسـتطعنا كشـفها وتبيانهـا مـن موقـع الغيريـة الوطنية، ومن خلال ثوابت وأحداث ووقائع نعيشها معاً في أرجاء الـوطن العـربي الكبير، مما نضعه بين يديك، موثقاً فما ذلك بغـرض التهويـل والترهيـب، بـل مـن أجل الارتقاء إلى مستوى المسـؤولية، وتحصـين أنفسـنا وناشـئتنا في مواجهـة وبـاء فتاك، قبل أن يستشري في أوصال الجسد العربي، وجلاء الشك باليقين. وكلنـا ثقـة بأن إنساننا العربي، الذي ما زال يعيش على أرضه العربيـة، ويتشـبث بترابهـا كـما بأمجادهـا، ويتـنفس عبـق عروبتهـا، وشـذى تراثهـا، قـادر عـلى مواجهـة كافـة التحديات والانتصار عـلى كافـة المحـن، لأنـه يمتلـك مـن الأصـالة والصـلابة التـي تجذرت عبر تاريخ موغل في القـدم، كـما يملـك مـن بُعـد النظـر، ووضـوح الرؤيـا السليمة، ما يمكنه من تمييز الخبيث من الطيب من القول، والعمل.

لأننا نشعر بأنه ليس من السهولة بمكان السير في هذا الجانب المبهر المظلم في آنٍ واحد، وسط سيل من الأحداث والوقائع والمتغيرات التي تتبدل بسرعة مذهلة، قبل أن يجف مداد كتابتها على الورق، وإيصالها إلى القارئ العربي، وما الكمال إلا لله وحده، عليه توكلت وإليه أنيب وبه المستعان، والله من وراء القصد.

المبحث الأول

الأساليب العلمية لمحاربة ومقاومة الإشاعة

أولا: لماذا امتنا مستهدفة بالإشاعات المفرطة:

لانها الانتماء القومي، وهي الانتماء للأرض... للوطن العربي الكبير، وهي في كل ما يعبر عن هذا الانتماء..إنها في التاريخ والجغرافيا معاً.

والثقافة هي كل ما تعبر به الهوية عن ذاتها في العادات والتقاليد والتراث إنها في النمط الاجتماعي العربي. الثقافة ترسم ملامح الهوية وترتبط بها ارتباط الروح بالجسد... إنها في الوصول والقيم والمفاهيم والمثل والتي تتعرض اليوم لهزة، بل لهزات عنيفة. والثقافة هي السلاح الإستراتيجي وهي الأمن الإستراتيجي الذي تتسور به كافة الأمم لصون ديمومتها الإنسانية والحضارية في مواجهة الأخطار المصيرية المحدقة بها.

والإشاعة ليست حصراً بجانب من جوانب حياة الأمة... إنها تشمل كافة جوانب الحياة من قومية وسياسية واجتماعية واقتصادية وفنية ورياضية وغيرها. والإعلام- هو الإخبار الموضوعي عما يجري بيننا وحولنا، ويوجد تلازم وتكامل بين الثقافة والإعلام. والإعلام يأخذ من الثقافة الحدث فيكتبه في مقال، أو قصة

أو كتاب أو عمل مسرحي أو في مسلسل أو فيلم أو (قصة معبرة.. أو إعلان أو خبر) فهو بذلك يعود فيرفد الثقافة ويغذيها.. وهكذا الإعلام أو الثقافة كل منهما يرفد الآخر، يغذي الآخر، ويتغذى به ومنه. ويؤثر بدوره على المواطن والاسرة والشعب ثم الأمة سواء كان ذلك سلباً أو ايجاباً ويشكل مواقف إما ثابتة أو متخاذلة تجاه ثوابت الأمة وقضاياها.

أمتنا العربية كانت منذ القدم بمثابة الأم لكافة الأمم ولا تتوافق كلمة "أم" وكلمة "أمة" لفظاً ومضموناً سوى في اللغة العربية دون سواها؛ لأنها فعلاً بمثابة الأم لكافة الشعوب والأمم التي تفرعت منها حيث أن الحياة على الأرض عندما وجدت الأول كانت في هذه الأرض التي تشكل الوطن العربي، لأن الجليديات كانت تشغل مساحة كبيرة من العالم في الشمال والجنوب مما آثاره باقية حتى اليوم في القطبين المتجمدين الشمالي والجنوبي.

لذلك كانت ثقافتنا وما زالت ذات مضمون حضاري إنساني، لم تعرف شيئاً من تلك المذاهب العنصرية والاستعمارية التي نشأت في الغرب من فاشية ونازية وصهيونية إجرامية حاقدة.

ثقافتنا تفاعلت مع كافة ثقافات الأمم والشعوب تفاعلاً حضارياً خلاقاً.. أخذنا من غيرنا ولكن أعطينا لغيرنا أكثر مما أخذنا بكثير والثقافة العربية في العصور الوسطى كانت هي السائدة وكانت هي الأساس التي بنيت عليها الحضارة والمدنية الإنسانية المعاصرة بما فيها من علم وفكر وتراث وإبداع.

لقد كتب الكثيرون حول اكتشاف العرب لأمريكا قبل كولومبوس بكثير. وجاء مؤخراً الباحث الأمريكي، في اللغويات، وهو ليووينز من جامعة هارفارد ليضيف إلى هذه الحقيقة دليلاً جديداً، عندما أثبت وجود كلمات عربية الأصل في اللغات الهندية القديمة (الأميرند) تعود إلى أكثر من مائتي عام قبل كولومبس.

والباحثة العربية المصرية تحية عبد العزيز إسماعيل وبعد جهود مكثفة من البحث والمتابعة امتدت زهاء عشر سنوات، نشرت بحثها بالإنجليزية في لندن هذا العام 1994 م بعنوان (اللغة العربي – أم اللغات) لتخلص إلى حقيقة راسخة وهي أن اللغة العربية بمفردها تشكل العمود الفقري لكافة اللغات العالمية هذا وإن 75- إلى 80 % من مفردات اللغات اللاتينية والسكسونية هي من أصل عربي.

القرآن الكريم وهو فخر ثقافتنا العربية، والإنسانية، تميز بطابعه الإنساني وشموليته لكافة بني البشر دون تمييز – مما لم تعرف أية ثقافة أممية أخرى كما يبدو في الآيات التالية.

قال تعالى : " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ {13/49}**" الحجرات: 13

قال تعالى : " **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً {70/17}** " الإسراء: 70

فتكريم بني آدم جاء شاملاً لكافة بني البشر دون تمييز.

لكل ما تقدم فإن أمتنا مهددة ومستهدفة، ومطلوب وضع شرخ بين أركانها حكومات وشعوباً.

ثانيا: خطر الإشاعة وسلاحها الفتاك :

الإشاعة تكاد تكون أخطر الأسلحة الإستراتيجية والفتاكة في هذا العصر لفداحة الخسائر ولتوفر ثورة المعلومات والاتصالات.

وإذا كانت الرصاصة تقتل رجلاً – فإن الإشاعة قد تقتل جيلاً بكامله وقد تفتت أمة بأسرها. وكلنا نذكر تجربة الإتحاد السوفيتي – تلك الدولة العملاقة التي سقطت وطوي علمها مع مطلع عام 1992 م، وكانت تحمل على ظهرها من الأسلحة المدمرة ما كان يكفي لتدمير الحياة على الأرض مائة مرة حسب تقدير خبراء السلاح في العالم... ولكنها سقطت بفعل نخر سرطاني من داخل الدولة السوفيتية، ودون ان تطلق عليها رصاصة واحدة من الخارج من خلال الإشاعات القاتلة عن الفساد، والانهيار الاقتصادي، وغير ذلك وطابور خامس يروج الإشاعات ويبشر بمطاعم الماكدونالدز والجينز الأمريكيين.

فرنسا تقود حملة إعلامية واسعة للمحافظة على الثقافة الوطنية الفرنسية، وحمايتها من حرب الإشاعة الأمريكية ضدها، ويتخذ مجلس الشيوخ الفرنسي قانوناً بفرض عقوبة الحبس لمدة ستة أشهر مع الغرامة بمقدار خمسين ألف فرنك فرنسي لكل من ينتهك الإعلام الفرنسي باستخدام كلمات أجنبية غير فرنسية في الإعلانات التجارية أو المعاملات الحكومية، أو العقود وغيرها، وقد تصل إلى حد

الخيانة لأي طرف يروج إشاعات أو أفكار الهدف منها الإساءة إلى الأمن والاقتصاد أو الشعب الفرنسي عامة عادات وتقاليد وتراث وثقافة.

ويقود جاك لانغ وزير الثقافة الفرنسي السابق بنفسه حملة إعلامية واسعة في مواجهة ما أطلقوا عليه بالغزو الثقافي الأمريكي وحرب الإشاعة المضللة ضد فرنسا.

فمن باب أولى أن تتسور الأمة العربية بهويتها القومية، وثقافتها الحضارية الإنسانية، وتتحصن بهذا الحصن الإستراتيجي، وبأمنها القومي لمواجهة هذا الاجتياح القادم إليها من كل صوب عبر موجات الأثير كما عبر موجات التطبيع السرطاني.. كما عبر سيل من وسائط الإعلام الغربية والصهيونية. وعندما نتكلم عن الغزو والإشاعات الموجهة إلى الوطن العربي يجب أن نميز بين الثقافة والإشاعة، والغزو الثقافي، إذ ليس كل ما يرد إلينا من الغرب يشكل غزواً ثقافياً فلدى الغرب الكثير من العلوم مما يمكن الاستفادة منها خاصة في العلوم الكونية والتقنية والطب والهندسة والكمبيوتر مع أن أجدادنا العرب كانوا في يوم من الأيام سادة العلوم الفلكية والطبية قاطبة.

الإشاعة هي التلقي العشوائي، والإستيراد الآلي في اتجاه واحد.. إنه التأثير الدعائي المركز والمعتمد في المتلقى العربي عبر الضخ اليومي لأطنان من المعلومات والإعلانات الفاسدة، مع غرس وتعميم الطفرة الاستهلاكية، ووضعها على رأس بيكار وتدويرها على مجمل الوطن العربي بغرض اختراق العقل العربي، والوجدان العربي، وخلق استجابة فكرية، ونمطية سلوكية تنأى بالعرب كأفراد

وجماعات عن متابعة مشروعهم الحضاري القومي الإنساني في بعث دولتهم الموحدة في وطنهم العربي الكبير.

الإشاعة – الغزو الثقافي – إنه في الإعلان التجاري الفاسد الذي يخرب الذوق ويخدش الحياء، وينقل الإنسان العربي من عليائه كبان للسدود والإنشاءات العملاقة، والشواهد الحضارية الأبدية التي ما تزال ماثلة في أهرامات مصر، والسد العالي وبابل وغيرها كثير.. إلى إنسان آخر مجرد أداة للاستهلاك، وآلة عرض للإعلان نفسه.

إنه في تسويق المفاهيم الغربية والصهيونية عبر شبكة واسعة من أجهزة الإعلام التي تقوم بالإنتاج والتصدير معاً في آنٍ واحد وتنخر جسم الأمة وتجرها نحو أهداف هدامة.

إنها في الاغتيال البارد، والتدمير البطيء للعقل والروح معاً، مع شل الوعي والإدراك والإحساس الوطني إنه في الانبهار الأعمى بأضواء المادية الغربية. إنه في كتل ملتهبة من المثيرات التي تنصب على مخازن العواطف والغرائز للإنسان العربي بغرض إلهائه وتغريبه عن وجوده، وتفتيت هويته.

الإشاعة – الغزو الثقافي – هو ذلك الذي يطرق عقل الإنسان العربي وعاطفته اليوم أكثر منه بالأمس من أجل إعادة صياغة وعيه وتشكيل ذهنيته وقولبة شخصيته بالتدريج وبهدوء وبخبث وخداع ومكر بطريقة تبدو وكأنها بريئة في أكثر الأحيان.

وباختصار الإشاعة – الغزو الثقافي - هو في ثقافة الترفيه والضياع والامتاع، هو في الثرثرة الفارغة التي تقوم بتخدير الإنسان العربي وشل دوره الحضاري والإنساني وسط خضم الأحداث العالمية، وتحويل فكره إلى أداة مسلوبة الإرادة للعمل ضد نفسه وأمته.

إنه في ثقافة الكلمات المتقاطعة، ونجوم الفن وسباقات السيارات.. وباب الحظ، وماريا مرسيدس والعرس الكروي، ومباريات كأس العالم، وشامبو شانتو، وعلكة المحبة.. وعلكة السيارة العجيبة.. إنه في المعجبين والمعجبات بمادونا، ومارادونا.. وجهاز لها.. وله.. إنه في أطنان من المخدرات التي تصدر إلى الوطن العربي من تلك العواصم من وراء المحيطات ممن يرفعون راية مكافحة المخدرات وحقوق الإنسان كذباً وخداعا! . إنه في أطنان من التبغ الأمريكي اليهودي المسرطن والذي يصنع من قبل شركات ذات أهداف تدميرية للشباب والأمة خصيصاً للمواطن العربي، ويعلب في عبوات فاخرة معطرة تصيب العرب ذكوراً وإناثاً بالسرطانات الرئوية، والعقم وتقتل القدرة على الإنجاب، مما هو ثابت ومعروف في معلبات ل إم والتي أعيد تصنيعها في عبوات من طراز بوند، بعد افتضاح أمرها.. فضلاً عن غرس الإشاعات السامة عن الأفراد والأسر والأمة فهذا عميل وذلك خائن وذلك حريص وهذا من أصل كذا وهذا من فصل كذا وهذا أسود وهذا فاسد وذلك وطني وذلك مأجور الخ من الإشاعات التي تغرس الفرقة والشك في النفوس حتى يصل بنا إلى حروب أهلية.

أنه في أفواج السائحات من طبقة الخمس نجوم، حاملات الإيدز، وقد وصلن بعيداً إلى ما تصل إليه قاذفات الفانتوم والدبابة مير كافا، إنه في أطنان من العطورات ومستحضرات التجميل، لك يا سيدتي الجميلة كي تبقى بشرتك أكثر طراوة، وشعرك أكثر جاذبية.. ولكن في المدى المنظور ستصابين بتجعدات في الوجه والجلد، وتساقط الشعر، والصلع وسرطانات الثدي وغيرها،.. كما بالعقم المبكر.

إن العلاقة بين الثقافات الغازية – التي تشكل محور الغزو الثقافي، وبين الثقافة والوطنية، هي أشبه ما يكون بالعلاقة بين منطقة جغرافية ذات ضغط مرتفع، ومنطقة أخرى ذات ضغط منخفض، مما ينجم عنه تحرك كتل هوائية – أو قل ثقافات غازية – من المناطق الجغرافية ذات الضغط المرتفع إلى المناطق المقابلة لها ذات الضغط المنخفض وهكذا.

ثالثا: العوامل الخارجية:

إن تطلع الغرب عامة بحكوماته وشركاته الاحتكارية إلى السيطرة على منابع الثروات النفطية والمعدنية، في الوطن العربي والاستفادة من السوق العربية كمصدر واسع كبير لتصريف منتجاته الصناعية والغذائية والكمالية.. بالإضافة إلى الأهمية الإستراتيجية الخاصة والمميزة لموقع الوطن العربي في قلب العالم، واحتوائه على مفاصل الاتصالات والمواصلات الدولية من جوية وبرية وبحرية.. كل ذلك يشكل أهم عوامل الضغط المرتفع للأمة الغازية.. هذا ناهيك عن عوامل تاريخية، وأحقاد دفينة ما زال الغرب يأخذ بها للثأر من المشرق العربي –

باعتبار العرب- من الوجهة الغربية- هم المسؤولون عن انهيار امبراطوريتي روما وفارس اللتين كانتا تبسطان نفوذهما على العالم القديم.. بل يوجد في فرنسا وحتى يومنا هذا، من يحتفل كل عام بذكرى انطلاقة الحملات الصليبية وسط أعراسٍ مهرجانية، وخطب لاهبة، تعيد إلى الذاكرة تلك الأحقاد الدفينة التي عاشتها أوروبا اتجاه المشرق العربي.. وفي برنامج الاحتفالات السنوية بذكرى الحروب الصليبية من كل عام يتم استعراض وحدات رمزية بالزي الصليبي في مجمع كلريمونت في فرنسا، وهو المكان الذي انطلقت منه الحملات الأولى.

رابعا :العوامل الداخلية:

إن أداة الإشاعة بالرغم من التخطيط لها خارج الحدود إلا أن الأداة هي من الداخل في الغالب بفعل الطابور الخامس، والخونة، ومرضى النفوس، والمأجورين والساقطين الذين يبحثون عن المال والجنس والمتعة والشهرة، فيبيعون أوطانهم وأهلهم بأرخص الأثمان، ثم بعد ذلك لا يجنون إلا اللعنة أو الموت ممن وظفهم لخيانة أبناء بلدتهم وبذلك يخسرون الدنيا، وبالتأكيد سيخسرون الآخرة وبئس المصير.

الإنسان العربي ذاته الذي أصبح يحمل من الآلام ما جعله مستودعاً لهموم الماضي والحاضر على حد سواء. فمن نكبة فلسطين عام 1948 م، إلى نكسة حزيران 1967 م، إلى نكبة حرب الخليج وبسط الهيمنة الغربية على الوطن العربي عموماً.

إنساننا العربي يقبع اليوم جريحاً في ظلال تمزق سياسي مريع وتنعكس عليه وحده دون غيره الخلافات العربية، وهو مع تراكم هذه الصفعات اكتسب صفة البرود واللامبالاة، وأصبحت ردود فعله إزاء الأحداث الجارية فوق الساحة العربية باهتة هزيلة، وانسحب هذا الموقف العدمي على بقية تفاعلاته، واهتماماته الاجتماعية والثقافية الأخرى. لقد بلغ حالة من الركود يكاد فيها لا يكترث ولا يبالي بايديولوجية النظم السياسية التي تحكمه، ذلك أن طاقاته الجسدية والعقلية مسخرة لمواجهة أزماته الاقتصادية،ولإبقاء رغيف الخبز متواجداً على مائدة أطفاله. هذه الحالة النفسية المؤلمة للإنسان العربي – إن دلت على شيء فإنما على أن صاحبها كان في وقت سابق يتفاعل بحرارة وصدق مع الأحداث الوطنية. كان يخرج في الشوارع، ويحمل البندقية للتصدي للغزو الأجنبي لمصر إثر تعرضها للعدوان الثلاثي عام 1956م، ولسورية إثر إعلان إيزنهاور وفرض الحصار والتهديد عليها من قبل حلف الأطلسي عام 1957م، وللبنان والأردن إثر نزول القوات الأمريكية والبريطانية عام 1958م. كان الإنسان العربي يتأجج وطنية في مساندا ته لثورة الجزائر. في تنديده بالفرنسيين الغزاة لاعتقالهم أحمد بن بيلا ورفاقه. وتعذيبهم المناضلة الجزائرية جميلة بوحيرد.. وكان ذا احساس مرهف وشعور وطني لاهب، وتفهم لطبيعة ما يجري في وطنه العربي الكبير. وفجأة، إثر توالي النكبات يتحول إلى إنسان آخر غير مكترث!. تسري الإشاعة في جسده سريان النار في الهشيم لتنخر في جسم الأمة فتزيد الفرقة والخلاف، وتوسع الهوة بين أبناء الأمة.

هذه الحالة من الركود واللامبالاة وعدم الاكتراث التي يعيشها المواطن العربي اليوم عموماً، هي التي دفعت قول أحد قادة الفكر العربي حيث اعتزل الكتابة والفن.. إنه سبب محزن ومؤلم. لقد تعاملت في أعمالي مع قضايا كبيرة وهامة كانت تحرك المواطن العربي في كل مكان بعاصفة من التصفيق والإثارة.. أما الآن فإن الحديث عن الوحدة العربية، مثل الحديث عن القضية الفلسطينية يدعوا قليلاً إلى السخرية.. القضايا الكبيرة القومية التي كانت تستثير حماسة الجماهير، أصبحت اليوم هامشية في حياة المواطن، ولم يعد لها ذلك التأثير، والانفعالات السابقة بل على العكس تماماً الاستهجان والفتور والشفقة على ما يتمسك بثوابته وطناً وديناً.

وبدلاً من قيام الحكومات العربية بالسعي إلى إعادة التوازن للشخصية العربية - التي أصبحت تعاني من الحتّ والتآكل والتصدع ودعمها الثقافي والمعنوي أمام موجة التخلخل والانهيار، نجد الكثيرين من تجار الإعلام العربي ومروجي الإعلانات التجارية الفاسدة قد أطلقوا العنان للثقافات الغربية الغازية في عملة لإمتاع وترفيه أجوف للإنسان العربي، وجعله صوراً حالمة عن الرفاهية الغربية الفارغة، وتستهدف إلهاء المواطن العربي عن واقعه وشل دوره الحضاري وسط خضم الأحداث العالمية، وإغراقه وسط حمى الاستهلاك الرخيص لكل شيء، والتعلق بكل ما هو براق قادم من الغرب.. من عطورات وأزياء، وسيارات فارهة، وعادات وتقاليد تتنافى مع تراثه، وقيمه وأخلاقيته التي تربى عليها هو وأسلافه وأجداده.. أين تقف من كل هذا الرقابة الإعلامية العربية التي

يفترض فيها أن تكون مركز تفتيش حدودي تصادر السموم الإعلامية المهربة والإشاعات المحبوكة الهادفة لتدمير العقل والجسد، وبالأخص تلك التي تعبر في وضح النهار، ومن على شاشات التلفزة العربية ذاتها، عبر الأفلام والمسلسلات والأعمال الفنية التي تروج للحياة المادية الغربية الرخيصة، والتي تقتل الروح والعقل وتفسد العاطفة.. كما عبر الإعلانات التجارية الفاسدة التي تغري المواطن العربي إلى مزيد من الاستهلاك، وكأنه ما خلق إلا ليأكل، ويشرب، ويتلذذ بكل ما هو مستورد وغريب؛ مع أن الشريحة الكبرى من الشارع العربي أصبحت تعاني من الفقر والحرمان.

إن تشخيص الحالة النفسية الراهنة لرجل الشارع العربي قد أغرت الغرب بثقافاته الغازية، كما أغرت في الوقت نفسه تجار الإعلام والإعلان ودور النشر من العرب، وفتحت أمامهم أبواب أرباح هائلة من المتاجرة بتسميم الإنسان العربي عبر أطنان من السموم الإعلامية وكتب وقصص المغامرات العاطفية البوليسية.. وكذلك الفضائيات الهابطة ذات الأهداف الخبيثة.

القصور الإعلامي العربي- أو قل الفراغ الإعلامي العربي في وقت نعيش فيه هذا الطغيان والطوفان من الثقافات الغازية عبر شركات إعلامية غربية عملاقة. لماذا ابتعد القارئ العربي عن الكتاب الجيد المفيد بثقافته القومية إلى الكتب الغربية ومغامراتها البوليسية، أو إلى أشرطة الفيديو والكاسيت الخلاعية؟ أو إلى الفضائيات ذات الأهداف الهابطة تماماً مثل المجلات والصحف الصغراء.

لماذا أصبح التلفاز – بأقنيته ومحطاته الغربية خصوصاً – على تفاهته وسخافاته هو الجليس المحبب من الصباح الباكر وإلى ما بعد منتصف الليل، وفي دوائر العمل وأمكنة الوظيفة الرسمية وليس في المنزل فحسب، ولدى كافة الأعمار من الأطفال والرجال والنساء دون تمييز؟!.

من هو المسؤول عن عملية الاغتيال البارد والتدمير البطيء للعقل والروح معاً، خلال تخدير الإنسان العربي وشل حسه الوطني، وإلهائه بعيداً عن الوعي والإدراك لما يجري حوله؟!

الشارع العربي بسبب فراغ إعلامي عربي كبير، هادف وبناء أصبح مغزواً هذه الأيام وعبر جميع وسائل الإعلام الغازية والمسرحية والسينمائية. جلها مترد في مستواه، عقيم بمحتواه، أصحابها يتسابقون للوصول إلى الهاوية لا إلى القمة بعرض العملات الأشد رداءة لأنها الأكثر رواجاً واستهلاكاً، والقمة لديهم هي في بلوغ الأرباح الهائلة.

ومظاهر الفراغ الإعلامي العربي – أو قصوره عن أداء مهامه الوطنية كثيرة ومتعددة الجوانب نذكر منها:

- إنتشار الأمية والجهل لدى الشارع العربي عموماً، مع اختلاف النسبة من بلد عربي لآخر وحسب تبعيته لهذا البلد أو ذاك!.

- عدم كفاية الإنتاج الثقافي والإعلامي العربي على مستوى الوطن العربي، ناهيك عن عدم وجود تضافر إعلامي عربي وتعاون مشترك ؛ وهذا نابع من الوضع العربي المفكك عموماً، ومن واقع الانقسامات والخلافات العربي، وآثارها

البغيضة، ففي الوقت الذي يشكل فيه العرب بمجموعهم السكاني أكثر من مـائتي مليون نسمة أي ما يعـادل 3.5 % مـن سـكان العـالم، نجـد أن الكتـاب العـربي لا يشكل أكثر من 1.1% من حجم الإنتاج العالمي للكتاب وفي الوقت الذي نجد فيه أوروبا وأمريكا 330 جريدة ودورية لكل ألف مواطن، فإن هذه النسـبة لـدينا في الوطن العـربي تـنخفض إلى 33 نسـخة في الصحف العربيـة لكـل ألـف مـواطن.. ناهيك عن أن وكالات الانباء العربية يكاد يقتصر دورها على بث وتكرار ما تنقله عن وكالات الانباء الأجنبية مثل رويتر، وأسوشيتد بـرس، وفـرانس بـرس ، وأف ب الفرنسـية وغيرهـا.. تلـك الوكـالات الأجنبيـة التـي تنظـر إلى الأحـداث العربيـة والعالمية من زاوية مصالحها الإستراتيجية، وتلونها وفق أهدافها، وتبرز مـا ترغـب بإبرازه مثل مقتل الأميرة ديانا أو الأميرة الإنجليزية آنا عن ظهر حصان، هـذا وإن 80% من حجم المعلومات عـن الأقطـار العربيـة وأحـداث الـوطن العـربي تنقلـه وسائل الإعلام العربية عن تلك الوكالات الأجنبيـة المغرضـة، وبشـكل يخـدم فيـه تلك الثقافات الغازية عن قصـد أو غـير قصـد .. بـل إن الصحافة العربيـة تكـرر نفس التعابير والتراكيب الإعلامية الغربية والصهيونية مثـل الأصـولية؛ والأصـوليين الإسلاميين؛ الإسلامية والمتطرفين الإسلاميين ... ونحو ذلـك تلـك التراكيـب اللغويـة الغربيـة أصـلاً عـن الثقافـة العربيـة والشـارع العـربي، والتـي صـنعتها المؤسسـة الإعلاميـة الصـهيونية بغـرض تشـويه الإنسـان العـربي والإسـلامي ومسـح هويتـه واستعداء شعوب وأمم الغرب عموماً على العرب وتراثهم القومي والإسلامي معاً.

هذا الفراغ الإعلامي العربي جعل الإنسان العربي نهباً للغزو الثقافي وتقبل الإشاعة المغرضة بكل مظاهرها، كما زعزع ثقة المواطن العربي بأجهزته الإعلامية الوطنية فراح يبحث عن نشرات الأخبار في الإذاعات الأجنبية، مثل راديو لندن أو مونتي كارلو أو صوت أمريكا.. ونحو ذلك في محطات التلفزة الأجنبية مع ما يعني كل ذلك من ضياع الإنسان العربي وانجرافه وراء الحملات الإعلامية الغازية التي تستهدف غسل دماغه وإعادة قولبة ذهنيته وتشكيل شخصيته ليصبح إنسانا آخر عديم الانتماء، عديم الجذور، مبهوراً بكل ما هو آتٍ من الغرب ولو بالسموم التي تفتك به!.

■ تزايد مساحة الفقر المادي والمعنوي في الوطن العربي[1]: إن نهب ثروات الوطن العربي وإفقار اقتصاد الوطن وجعله تابعاً استهلاكياً للدول الغربية، يشكل الغرض الرئيسي للثقافات الغازية. وهذا بدوره يؤدي إلى اتساع مساحة الفقر المادي لدى الشارع العربي في شريحته الغالبة. وإن إفقار الإنسان العربي وحرمانه وتجويعه يشكل في الوقت ذاته ثابتاً استراتيجياً لتلك الدول التي تتطلع إلى الهيمنة والسيطرة على الوطن العربي وثرواته.. ذلك أن إلهاء المواطن العربي برغيف خبزه وقوته اليومي، وحاجاته الضرورية.. سيؤدي إلى صرفه بعيداً عن الثقافة الوطنية أو التفكير بتلك الثقافات أو القوى الغازية. فجل اهتمام الإنسان

1 يعد الفقر ظاهرة اجتماعية اقتصادية متعددة الأبعاد متباينة الأسباب ، تحدده المستويات الاقتصادية والاجتماعية ، ضمن عوامل أخرى في الدولة . ولايعني أن الفقر بالضروة الحرمان أو الجوع أوقلة الموارد ، وإنما يكمن في وجود التفاوت الشديد في الثروة والدخول سواء بين الأفراد على مستوى المجتمع المحلى، أما الدول على مستوى المجتمع الدولي . لا يوجد تعريف واحد متفق عليه للفقر ، نظراً لتداخل العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، التي تشكل ذلك التعريف وتؤثر فيه . وقد وضع بعض الاقتصاديين مفهومين هما : الفقر المدقع والفقر المطلق . أما الفقر المدقع فهو الحد الأدنى من الدخل الذي يجب الحصول عليه لإشباع الحاجات الغذائية الأساسية للإسرة . وأما الفقر المطلق فهو الحد الأدنى من الدخل الذي يجب الحصول عليه ، لإشباع الحاجات الغذائية الأساسية وغير الغذائية مثل الملابس والسكن والتعليم والصحة .

العربي يصبح منصباً على تأمين رغيف خبزه، وهو لا يقوى بهذه الحالة على شراء الكتاب أو الجريدة ليتسلح بالثقافة الوطنية المفيدة - التي تشكل الأمن الاستراتيجي والحصن الحصين في مواجهة أغراض الغزو الثقافي والاستعماري معاً . . وهكذا فإن القوى الأجنبية والطبقات الطفيلية المرتبطة معها تعمل على زيادة مساحة الفقر والحرمان لدى الأقطار العربية. وهذا بدوره يخلق الشروط المواتية لتقبل الإشاعة والثقافات الغازية، والقوى الاستعمارية الغازية في نفس الوقت لعدم وجود من يقف في مواجهتها. فغالبية المواطنين العرب منهمكون وراء الرغيف، ولا يعرفون ماذا يدور حولهم، وماذا يحاك ضدهم في الخفاء، بل قل لا يريدون أن يعرفوا وهذا هو المطلوب! وهناك الفقر المعنوي، وهو أشد خطراً من الفقر المادي. ويعاني منه أولئك الأثرياء الذين بلغت بهم التخمة حداً، أصبحوا فيه لا يشعرون بالانتماء سوى لثرواتهم وقصورهم، وأنديتهم الليلية.. أين سيقضون سهراتهم على الموائد المفتوحة وعلى أنغام الموسيقى الصاخبة؟ أين سيقضون إجازتهم الصيفية في جزر هاواي، أم جزر كاناري؟ .. أم في ولاية ميامي الأمريكية؟ أم في شارع الشانزي ليزة في باريس.. أم في شوارع لندن، التي كتبوا عنها - بأنها تبدو عربية تماماً في الصيف؟! حتى شوارع لندن تستقبلك صيفاً - وشتاءاً - بأجوائها العربية - حسب زعمهم - لافتات بالعربية؛ شارات على الطرقات والساحات كتب عليها بالعربية مثل عبارات:

(الزم اليسار - ممنوع المرور - لندن ترحب بكم - أهلاً وسهلاً بكم بعد منتصف الليل - .. وهكذا).

وفي حانات اوروبا وأمريكا، وفي ملاهيها وقصورها وأندية قمارها – فإن صفة العروبة، كلمة (عرب) لا تطلق إلا على أولئك الذين يعيشون بعيداً عن مشاعر الغالبية العظمى من العرب؛ ممن يطلق عليهم الغرب عن سابق تصور بـ (الإرهابيين). المثقفون والوطنيون والمناضلون من أجل إستعادة حقوقهم ووحدة أمتهم – هم في نظر الغرب بـ (إرهابيين سوريين أو فلسطينيين أو متطرفين إسلاميين أو أصوليين أو جماعات إسلامية) وهكذا!. وهؤلاء الأثرياء الذين يشكلون طبقة مخملية وشريحة مميزة في الأقطار العربية، يعيشون في بلادهم العربية – إن وجدوا فيها لبعض الوقت – خارج مشاعر الإنتماء العربي، وخارج الثقافة القومية؛ وثقافتهم لا تتعدى معرفة كيفية الحجز بالفنادق الأوروبية عبر المكاتب السياحية الأوروبية العديدة المنتشرة في حواضر بلادهم، والتي أنشئت خصيصاً لهم، كيف يمكنهم إستقبال محطات التلفزة الأمريكية والأوروبية عبر الأقمار الصناعية وبواسطة أجهزة خاصة معقدة، وبعد تركيب هوائيات تلفاز ضخمة – مثل الصحون الطائرة – على أسطح منازلهم، بل قل على أسطح قصورهم لتميزها عن مساكن عامة الشعب!.

هؤلاء الأثرياء المتخمون – يشكلون الطبقة الطفيلية في الوطن العربي، التي نمت بسرعة وانتشرت بسرعة، والتي ربطت مصالحها بمصالح خارج أوطانهم وبعض هؤلاء يشكلون اليوم في أوطانهم رأس جسر عبور كافة الطامعين بالأرض العربية؛ وتجمعاتهم التي يعيشون بداخلها أشبه ما يقال عنها بأنها مستوطنات مثلها مثل مستوطنات الصهاينة.. هؤلاء هم صهاينة الداخل من

المجتمع العربي، وهم أشد خطراً وفتكاً على العرب من صهاينة الخارج؛ وهم أكثر فقراً بحسـهم الثقـافي والقـومي بكثـير مـن أولئـك الفقـراء المحـرومين مـن عامـة الشعب! وهم أداة صهاينة الخارج وأملهم وغايتهم في نفس الوقت، وهـم الـذين ترتفـع أصـواتهم اليـوم في حـواضر العـرب - دون حيـاء أو خجـل - بقبـول كـل إفرازات الغرب بغثّـة وسـمينة وربـط مصـيرها بمصـيرهم إلى الأبـد والإنسـلاخ إلى حضارتنا وتاريخنا.

ومع تزايد مساحة الفقر المادي والمعنـوي في الـوطن العـربي، تـزداد فـرص الغزو الثقافي والهيمنة الثقافية والسياسية والاقتصادية على الوطن العربي عمومـاً وتتفشى الإشاعة كما في النار في الحطب الجاف.

وبين هـؤلاء الفقـراء والمحـرومين مـن عامـة الشـعب مـن العـرب والـذين يشكلون شريحة واسعة، وهؤلاء الطفيليين من الأثريـاء المتخمـين.. توجـد طبقـة، بل قـل شريحـة مـن المثقفـين العـرب الـذين يتململـون مـن أجـل إنقـاذ أمـتهم والحفاظ على تراثهم وكيانهم الثقـافي الحضـاري .. هـؤلاء يقتطعـون ثمـن الـورق وثمن الكتاب من ثمن الرغيف؛ لأن الثقافة وهمومها، لـديهم لا تقـل أهميـة عـن تأمين الرغيف والغذاء.

وإذا عدنا إلى ما كتبه الصهاينة بأنفسـهم في بروتوكـولات حكمائهـم - بـل قل خبائثهم منذ نحو مائة عام، نجـد أن مـايجري في الـوطن العـربي اليـوم لـيس محض صدفه، بل عملاً مدبراً مبرمجاً بدقة فائقة من تلك القـوى والأبالسـة التـي تتطلع إلى ابتلاع الوطن العربي وشعوب أخرى في العالم.

لنقرأ معاً ما ورد في البروتوكول الثالث عشر من بروتوكولات خبثاء صـهيون – التي عرفتها أوروبا لأول مرة عـام 1903م وبالطبعـة الروسـية لناشرهـا الـروسي سيرغي نيلـوف – حيـث ورد بحرفيـة الـنص: الحاجـة اليوميـة إلى الرغيـف تلـزم الغويم – أي غير اليهود من الأمم والشعوب – أن يخلـدوا إلى السـكينة، ويكونـوا خدماً طـائعين لنـا. والعمـلاء الـذين نختـارهم مـنهم لخـدمتنا سـيقومون بصرف أذهان الجمهور عن مناقشة الأمور السياسية بمـا ندعيـه بأنـه الجديـد المختـار في باب الإبتكار، وندع الجمهور من الغويم يخوض في هذا ويسبح مـا شـاء في ذاك.. ولكي تبقى الجماهير في ضلال لا تدري ما وراءها وما أمامها ولا ما يراد بهـا، فإننـا سنعمل على صرف أذهانها بوسائل المباهج والمسليات والألعاب والـلـهو وأشـكال الرياضة، والإكثار من القصور، ومفاخر الطعـام والملـذات والشـهوات، ثـم نجعـل الصحف والمجلات توجه عقولهم إلى انتحال كل تافه مـن العقائـد يرونـه جديـداً ومقبولاً.. أما رؤية الصحيح بجلاء ما خلفت إلا لنا – نحن شعب الـلـه المختار.

وبرغم ما ذكرنا عن المترفين إلا أننا لا نقول ذلك حـداً وحقـداً لغنـاهم بـل لأن تاريخنا يخبرنا أن الأثرياء يجب أن يكونوا أتقياء الأمة والأكـثر بـذلاً لخـدمتها ولنا في قدوتنا من الصحابة والصالحين أمثال الخليفة عثمان بن عفان الـذي جهـز جيش المسلمين بكـل مالـه وعبـد الـرحمن بـن عـوف الـذي مـا بخـل في تجهيـز المجاهدين. أفلا نكون مثل هؤلاء الذين خرجوا من صحراء قاحلة حـاملين رسـالة ربهم ونشورها عبر العالم وفي كل الدنيا.

المبحث الثاني

الأهداف الإستراتيجية للإشاعة

الاجتياح العسكري والغزو الثقافي

كما تعرضت أمتنا العربية والإسلامية عبر تاريخها الطويل لغزوات وهـزات وحملات، استهدفت استلاب أرضها، وإركـاع شـعبها ومصـادرة هويتهـا بـدءاً مـن الفرس والروم والمغول والتتار والصـليبيين. إلى الأتـراك العثمانيـين؛ إلى الأوروبيـين من المسـتعمرين وانتهـاء بـالغزاة مـن الصـهاينة والصـليبيين الجـدد.. وحملاتهـم المدججة بكافة أسلحة العصر ما تزال ماثلة أمام أعيننـا اليـوم.. كـذلك أيضـاً فـإن الثقافة العربية والإسلامية - التي هي عنـوان هويتنـا القوميـة - كانـت بـدورها وجهة سهام الغزاة جميعهم بغية تذويب الشخصـية العربيـة ومصـادرة الانـتماء العربي، وتجزئة العروبة وتفكيكها إلى عناصر قطرية ضيقة بشكل يسهل فيه عـلى الغزاة ابتلاع الأرض العربية وقضمها وهضمها على مراحل، واقتلاع الوجود العربي ونسف الانتماء إليه من الجذور مع تغيير كافة ملامح ومعالم الشخصـية العربيـة والتراث العربي الإسلامي.. وإذا كان الاجتياح العسـكري يهـدف إلى الاسـتيلاء عـلى الأرض والثروات، فإن الاجتياح الثقافي يهدف إلى الاستيلاء على الروح والعقل.. وفي المحصلة اغتصاب الهوية القومية والإسلامية، جنباً إلى جنـب مـع اغتصـاب الأرض والأجساد. على أن الاجتياح الثقافي قد يسبق الاجتياح العسكري.

ومن خلال التجارب التاريخية لأمتنا العربية، التي حافظت على هويتها المتميزة رغم كافة محاولات الاستلاب والتذويب، يمكن إبراز الغزوات الثقافية والعسكرية التالية:

أ. الغزو الصليبي وحملة الفرنسة للثقافة العربية ومع أن الحملات الصليبية ضمت في صفوفها قطعان الغزاة من الأوروبيين كافة، إلا أن الفرنسية كانت الصفة الغالبة بسبب دور الأمراء والكهنة الفرنسيين في قيادة الحملات الصليبية التي انطلقت لأول مرة من أراضيهم – من كلريمونت في فرنسا.

لقد ترافق الاحتلال الصليبي الاستيطاني للأرض العربية مع فرنسة الثقافة العربية بغرض قطع كافة الجذور التي تربط الأرض العربية بأصحابها الشرعيين.

1. الغزو الصليبي والحمله الفرنسية :

ومع ان لفظ"الغزو الثقافي"لم يكن مستخدماً بصريح العباره لتلك الحقبه من الزمن، ولكنه كان يمارس بمضمونه جنباً الى جنب مع الفعل العسكري . وهنا يمكن الاستدلال بما ورد على لسان ملك فرنسا لويس التاسع الذي قاد الحمله الصليبية السابعة في تشرين الثاني 1249 والتي تحطمت في مياه النيل وعلى مشارف القاهرة وقتل عدد كبير من افرادها وقادتها غرقاً،وأسر آخرون ومنهم قائد الحمله القديس لويس التاسع كما كان يلقبونه ..ولما تم تحريره من الاسر بفدية من قبل امراء الصليبية في عكا،مع الاشتراط عليه بعدم العوده الى حمل السلاح ..قال كلمته الشهيره إثر خروجه من سجنه في المنصوره في القاهره وهو في طريقه الى عكا:

"لقد تكسرت الرماح والسيوف ..فلنبدأ حرب الكلمة"

ومن الملفت للنظر في هذا السياق ان حملة نابليون[1] العسكرية على مصر عام 1798م ضمت بالإضافة إلى جيش المقاتلين الفرنسيين،جيشاً آخر من المثقفين والمختصين والباحثين في كافة مجالات الحياة الاجتماعيه والاقتصادية والفكرية والإنسانية مما عرف باسم "إرسالية مصر"والتي شكلت على ارض الواقع اولى حملات الغزو الثقافي المنظم للوطن العربي في العصر الحديث..وليس من قبيل المصادفة انذاك قيام نابليون بقربه من علماء الازهر الشريف والتظاهر بإسلامه ،وإصدار بياناته مسبوقه بعباره "بسم الله الرحمن الرحيم "بغرض اختراق الجدار الديني لجماهير مصر.

2. حملة التتريك التي قادها الاستعمار العثماني بغرض تثبيت استيلائه على الارض العربية والانسان العربي معاً،وتذويب الشخصية العربية وتفتيت هويتها ..هذا وان تلك الحمله الأبشع في تاريخ الغزو الثقافي ، وإن فشلت في تحقيق اغراضها على مستوى الوطن العربي،..ما زال نحو عشرة ملايين عربي يعيشون في ديار بكر ومرسين ولواء الإسكندرون السليب تحت وطأة الاحتلال العسكري والثقافي معاً ًيحظر عليهم التكلم بالعربيه أو التنفس بها ..بل ان اسماءهم العربية

1 نابليون الأول : (1769- 1821) : ولد في أجاكسيو . من أسرة بونابرت . أمبراطور فرنسا (1804 – 1815) . اشتهر في حملة إيطاليا الأولى 1794 والثانية 1796 . قاد حملة على مصر 1798- 1799 فانتصر في معركة الأهرام . جلب من الفاتيكان إلى مصر أول مطبعة عربية بولاق . قنصل أول 1799 ثم قنصل مدى الحياة 1800م. ربط الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية بالدولة (الكونكوردا 1801) . نشر القانون المدني 1804 م. سمي أمبراطوراً 1804 م. اشتهر بانتصاراته في أوسترلز وييناوفريدلاند وفاغرام . عزل 1814 م. انزوى في جزيرة (إليا) . عاد إلى باريس بعد شهور قليلة فتحالفت أوروبا ضده فهزم في معركة واترلو 1815م. بعد حكم المئة يوم . نفي إلى جزيرة القديسة هيلانة حيث توفي .

قد أخضعت لحملة التتريك قسراً عن إرادتهم ، فمنحتهم السلطات التركية أسـماء غيرها فرضتها عليهم.

3. الغزو الاستعماري الأوروبي:

لقد ترافق الاحتلال للوطن العربي مع احتلال ثقـافي لكافـة مرافـق الحيـاة، وما تزال الثقافة العربية في دول المغرب العربي خصوصاً، تعاني من تبعيـة ثقافيـة واضـحة المعـالم، حيـث نجـد عامـة النـاس في دول المغـرب العـربي يتخـاطبون بالفرنسية ليومنا هذا رغـم التوجـه الرسـمي، وحملـة التعريـب لحكومـات تلـك الأقطار العربيـة .. بـل إن هـذه التبعيـة الثقافيـة تحمـل معهـا تبعيـة اقتصـادية وسياسية.

وإنه لإمر ملفت للنظر أن الطلبة العرب من دول المغـرب العـربي يتبعـون دورات خاصة في اللغة العربية كي يتمكنوا من متابعة الدراسة في الـدول العربيـة في المشرق.

4. الغزو الإستيطاني الصـهيوني ... والإجتيـاح الثقـافي الجديـد ومـع الحملـة الصهيونية الاستعمارية التي أسفرت عن غرس الكيان الاستيطاني الصليبي الجديـد عام 1948م ، وما تلا ذلك من حملات توسـع متلاحقـة، شـهدت الثقافـة العربيـة هجمة ثقافية متعددة الجوانـب مـن نـوع جديـد، اسـتهدفت هـذه المـرة غطـاء جديد، استهدفت هذه المرة إيجاد غطاء شرعي لكيان يخالف كـل شرعيـة عرفهـا التاريخ، مع عملية تسويق وتمرير خرافات ومزاعم في ملكية هذه الأرض العربيـة

بالاستناد إلى إسناد توراتية تتناقض مع التاريخ والقانون والدين والمنطق لا تتفـق سوى مع الأطماع الاستعمارية للإمبرياليين [1] كافة.

إن الغزو الثقافي الصهيوني اتسع إلى غزو ديني مـن نمـط خـاص، عـلى كـل من المسيحية والإسلام عبر فربكة المزاعم والإدعاءات بأن الصـهاينة هـم أصحاب دين سماوي مقـدس هـي اليهوديـة، وأنهـا أم ديانـات التوحيـد وأقـدمها، وأنهـم يحكمـون إسرائيـل باسـمها وأنهـم شـعب اللــه المختـار، وهـم وكـلاؤه وأبنـاؤه الخاصين، وأن تلك الإدعاءات موجودة وثابتة في الإسلام كـما في المسـيحية حسـب زعمهم على الآخرين ومـا علـيهم إلا التسـليم بهـا والانصـياع لهـا. لـذلك أطلقـوا العنـان لحملـة إعلاميـة مركـزة وعـبر سـنوات طـوال وبجهـد مكثـف إلى تهويـد المسيحية والإسلام من الداخل وإنشاء المذاهب الدينية والطائفية بشكل تبدوا فيـه مزاعمهم وكأنها اكتسبت شرعية السماء، وشرعية القانون، إن الفكـرة التـي روجـت لها الصهيونية "إن اسرائيل لا تأبه بأية قـوانين أو أعـراف أو مواثيـق دوليـة، وتنظـر لأعمالها هذه ولأطماعها في التوسـع بمقـولات باطلـة حينـاً وخرافيـة أحيانـاً، ورغـم ذلك تصبح هذه المقولات مع الوقت وبفعل الجهـد الصـهيوني المخطـط والمكثـف، وبدعم من القوى الإمبريالية والقوى الحاقدة على الأمة العربيـة والإسـلامية وكأنهـا مقولات صحيحة يطالبنا الكثيرون بالأخذ بها، ويتحدثون عنها وكأنهـا اكتسـبت كـل عنـاصر الشرعيـة المنطقيـة، وتتحـول مـن مقـولات باطلـة أو خرافيـة إلى مقـولات

1 الإمبريالية : تتضمن كل أشكال التوسع والسيطرة . وتنطبق على الدول التي تسـعى للتحـول إلى إمبراطوريات . وهي مذهب سياسي يبرر اللجوء للقوة الغـير عسـكرية لإنشـاء إمبراطوريـة بهـدف التوسع والسيطرة على شعوب مختلفة ومتعددة الثقافات ، وإخضاع هذه الشعوب لسلطة معينـة سياسياً وإقتصادياً .

منطقية عادلة في نظر الكثيرين في أنحاء العالم، ويتطاير الكثير من شرر هذه المقولات إلى الساحة العربية، ويتلف بعض خلايا الدماغ العربي، ولكن أصالة الأمة ووجدان الجماهير العربية والإسلامية يعوضان هذا التلف، وقد برهنت التجربة أن هذا التعويض يفوق كثيراً ذلك التلف ويتجاوزه على حد يصبح فيه التلف مع الزمن أثراً بعد عين وضمن المذاهب المتهورة يمكن أن نذكر البهائية[1] والقاديانية [2]، وشهود يهوه، والمجيئين، والسبتين [3] والمورمن... ومذاهب مسيحية عديدة تم صنعها في أحضان الطغمة المالية الاستعمارية المرابية بغرض ملائمة المسيحية الدينية مع أغراض الاستعمار الجديد تحت ثوب الإصلاح الكنسي المسيحي الذي تزامن مع تطلع الغرب إلى الغزو والاستعمار .. وجوهر المذاهب الدينية المتهورة في تفضيل بني إسرائيل وإنهم شعب اللـه المختار وأن المسيح عيسى عليه السلام جاء لإنقاذهم وبشر بعودتهم، وأنه سيعود اليهود إلى أرضهم ومنها سيحكمون العالم ألف سنة قبل مجيء السيد المسيح عليه السلام وأن قيام إسرائيل عام 1948م جاء تحقيقاً لنبوءات الكتاب المقدس، وعلى المؤمنين كافة أن يساعدوا اليهود في العودة إلى ارض إبراهيم من الفرات إلى النيل كي يسرعوا من مجيء السيد المسيح وعودته في يوم الخلاص.

---

1 البهائية : فرقة ضالة ، مقرها الأساسى إيران ، ومنشؤها من الإثنى عشرية ، وتنسب إلى " بهاء اللـه " ، لقب " ميرزا حسين على نورى" (1817- 1892م) ، المولود في " نور " من أعمال مازندران بإيران ، والمتوفى بعكا بفلسطين ، وكان مسلماً شيعياً ، ولكنه اعتنق المذهب البابى ، ثم بعد مقتل الشيرازى الملقب بباب الحقيقة ،ومؤسس البابية ،زعم أن الباب تنبأ به، ودعا إلى مذهب يوحد بين الديانات جميعاً، وأبطل العبادات، وأسقط التكاليف ووضع قرآناً أسماه " الكتاب الأقدس " . واعتقلته السلطات الإيرانية ، ففرإلى بغداد ، ثم انتقل إلى تركيا ، فاعتقلته السلطات التركية في أدرنة ، ثم نفته إلى عكا . والبهائية في صلاتهم يستقبلون عكا حيث قبربهاء اللـه ، ثم يحجّون إلى شيراز حيث مكان ولادة الباب المؤسس للبابية . وواضح أن لا صلة للبهائية بالإسلام .

2 القاديانية أو الأحمدية : مذهب أنشأه في قاديان بالنجاب ميرزا غلام أحمد 1888 م. حاربه علماء الإسلام.

3 السبتيون : طائفة من البروتستانت نشأت قي القرن التاسع عشر .

وضمن هذا الإطار تم إنتاج عشرات الأفلام السينمائية وبثها عبر محطات التلفزة الأجنبية والعربية حول السيد المسيح عيسى عليه السلام، صهيونية المضمون استعمارية التوجه، تظهر السيد المسيح داعية يهودية، يدعوا العالم إلى مساعدة بني إسرائيل وأنه جاء يبشر بخلاصهم وأنهم سيعودون ويحكمون العالم.

إن الغزو اليهودي للمسيحية والإسلام وإن بلغ ذروته في الآونة الأخيرة، ولكنه في سياقه التاريخي قد بدأ مع ظهور السيد المسيح عيسى عليه السلام ودعوته الفاضلة السمحاء للخلاص من المادية اليهودية الطاغية، وبهذا الصدد يمكن الاستدلال بما جاء على لسان المسيح عليه السلام محذراً من مكر اليهود ونفاق كهنتهم بقوله: (إياكم والأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بلباس الحملان، وهم من داخلهم ذئاب خاطفة .. من ثمارهم تعرفونهم).

كذلك فإن اليهودية قد أعلنت الحرب على الإسلام مع بدء دعوته النبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم، ولما فشلت اليهودية في وقف انتشار الإسلام وتعاظمه لجأ دهاقنتهم وخبثاؤهم إلى النفاق و المكر والخديعة بغرض اختراق الإسلام من الداخل، فأظهروا الإسلام، وأبطنوا الشر به وبتعاليمه، ومزقوه إلى فرق دينية ومذاهب سياسية بغرض تفريغه من مضمونه الثوري والحضاري الإنساني، مما ترك آثاره السلبية ليومنا هذا.

على هامش الغزو اليهودي الديني:

حول دور اليهود في تمزيق وحدة المسلمين وتفريقهم إلى فرق متناحرة ومذاهب شتى يمكن العودة إلى ما عرف في الفقه الإسلامي بـ "الإسرائيليات" وهو ما وضعه دهاقنة اليهودية ممن أظهروا إسلامهم من شروحات وتفاسير القرآن الكريم، ومن أحاديث ملفقة عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في خدمتهم.

المبحث الثالث

التشويه الثقافي

وسط حملة العداء للعرب والمسلمين

إن الثقافة العربيـة هـي تعبـير عـن الهويـة العربيـة. وإن تشـويه الهويـة العربية وصورة الإنسان العـربي لـدى الإنسـان الغـربي، قـد ارتـبط بشـكل مبـاشر بعملية الغزو والاجتياح بشقيها العسكري، والثقافي.

فالاجتياح الصليبي للمشرق العربي قام به الغزاة الأوروبيـون تحـت حملـة إعلامية مركزة، لتحرير بيت المقدس من "الكفرة المسـلمين العـرب" ويمكـن بهـذا الصـدد الرجـوع إلى تـاريخ الحـروب الصـليبية، ومـا كتبـه المؤرخـون الأوروبيـون بأنفسهم عن ذلك.

بل إن هذا الغطاء الحضاري للإنسان الأوروبي الذي يقابله في الوقـت ذاتـه تشويه حضاري للإنسان العربي، قـد تـم إدراجـه علانيـة دون حيـاء في نـص صـك الانتداب الذي فرضته الدول الاستعمارية في ميثـاق عصـبة الأمـم المتحـدة حيـث جاء [1] بحرفية النص (يشكل رفاه هذه الشعوب ونموها، رسالة حضارية مقدسـة ، وينبغـي أن تحـوي الشرعيـة الحـاضرة للعصـبة - أي الميثـاق - ضـمانات كافيـة لتحقيق هذه الرسالة)... وقد ركـز تيـودور هرتـزل في مؤلفـه (الدولـة اليهوديـة) الذي صدر له في أوروبا عام 1902 م عـلى توظيـف تلـك الصـورة الهمجيـة التـي

---

1 المادة 22 من ميثاق عصبة الأمم المتحدة.

استقرت لدى الإنسان الغربي عموماً على الإنسان العـربي بغيـة اسـتدرار العطـف الأوروبي على مشروعه الاستعماري بقوله:

(سنكون جزءاً من السور الأوروبي المرفوع وسط المشرق العـربي .. سـنكون بناة الحضارة المدنيـة في مواجهـة التخلـف والبربريـة) [1] وبعـد انحسـار الاحـتلال العسكري الأوروبي للوطن العربي في معظم أقطاره، لم تتغير تلك الصورة المرسومة عن العرب لدى الغرب عما كانت عليه .. بل انتقلت الحملـة الإعلاميـة إلى مزيـد مـن التشـويه والتزويـر، وذلـك لأن المطـامع الإسـتعمارية لم تـنحسر بعـد زوال الاحتلال بل شهدت مداً جديداً ارتـبط بشـكل مبـاشر مـع المـد الغـربي الصـهيوني المشترك في المشرق العربي. لذلك قامت المؤسسة الصهيونية بما تملكه من مؤسسـة إعلامية ضخمة في أوروبا وأمريكا بترسيخ تلك الصورة القائمة عن الإنسان العـربي، وتعميمها وتعميقها عبر كافة وسائط الإعلام والمناهج التعليمية الغربية حتـى إذا ما ذكر اسم العربي أمـام الطفـل الأوروبي والمثقـف الأوروبي عمومـاً، فـإن صـورته ترتسم أمامهم بذلك البدوي الذي يقـف إلى جانـب الجمـل والخيمـة والعقـال .. ولـه ذنـب .. أو يفـترس امـرأة . والآن تحولـت هـذه الصـورة إلى صـورة الإرهـابي الأصولي.

ومع اكتشاف النفط العربي وظهور طبقة من الأثريـاء العـرب –– انتقلـت المؤسسة الإعلامية الصهيونية إلى نوع جديد من التشويه بأن ركـزت عـلى جانـب الترف والبذخ لدى حفنة مـن أولئـك، ارتسـمت صـورة قائمـة أخـرى عـن العـربي

---

1 ترجمة عن النص الروسي.

أمام الإنسان الغربي عموماً يظهر فيها العرب، وكأنه لا شغل له في الحياة سوى مضاجعة النساء، وشرب الخمور وسط الراقصات وبناء القصور والعبث بأموال طائلة من الدولارات لا يعرفون عدها أو تمييزها بل يحملونها رزماً وأكياساً على ظهورهم .. وقد أنتجت المؤسسة الصهيونية الأمريكية عشرات.. بل مئات الأفلام السينمائية بهذا الصدد وعلى سبيل المثال لا الحصر أذكر منها:

فيلم القوة – عام 1986م حيث يقدم صورة فاجرة عن مشايخ النفط الذين يتدخلون في حملة الانتخاب لصالح فوز رجل مال أمريكي بعضوية الكونجرس لأنه "يعارض استخدام الطاقة الشمسية".

فيلم "الحياة والموت في لوس انجلوس – عام 1985م" الذي يتعرض في جوهره لمحاولة أحد العرب – حسب زعمهم – اغتيال رونالد ريغان[1] أثناء مرور موكبه، وهو يلقي بنفسه من أسطح إحدى العمارات المطلة على الموكب وهو يصرخ بالعربية – مع دبلجة بالإنجليزية – الموت لأمريكا وإسرائيل .. الله أكبر".

فيلم "نحو الليل – 1985م" ويتحدث حول مجموعة من قطاع الطرق العرب وقد اقتحموا يختاً ثم اغتصبوا الفتيات فيه .. وتلذذهم بقتل العصافير داخل أقفاصها .. وذبح الكلاب وشيها..

فيلم (يا إلهي أيها الشيطان – 1984) يفتخر فيه بطل الفيلم بأنه عربي، مع إبراز دوره الوحشي.

---

1 ريغان (رونالد) : سياسي أميركي عمل في التمثيل السينمائي . ولد 1911 م.رئيس الجمهورية 1981- 1989 م. خلفه جورج بوش .

فيلم " مسألة ليست صغيرة – 1985م" ويظهر مشايخ النفط في مطاردة الفتيات وأن بطلة الفيلم تقول لصديقها:" لقد أصبح رقم هاتفي معروفاً لدى كل شخص يمارس الشذوذ الجنسي على ساحل أمريكا الغربي بسبب ذلك الشيخ الشاذ" (أنظر مجلة العربي – رقم 356 ص 107 تموز 1988م بقلم دكتور جاك شاهين من الولايات المتحدة الأمريكية حول الفيلم الأمريكي).

لقد بلغ هذا التشويه الإعلامي المركز لصورة الإنسان العربي إلى حد أصبح بها الإنسان العربي في دول المهجر يشعر بالخجل من انتمائه العربي، وفي كثير من الأحيان يلجا إلى التستر بجنسيات أمم أخرى، وهذا ما أشار إليه الكاتب الأمريكي من أصل عربي قيس قاسم الذي يشارك في البرامج الإعلامية الأمريكية، فكتب في مجلة (برايد) التي تصدر عن جريدة الواشنطن بوست، مقالة اعترف فيها أن ابنه عبر له عن كراهيته للعرب وهو العربي اللبناني بسبب ما يراه ويسمعه ويقرأه عنهم في الإعلام الأمريكي.

ويضيف قيس قاسم.. هكذا هو واقع الإعلام العربي الأمريكي وإن كان يريد من ابنه أن يكون فخوراً بأصله العربي وقد كتب في مقالته المذكورة عن دور العرب الأمريكيين في الإبداع والعطاء الحضاري للمجتمع الأمريكي ذاكراً سيلاً من أسماء المشاهير العرب لدى الوسط الأمريكي في كافة مجالات الحياة.

وفي سويسرا صدر في العاصمة جنيف في خريف عام 1993 دليل هاتفي للأعوام 1993 – 1995 م مزيناً بغلاف أنيق مع صورة لرجلين بالزي العربي التقليدي (مع العقال) يقفان أمام نافورة بحيرة أ. ليمان الشهيرة ويقول أحدهما

لصاحبه (أنظر .. أنه البترول يخرج من النافورة) بلغة فرنسية لا تخلوا من الاستهزاء والسخرية على العرب عموماً .. مع العلم أنه وزع من هذا الدليل نصف مليون نسخة في سويسرا والمراكز الهاتفية في عواصم العالم، وفي ميلانو في إيطاليا أثناء انعقاد جلسة المحكمة بتهمة الفساد اقتحم القاعة رجل ايطالي بالزي العربي وبيده خنجر وبأخرى كرباج في محاولة ساخرة لإلقاء تهمة الفساد في ايطاليا على العرب فيها.

المبحث الرابع

الإشاعة أداة حرب على الإسلام

لقد انتهت فترة ما سمي بـ "الحرب الباردة" بتلاشي مقولة "الخطر الشيوعي". وبزوال معزوفة الخطر الشيوعي، سقطت ذريعة كبرى كانت الإمبريالية تستخدمها بحذق ومهارة للتدخل في أمكنة عديدة من العالم – خاصة في الوطن العربي. لكن الهيمنة العالمية الجديدة لم تفقد الوسيلة، وسرعان ما وجدتها – حسب زعمهم – في "الخطر الإسلامي.. والأصولية الإسلامية، مع أن الإسلام لم يشكل يوماً خطراً على أية من المجتمعات الإنسانية.

فالإسلام عنوانه سلام، وتحيته سلام وربه الملك القدوس السلام، وأرضه دار السلام، ونجد ذلك دون عناء في كافة سور القرآن الكريم.

ومع أن تشويه الإسلام ليس بجديد على الغرب، ولكنه اليوم أصبح هدفاً معلناً وكأنه هو الخطر الأول الذي بات يهدد العالم – حسب إستراتيجية قادة النظام العالمي الجديد. ويستفيد الغرب من ذلك من توظيف واستثمار الأحقاد اليهودية الدفينة على العرب والمسلمين بغية تفتيت هويتهم القومية، ونسف جذورهم، لأن الإسلام شكل منذ أن عرفه العرب إحدى مكونات القومية العربية، وكان مبعث وحدتهم وتحررهم، انطلقوا به من توحيد الله على توحيد صفوفهم في أمة واحدة.

لقد انتقل الغرب في حربة على الإسلام إلى مرحلة العلانية.

فعلى الصعيد الرسمي أعلنت مرغريت تاتشر، وكانت آنذاك على رأس الحكومة في بريطانيا "كان أمام الغرب عدوان اثنان هما الشيوعية والإسلام، وقد تم القضاء على العدو الأول، دون خسائر تذكر. وعلى الغرب أن يقف اليوم في خندق واحد للقضاء على العدو الثاني. الإسلام".

وعلى الصعيد الإعلامي نجد سيلاً من الكتب والمقالات والنشرات الغربية التي تفيض حقداً تشهيراً بالإسلام والمسلمين عامة. ومن ذلك ما كتبه المستشرق الفرنسي اليهودي مكسم رودنسون في صحيفة لوموند الفرنسية في عددها في الاول من كانون اول 1989م حول الخطر الإسلامي بعنوان "الإسلام ... هذا الوباء الإجتماعي الخطير الذي يهدد فرنسا ." إن الحرب مع الشيوعية استغرقت سبعين عاماً، بينما حروب الغرب مع الإسلام بدأت منذ 1300 عام – أي من 920 عام من انطلاق دعوة رسول الهدى محمد (صلى الله عليه وسلم) 620م – وما زالت مستمرة.

وفي منتصف حزيران 1992م خرجت مجلة التايم الأمريكية وعلى غلافها صورة لمئذنة مع يد تحمل رشاشاً مع عبارة : "ألا يجب على الغرب أن يخاف الإسلام؟."

والمؤرخ الأمريكي فرانسيس فوكوياما في كتابه "نهاية التاريخ، والإنسان الأخير" كتب يقول:

يشكل الإسلام الأصولي أحد فروع الفاشية وأخطرها.

والكاتبة الإنجليزية روز لند ملز في كتابها "تـاريخ نسـاء العـالم كتبـت عـن الكعبة في مكة المكرمة، تقول:

في الكعبة، أعظم معبد للمسلمين تجد الحجر الأسود، وعلى سطحه علامـة بارزة لعضو المرأة التناسلي في افتراء فاضح من وحـي الخيـال للتشـهير بمقدسـات المسلمين.

ومن خلال تلك الحملة الساخرة من العداء على العرب والمسـلمين، يجـب أن ننظر إلى رواية "سلمان رشـدي وافتراءاتـه الشـيطانية" التـي جنـد لهـا الغـرب أجهزة إعلامية ضخمة لترويجها والدفاع عنها .. ولم يفت الغرب في حربه الثقافيـة المعلنة من استئجار أقلام رخيصة من وسط الشارع العـربي والإسـلامي وتجنيـدها في خدمة أغراضه العدائية.. بشكل تبدو فيه تلك الأقلام وكأنها رائدة في التجديـد والإبداع الأدبي والفكري، يحدو أصحابها الأمل في نيل جائزة نوبل – التـي تـتحكم بها لجنة أكاديمية في السويد تعمل تحت المؤثرات الصهيونية، وقـد أصـبحت غـير خافية على أحد. يذكر الطاهر بن جلون المغربي في روايته[1] التـي يصـور بهـا رجـل مسلم يغتصب فتاة على تراتيل القرآن الكريم.. وقـد منحتـه فرنسـا جـائزة غونكـور الأدبية على روايته هذه .. اللبناني أبو موسى الحريري في سلسلة من مؤلفاته عن دار نشر (لأجل المعرفة)[2] في نفي النبوة عن الرسول محمـد (صـلى اللـه عليـه وسـلم). الشاعر أحمد سعيد (ادونيس) الذي زعم أن التوراة المترجمة الى العربية أجمـل مـن

---

1 الطاهر بن جلون المغربي: ليلة القدر رواية.

2 ابو موسى الحريري: لأجل المعرفة سلسلة (قيس ونبي).

عربية القرآن بما لا يقاس، فأغدقت عليه أجهزة الإعلام الغربية بفائض من الألقاب السحرية الفاخرة.

إن مدخل هذه الحملة تعبئة ضد روح مقاومة الاحتلال ومقاومة الهيمنة ليسهل على أعداء هذه الأمة تحقيق أهدافهم. بعد انهيار الإتحاد السوفيتي وسقوط ذريعة الخطر الشيوعي عملت الصهيونية من أجل خلق عدو جديد للعالم الغربي بقصد مجابهة بين العالم الإسلامي والعرب في قلبه من جهة أخرى مما يتيح الفرصة لإسرائيل لابتزاز الغرب تحت ذريعة مواجهة العدو المشترك وهو العروبة والإسلام.

إن الذين يحاولون أن يجعلوا مقاومة الاحتلال تهمة عليهم أن يدركوا أننا نرى في أولئك المقاومين الذين يدافعون عن الكرامة وتحرير الأرض مناضلين يستحقون كل التقدير، إننا نقول للذين سقطوا في الشرك الإسرائيلي في حملتهم ضد الإسلام والمسلمين:

"سيبقى الإسلام دين العدل والأخوة والرحمة والمساواة والحرية؛ كما كان في الماضي، وهو اليوم كذلك في المستقبل. إن الإسلام دعوة للحرية والمساواة والعدل وليس دين شقاق. لن يكون الإسلام كما يريده الغرب ستاراً للعورات أو دين مذلة وخنوع. إن العروبة والإسلام هما هويتنا، وانتمائنا، ولن ينجح المشككون في انتمائنا وبقدرة هذه الأمة على النهوض. إن من أهداف الغرب إسقاط العربية وتفكيك العلاقات بين العرب، وإزالة مؤسسة العمل العربي المشترك لتزيل من

أذهان الناس انتمائهم، لأنها تدرك استمرار تدفق المشاعر العربية واستمرار الشعور بالانتماء

لن يحقق لإسرائيل أهدافها. إن دعوة الغرب لإقامة ما أسموه شرق أوسط جديد يشكل مدخلاً للإستراتيجية الصهيونية في الوطن العربي بهدف دمج إسرائيل وغيرها في بنية المنطقة لتقوم بنية جديدة يكون العامل الإسرائيلي فيها هو الأقوى.

إن الإسرائيليين يرون الجانب العربي مسالماً، محباً للسلام فقط عندما يستسلم لمتطلباتهم، ويغور بعيداً عن أمته وحقوقها".

وشهد شاهد من أهلها. فالأمين العام لحلف الأطلسي الجنرال ويلي كلامس أعلن في مؤتمر صحفي في لندن بقوله "(إن الخطر الإسلامي، والأصولية الإسلامية يشكلان أكبر تحدٍ يواجهه الحلف بعد سقوط الحرب الباردة)[1].

ومثل ذلك أعلنه مراراً وزير الدفاع الفرنسي فرانسوا ليتوار [2] في أكثر من مناسبة. (بالصوت والصورة والنشرة المسائية الساعة الثامنة لتلفزيون لبنان محطة l.b.c لنفس اليوم المذكور، أيضاً عن يوم الثلاثاء في 1995/2/28م). على أن مثل التصريحات أصبحت أمراً مألوفاً صباح مساء من إذاعة العدو وصحفه، وفي الغرب عموماً حيث تنشط وسائل الإعلام الصهيونية.. وفي ندوة جامعة (جورج تاون) في العاصمة الأمريكية في واشنطن التي انعقدت في الأسبوع الأخير من

1 ويلي كلامس: مؤتمر صحفي في لندن، 8 شباط 1995.

2 نشرة أخبار راديو لندن بالعربية الثامنة مساءاً عن يوم الجمعة في 30 أيلول 1994م، حول إعلان وزير الدفاع الفرنسي فرانسوا ليتوار في مؤتمر وزراء دفاع حلف الأطلسي اشبيليا في اسبانيا حول موقف الحلف من الخطر الإسلامي.

أيلول لعـام 1994م حـول (الإسـلام السـياسي) والتـي شـارك فيهـا عـدد كبـير مـن الباحثين والمختصين الأمـريكيين، تحـدث الـدكتور ريمونـد بيكـر، أسـتاذ العلاقـات الدولية من كلية وليامز، بمرارة بالغة بقوله:

"إننا في الولايات المتحدة الامريكية نتكلم كثيراً عن عنـف وخطـر وإرهـاب المسلمين، ونغفل عن إثراء الإسلام الحضـاري والثقـافي والإنسـاني. إننـا نخلـط بـين النظـرة إلى الإسـلام بحكـم مصـالحنا السياسـية الخاصـة، وبـين النظـرة الإنسـانية الشاملة، يجب أن لا ننسى أن الإسـلام ظـل سـليماً وحضـارياً ولمئـات مـن السـنين أغنى الثقافة الإنسانية".

إن هذه الحملات الإعلامية تدل على مقدار حجم الإشاعات المغرضـة ضـد العرب والمسلمين وأن تصويرهم بالصور البشعة لتدل دلالة واضحة عـلى اجتهـاد أصحابها في تشويه الصورة عن طريق الإشاعة.

المبحث الخامس

الغزو الثقافي الاجتماعي

1. الغزو الثقافي عبر شاشة التلفاز:

إن الأسرة هي الدعامة الأولى في المجتمع العربي، وأن تفكيكها في المحصلة سينسف البناء الاجتماعي والقومي من الجذور.

الإنسان فضولي بطبعه يرغب في معرفة كل جديد ، ولقد تطورت وسائل نقل المعلومة من الخطاب المباشر للأفراد ومن الرسومات والنقوش الأثرية إلى الشعر والمسرح فإلى الكتابة الورقية فإلى المطابع (الصحف والمجلات ...) فظهور الإذاعة المسموعة فالمرئية ثم أخيرا إلى عالم الحاسوب والانترنت الذي حمل في طياته كل ما عرفه البشر من وسائل إعلامية بالنص والصوت والصورة مع إمكانية تخزينها ونقلها كيفما شئت . فعصرنا بلا شك هو عصر الإعلام ، فما هو الإعلام ؟ .. الإعلام باختصار هو فن توصيل المعلومة إلى الناس .. ومن هنا نلاحظ أن الإعلام يعتمد على قاعدتين :

أولاهما : وجود معلومة يراد إيصالها إلى الناس ، والمعلومة لابد أن تكون صادقة و إلا فهي خيال ، لأن المعلومة مشتقة من العلم وهو معرفة الشيء على ما هو عليه .

ثانيهما : فن التوصيل : وهذا أمر عظيم التعقيد لأن النفس البشرية تستهويها طريقة العرض الفنية فيتحصل الإنسان على المعرفة والمتعة معا . وهذا الفن يتطلب اختيار المذيع من حيث شكله وهندامه ونبرة صوته الخ ...

وإذا كان الناس يعشقون الشعر فليس من طريقة أفضل في نقـل المعلومـة من وضعها في قالب شعري لطيف كما هو الحال عند العرب قبل الإسلام وبعده ، فإن كانوا يعشـقون التمثيـل فلـيس أفضـل مـن المسرح لنقـل المعلومـة بطريقـة ممتعة وهلم جرا، ولكل شعب طريقة تستهويه إعلامياً .

وإذا اقتصر الإعلام على نقـل المزايـا وأخفـى العيـوب فهـو دعايـة وإعـلان غرضه كسب عواطف الجمهور وكسب أموالهـم ، فافهم الفـرق بين الإعــــلان (الدعاية) وبين الإعلام .

وقد تستغل بعض الجهـات الإعـلام بحيـث تسرد بعـض الحقـائق وتمزجهـا بأباطيل و اختلاقات لغاية في نفس يعقوب وهذا إعلام مضـلل وكـم مـن شـعوب انطلى عليها هذا الإعلام المضلل ومثاله تشويه الغـرب لصـورة الإسـلام والمسـلمين لدى المواطن الغربي معتمدين في ذلك قاعدة " أن الحكـم عـلى الشيء فـرع عـن تصوره " فهم يشوهون صورة الإسلام ليسوء الحكم عليه ، مستغلين في ذلك أحـدث الأساليب المدروسة بعلم النفس مع وجود الإخراج والعـرض . إن الـدعوة إلى اللــه من أهم أعمالنا كمسلمين ، ولا شك أن الإعلام ميدان واسـع للـدعوة إذا عرفنـا فـن توصيل المعلومة فنحن من حيث المعلومة لا مشكلة عندنا ولكـن مشـكلتنا في فـن توصيلها للناس ، وهـذا يتطلـب معرفـة الآخـرين وأسـاليب تفكـيرهم ليـتم عـرض القضايا المطلوبة بطريقة فنية تجمع بين صدق المقال وحسن العرض .

إن معظم الناس تحكمهم عواطفهم وليس عقولهم ، ومن هنا كان الإعـلام يستغل هذا الضعف البشري ويتلاعب بالحقائق أو يشـغل النـاس عـن قضـاياهم المهمة عن طريق لفت انتباههم إلى ما يحبون ولو كان في واقع الامر لا يقدم لهم أي فائدة ، ولهذا تجد المادة الإعلامية العاطفية رواجا بين الناس .. ويسـمى هـذا النوع اعلاماً غير هادفا .

لأن الإعلام الهادف يهدف لتحقيق المنافع للناس في حالتي السلم والحـرب ، اما الهاء الناس عن منافعهم فهو عبث ولهو وضلال .

فكل شيء يحتاج الى الإعلام بدايـة مـن التجـارة وانتهـاء بالعقائـد . ونحـن المسلمين لنا خصوصيات إعلاميـة ينبغـي مراعاتهـا في إعلامنـا سـواء كـان موجهـا للمسلمين او لغير المسلمين وهـذا مـن أهـم ادوار أهـل الفقـه والفكـر والتربيـة، فرجال الإعـلام هـم أعـلى طبقـات المجتمـع لأن دورهـم هـو التـأثير عـلى النـاس ليهتدوا فإذا تسلط العلمانيون عـلى الإعـلام فـإن المـراد هـو علمنـة النـاس ، واذا تسلط أهل الفسق والمجون فإن المراد اشاعة الفواحش وقس على ذلك .

والحقيقة اننا نحن المسلمين مازلنا في أمس الحاجة للوصول إلى إعلام جيـد داخليا وخارجيا ، فأغلب إعلامنا مقتصر على الخطاب الـداخلي وبطريقـة تبعـث على الملل واقل ما يقال عنها أنها تجعل المتلقي في حيرة وشـك بـدل الوصـول بـه إلى اليقين .

قال تعالى : " **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ {33/41}**" فصلت: 33

على الإعلاميون أن يدركوا خطورة عملهم فإن الأمر خطير والأمة في حاجة لمعرفة المفيد في الدنيا والآخرة . والدفاع عن الإسلام والمسلمين هو من أهم أوليات الإعلام الإسلامي .

لاشك أن نموذج العولمة الطاغي الذي يعيشه العالم الآن، هو من يمتلك حدود التفسير لما تشهده المنظومة الإعلامية – المقروءة والمكتوبة والمسموعة - من تحولات لافتة في وسائلها كافة ،خاصة في ظل خطابات تدعي فشل مفهوم الدولة الوطنية أمام تصورات عابرة لسيادتها كأحد مظاهر هذه العولمة. صراع يشهده العالم، خاصة في الحقل الثقافي والإعلامي، ما يستدعي قراءته في ضوء هذه المواجهة. إن تعارض الإعلام المعولم في بعده الاتصالي والثقافي والقيمي - المدعوم من قبل المؤسسات الإعلامية العملاقة متعددة الجنسية - مع السياق الفكري والثقافي الذي تعيشه شعوب أخرى يدعو إلى التساؤل عن الدور الذي يمارسه في تحديد ورسم خرائط السياسة والاجتماع والاقتصاد لهذه الشعوب، أو حجم الضغوط والتحديات التي تتعرض لها؟.

لقد كان تأثير العولمة باقتصادها المرن، الملبي لاحتياجات متغيرة، لافتا على انتشار ثقافة "ما بعد الحداثة"ومظاهرها، عبر تأكيد النزعة الاستهلاكية وحضورها الدائم كي تكون بمثابة ايديولوجيا مهيمنة يتم إشاعتها بأثر وسائل الإعلام المتطورة والمرافقة للتقدم التقني في أجهزة الاتصال الالكتروني، ومشاركتها في صياغة نمط إغوائي وترفيهي وإشهاري، وتكريس ما سماه أحد النقاد بـ "أخلاقيات الرغبة" وكأنها صناعة لمفهوم جديد عن "عالم " يسعى إلى

أن يكون كوكبيا أبدا. حتى أن تقدمه لم يعد يحفل بوعود إنسانية وغايات كبرى ، مثل الكرامة والعدالة الاجتماعيـة والحريـة والاسـتقلال، وإنمـا باختراعـات أجيـال جديدة من الحواسيب والكاميرات الرقميـة والهواتـف الجوالـة ، مـا جعـل الآلـة الالكترونية الصغيرة محل اهتمام كبير بدلا من الاهتمام بقضايا الإنسان العادلـة ، وكأنها "يوتوبيا " متشكلة من تكنولوجيا و وسائطية الكترونية متعددة .

لطالما اعتبر مفهوم "ما بعد الحداثة " تحـولا في النمـوذج المعـرفي الغـربي ، حصل بعد الأزمة الفكرية التي رافقت "الحداثة " في منتصف القـــرن المـنصرم ، وظهوره كفكر نقدي مضـاد لهـا و مشـكك بأطاريحهـا المتعلقـة بتراثهـا التنـويري ووعـود أفكارهـا الكـبرى في تحريـر الإنسـان والمجتمـع مـن التبعيـة الشـمولية و طموحها لإضفاء ما هو كوني على الحياة .

توصف " ما بعد الحداثة " في كونها شكلاً جمالياً تجـاوز نمـوذج " الشـكل الحداثي "السـابق عليـه . تجـلى مظهـر هـذا التيـار الفكـري ،في البـدء ، بكتابـات عالجـت مجموعـة قـيم أبداعيـة في أعـمال الفـن والعـمارة والروايـة والشـعر ، وانتظمت بعـد ذلـك في أطروحـة معرفيـة عاينـت العلـوم الإنسـانية والسياسـية والاقتصادية وتطبيقاتها التجريبية في الفضاء الاجتماعي المعـاصر . وبـات خطابهـا يدرس كل شيء في الحيـاة مـن نمـط الإنتـاج إلى الصـور حتـى حقائـب السـيدات ،بوصفه شكلاً من أشكال الحساسية الثقافية الذي يستدعي طرائق تفكـير قـادرة على تحليل ما هو معاصر في حياتنا المعيشية والرمزية على حد سواء.

يتفق أكثر الباحثين على صعوبة تعريف "ما بعد الحداثة"، كون هذا المفهوم يؤسس فعاليته على التجاوز والانفتاح على تحولات دائمة . وهو مفهوم يناقض كل تعريف بذريعة حضوره خارج ما هو حقيقي وثابت. يذكر إيهاب حسن المفكر الأمريكي " أعتقد أن ما بعد الحداثة صارت الآن شبحا، أو عودة لمدلول منفلت من الحدود، وكلما نظن أننا قد تخلصنا منها، ينهض شبحها مرة أخرى، فهي تماثل هذا الشبح، إذ تستعصي على التعريف، أو محاولة وضعها في إطار.أعرف اليوم دونما شك القليل عن ما بعد الحداثية، مقارنة بما كنت أعرف منذ أكثر من ثلاثين عاما، عندما بدأت الكتابة عنها، ربما لأنها قد تغيرت، مثلما تغيرت، وتغير العالم ".

قد نلمس جذور هذا المفهوم في حركات أدبية وفكرية واجتماعية سابقة في الثقافة الغربية . في "الرومانتيكية " التي أبطلت العقل وجعلت من العاطفة المصير الأخير للجوهر الإنساني. وفي أطروحات الفكر " الوجودي " الذي افترض غياب كل معنى كلي للحياة ، لكونه اكتشافاً إنسانياً وليس نتاج عالم موضوعي ، هذا المعنى الذي يظل يماثل وجوده الخاص ومظهره الوحيد وتفرده . كما شاركت موجات اجتماعية رافضة في هذا التأثير ، ظهرت في ستينيات القرن المنصرم كانت داعية إلى محاكمة العقلنة والانجاز التقني والبحث عن طرق أخرى متحررة للحياة من قيدها الأخلاقي والعقلي والمؤسساتي ، بأسباب ويلات حرب فيتنام (1963- 1975) ،والذي تأكدت مواقفها في تظاهرات الطلبة في أوروبا وأمريكا عام 1968 . مثل هذه الخلفيات الصادمة ،هي من

هيأت دوافع واتجاهات لثقافة " ما بعد الحداثة " ، حتى في اهتماماتها الفرعية ، الذي تمثل بعضها ، الاعتزاز بصناعة القيم الترفيهية وإشاعة الحرية الجنسية ، دعم حقوق الأقليات ،رفض العنصرية ، ظهور النزعة النسوية ،الإعلاء من ظاهرة المثلية الجنسية .

اكتسبت "ما بعد الحداثة" بعدها الثقافي بفضل كتابات مفكرين مثل، "فرانسوا ليوتار"، "إيهاب حسن"، "جان بودريارد"،"الان تورين " ، فيما رافقتها أطروحات مجاورة للفكر ألتفكيكي مع " جيل دولوز " ، "ميشيل فوكو"، "جاك دريدا " ، والتي كانت جميعها معنية بنقد وتفكيك المعنى المتعالي المفارق للواقع وهيمنة الفكر السلطوي بنمطه المؤسساتي.أحدثت ثقافة "ما بعد الحداثة " تحولات كبيرة في تعاطي الفهم المشترك للمعنى والأفكار ، بعد تشكيكها بوثوقية السرديات الكبرى الداعية لتوحيد دائم لمفهوم التعدد ،كما جاء بها الفكر الحداثي . وأدى غياب خطابه الإيديولوجي الكلي إلى حضور ما يسمى بالخطاب المفتوح المتأسس على حضور التجربة الذاتية القادرة على مساءلة نفسها باستمرار وانفتاحها على وجود آخر ، يقع ، خارج أقنعة الحقيقة وقوة موضعتها . وفي مجتمع لم يعد قابلاً على تقديم ذاته كوحدة كلية متكاملة ، بل أجزاء مستقلة ، ترتبط عمليا واداتيا بعلاقات تبادلية ، متجاوزة لأي نظام مرجعي . وحيث لكل ثقافة فيه حقيقتها الخاصة بها ، حتى ثقافة الهامش التي لا تخلو من نزوع ايجابي لوجودها . من هنا تتحقق ضرورة الاحتفاظ بطبيعة الاختلاف عن الآخر ولكن في إطار تفاهمي مشترك .

تشير " ما بعد الحداثة " كذلك ، إلى إن اتساع الوعي البشري في عالم كوكبي بامتياز ،لا يمكن له تحديد تعريف نهائي وأخير للمعرفة أو تكريسه في نموذج صوري معين للحقيقة . فالوعي تحول أو كاد أن يكون معلومة والتاريخ ليس سوى حقائق مطردة ، عدا أن لكل جماعة الحق في إضفاء معناها الخاص على أي حدث أو موضوع في هذا العالم .

تحولات لم تطرأ على الثقافة والاقتصاد والمجتمع ، بل كذلك على ادوار المثقفين وفقدانهم لوظيفتهم الاعتبارية ،واختزال دورهم النقدي في عالم تسوده التقنية والاداتية وقوانين السوق ما دفع الكثير منهم إلى الحيادية والتبرير . إن دلالة التقدم في فكر كهذا ليس سوى ممارسة نمطية لمجتمع الاستهلاك الذي يعتمد على إنتاج بلا نهاية للوحدة الاستهلاكية من الموضة حتى الأفكار والقيم .

إن " ما بعد الحداثة " تسعى إلى تشكيل ثقافة كوكبية معولمة ، كنقيض فكري عاين فشل " الحداثة " في تحقيق العدالة الإنسانية ، وتسخيرها الإنسان لعالم التقنية ما جعله يحيا حالة من الاغتراب والشعور الدائم بعدم القيمة . ومن هنا يجب أن ننظر إلى تلك الحملة المركزة التي تشنها وسائط الإعلام الغربية بغرض تفتيت وتقويض الأسرة العربية من خلال ترويج المخدرات، والمشروبات وإفساد الأخلاق وترويج الرذيلة والدعارة عبر ما يسمونه بـ "ممارسة الحرية الشخصية" في إباحية فاضحة تأنف عن مثلها البهائم.

ومع التقدم العلمي واستخدام الأقمار الصناعية استطاع الغرب من وراء البحار والمحيطات القيام بحملة واسعة في غزوه الثقافي، وعلى اقنية بث أصبحت

تغزو كافة بيوتات المجتمعات العربية بشكل لا تستطيع فيه أجهزة الشرطة أو الرقابة من منع ولوجها، ولا يقف أمامها حائل سوى حاجز فولاذي من التمسك بالفضيلة، والهوية العربية، والأصالة والقيم. وكان الصهاينة في مقدمة أولئك الذين يستخدمون محطات التلفزه عبر الأقمار الصناعية لغزو المجتمع العربي من الداخل، فأسسوا لهذا الغرض شبكة واسعة على أراضي دول عديدة مثل إيطاليا وقبرص ومالطا وفرنسا واسبانيا .. والولايات المتحدة الأمريكية ذاتها.. وضمن هذا السياق تبرز أسماء كل من الملياردير اليهودي روبرت مردوخ الذي يملك محطات بث في العديد من دول الغرب تبث أفلاماً خلاعية طيلة 24 ساعة كاملة، والماسوني بيرلسكوني في إيطاليا الذي يملك كبرى محطات التلفزه الإيطالية الخاصة والأولى في القذارة والإباحة في العالم. وتجدر الإشارة هنا إلى وجود محطات بث خاصة تعمل في عدد من الأقطار العربية، في خدمة أغراض تجارية غربية تقع تحت التأثير الغربي في خدمة أغراضه كافة.

2. تدمير الذوق الجمالي العربي وتعميم السلوكية الغربية:

وفي هذا القطاع من الغزو الثقافي نجد انتشار الإعلانات التجارية ذات المسميات والتراكيب الأجنبية الغربية على الذوق العربي مثل "صالون مادونا للتجميل". "وحذاء لافي" وملمع الأحذية "شولا بتلمع لحالها" وشامبو شانتو، وشوكولا لولو، وعلكة لولا وسيل لا يتوقف من الإعلانات التجارية الفاسدة عبر مختلف وسائط الإعلام الأجنبية والعربية والتي تهدف إلى تحويل الإنسان العربي إلى أداة استهلاكية للبضائع الأجنبية والثقافة الغربية مع اكتسائه

ثوباً زائفاً من المدنية والعادات الداخلية على تقاليد وأخلاقية البيئة العربية.. مع الإشارة أن عدداً غير قليل من المسميات التجارية الأجنبية ينحدر من تسميات يهودية توراتية مغرضة مثل ملمع الحذاء، شولا.. أو كولا" وكذلك الحذاء "لافي .. ومنظفات لافي" ولا أدل على ذلك من وجود الإنتاج الحربي الصهيوني باسم (طائرة لافي)، ووجود اسم بارز في عالم الجاسوسية لدى العدو يعرف باسم شولا كوهين التي شغلت عضواً في كينيست العدو، وقد ألقى القبض عليها لأكثر من مرة منذ عام 1948 و 1952 و 1960 في أكثر من قطر عربي لقيامها بالتجسس وممارسة الدعارة.

إن الترويج الإعلامي لنمط من الحياة الاستهلاكية، وعلى حساب المواطن العربي ذاته – لأن قيمة الإعلانات تضاف إلى سعر تكلفة البضاعة المعلن عنها – يعتبر عاملاً مؤثراً في تدمير الذوق الجمالي وتخريب معايير الثقافة العربية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن دولة غربية مثل فرنسا اتخذت من إجراءات الحماية الثقافية لمواجهة ما سماه جاك لانغ وزير الثقافة الفرنسي بـ "الغزو الثقافي الأمريكي" ومنع استخدام المسميات والإعلانات التجارية الغربية عن الثقافة الفرنسية.. فمن باب أولى أن يحرص العرب على حماية المواطن العربي وتحصينه من هذا الطوفان والطغيان للغزو الثقافي الغربي عموماً والصهيوني خصوصاً.

مع العرض أن العدو الصهيوني يحرص كل الحرص على ما أطلقوا عليه بـ "عملية التطبيع الثقافي" والتغلغل في أعماق الإنسان العربي بغية تغريبه عن عروبته "وغسل دماغه" ليكون إنساناً آخر عديم الانتماء، عديم الجذور؛ عديم

الهوية. ومن الممكن هنا التذكير بما قام به وفد من الإعلاميين الصهاينة الذين دخلوا مصر خريف عام 1993م، على أنهم يمثلون دولة خليجية عربية وعلى إحدى طائراتها، وأجروا لقاءات متلفزه مع كبار الفنانين المصريين ممن عرفوا بعدائهم للتطبيع مع العدو الصهيوني مثل فاروق نجيب، والمخرج أحمد ضياء الدين، وحلمي بكر، ومريم فخر الدين، وأمينة رزق وغيرهم ثم قام الصهاينة ببث هذه اللقاءات عبر أقنية بغية التأثير على الشارع المصري وإظهار وطنيته وأحراره بأنهم أصبحوا أعوان العدو الصهيوني ودعاة التطبيع معه.

إن كساء الإنسان العربي غطاءاً جديداً من العادات والتقاليد الغربية، وإلهائه وإفساد ذوقه بكل ما هو جديد من عالم الموضة والأزياء والعطور وضوضاء الموسيقى الغربية الصاخبة يشكل أحد أهداف الغزو الثقافي، وإن كان هذا الغزو يستهدف اجتياح طبقة المترفين من المجتمعات العربية، بشكل يتم فيه ربطها بالأزياء الغربية، واستخدام الحديث المحشو بالكلمات الأجنبية – مثل بنجور، مرسي – أتوكار.. ناهيك عن ابتزاز الثروة الطائلة وتجفيفها لدى أولئك من المترفين، إضافة إلى تجفيف وتفتيت حسها القومي والاجتماعي، بشكل يصبح فيه ذلك الإنسان شخصاً آخر فارغ المضمون مهووس بكل ما هو جديد من الغرب.

إن تعميم الترف الأرستقراطي[1] لدى أثرياء المجتمعات العربية أصبح يشكل أحد محاور الغزو الثقافي والتبعية الثقافية الغربية.. ففي الوقت الذي نجد فيه

---

1 الأرستقراطية : كلمة مشتقة من أصل يوناني يعني حكم الأفضل وهي بمعناها العام تطلق على طبقة الأشراف والنبلاء وأصحاب الجاه ، وهم الذين يتولون الحكم في بلد ما بناءاً على إمتيازات معينة كالمال والمركز الاجتماعي والجاه الذي يتوارثونه أباً عن جد وقديماً كانت هذه الإمتيازات قائمة على الحكمة والمعرفة مثل (جمهورية أفلاطون) وحديثاً فإن الأرستقراطية تطلق على فئة من المجتمع تتميز عن غيرها بما ورثته من مال وجاه ، وأصبح أعضاؤها من جراء ذلك في أعداد الشعب حيث أن الارستقراطي يتعبر نفسه بناءاً على الامتيازات من الطبقة الراقية في المجتمع .

آلاف العائلات الفقيرة في عاصمة عربية كبرى مثل القاهرة تفترش الساحات والحدائق، بل والمقابر والمدافن بغرض السكنى.. نجد في هذا الوقت ذاته طبقة من الباشاوات الجدد تصطحب كلابها معها إلى العواصم الغربية بغرض إجراء عملية جراحية لها، أو استجمام.. وأنه يوجد لها في القاهرة والإسكندرية أنديتها الخاصة، ومقابرها الخاصة، وعيادتها الخاصة، وأن الاعتناء بـ (الكلاب) والبذخ عليها لدرجة اقتناء مربين مختصين للإشراف والسهر على تلك الكلاب برواتب عالية.. في الوقت الذي لا تجد فيه شيئاً من العطف من أولئك المتخمين على أبناء جلدتهم وعروبتهم من البشر الفقراء الذين يعيشون حولهم، وأحياناً على فتات موائدهم ويتكرر ذلك في أكثر المجتمعات العربية شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً.

المبحث السادس

الإشاعة تخترق النظام الاقتصادي والثقافي للأمم

إنه آيدز يصيب الوطن والأمة بفقدان المناعـة، ويـؤدي إلى نخـر شـامل في كافة البنى التحتية والقومية للمجتمع؛ إنه حرب شاملة، ولكنها باردة، هادئـة، لا يرافقهـا دوي المـدافع، حـرب تعمـل وفـق خطـة منظمـة وعـلى كافـة الأصـعدة والمسارات في آنٍ واحد.

والغزو الثقافي الاقتصادي هو محور هام من محاور الاجتياح الثقـافي الـذي تتعرض له أمتنا العربيـة اليـوم.. إنـه بوابـة العبـور إلى الغـزو الاقتصـادي وفـرض الهيمنة الاقتصادية والسياسية معاً، مم أصبح واقعاً مؤلماً مجمل الوطن العـربي في عدد كبير من أقطاره، بشكل أو بآخر.

والغزو الثقـافي الاقتصـادي ينصـب أولاً بـأول عـلى قولبـة ذهنيـة الإنسـان العـربي، وإعـادة صـياغته وتشـكيلها بشـكل يجعلهـا تتفـق مـع متطلبـات الغـزو الاقتصادي، وتنسجم معـه، وتتكيـف وفـق معطياتـه الجديـدة؛ دون معارضـة أو مقاومة؛ وتطلبه بحماس؛ بشـكل يصـبح فيـه الإنسـان العـربي، أفـراداً وجماعـات وحكومات إحـدى مفـردات، ومكونـات، وشروط الغـزو الاقتصـادي الـذي لا يـتم بدونها، وصفّاً من الصفوف المتقدمة التي تشكل اليـوم هيكليـة (النظـام العـالمي الجديد)، وبوابته الخلفية في آن واحد.

إنه يبدأ في المدرسة، وعلى مقاعد الدراسة ومن خلال مناهج تربوية وتعليمية تغلغلت أصابع خفية في صياغة بعض فصـولها، تـارةً تحـت عمليـة تطـوير المنـاهج التعليميـة، وتـارة أخـرى في جعلهـا أكـثر عصريـة ومواكبـة للتقـدم الحضـاري الـذي

يعيشه العـالم.. وهكـذا يـتم تلقـين الطفـل العـربي بـأن الـوطن العـربي - يعـيش على الزراعة؛ وأننا بلاد زراعية.. لا تصلح إلا للزراعة والسـياحة .. وهكـذا. وحتـى في هذا المضمار فقد أصبحت البلاد العربية، في جانب كبير منهـا تعـيش التخلـف الزراعـي، والتبعيـة الزراعيـة للقـوى والـدول والشركـات الغربيـة، وتسـتورد مـن المنتجات الزراعية والمشتقات الحيوانية المصنعة أكثر بكثير وبعشرات المـرات مـما تصدر من إنتاجها الزراعي والحيواني.. أما في الشارع العـربي، وفي خضـم المجتمـع العربي المفكك، والمبعثر كمربعـات شـطرنج، متلاصـقة، ولكنهـا متباينـة؛ فـإن آلـة الغزو الثقافي الاقتصادي تعمل بوتيرة عالية، وبشكل مركز.. تبـدو عفويـة، ولكنهـا في حقيقتهـا غـير ذلـك، وهـي مغرضـة في تنفـث السـموم القاتلـة. في المخـزن؛ في السوق، في المحلات والأمكنة العامة؛ عبر وسائل الإعلام وشاشات التلفـزة العربيـة والأجنبية يقـال للمـواطن العـربي، بـل ويغـرس في ذهنيتـه غرسـاً صـباح مسـاء:" هذه بضاعة ألمانية جبارة.. وهذه معكرونه راقية.. وهذه أقمشة إنجليزية خاليـة من الغش.. وهذه معكرونه إيطالية لذيـذة.. وحتـى الملعقـة والسـكين وصـحون المائدة، والأدوات المنزليـة وكـل مسـتلزماتنا ومـا يـدور حولنـا؛ يقـال لـك بشـكل أو بآخر.. هذه بضاعة فرنجية مستوردة خصيصاً لك أيهـا العـربي.. حتـى زوجتـك تقول لك:"أريد ثوباً فرنسـياً وهكـذا."وفي نهايـة المطـاف رواج وطوفـان للصـناعة الغربية، وللبضائع المستوردة، جنباً إلى جنب مع تعميم السلوكية الغربية والنمط الغـربي للحيـاة؛ جنبـاً إلى جنـب مـع الانسـلاخ مـن الجلـود العربيـة، والمحـيط العربي، وما يرافق كـل ذلـك مـن انحطـاط وتـدهور وانحـدار اجتماعـي وفكـري

واقتصادي في آن واحد.. والصناعة الوطنية العربية في كساد وتقهقر؛ لماذا؟ فقط لأنها في ثوب عربي، والمواطن العربي عموماً - بفعل الآلة الدعائية الغربية، التي تعمل ليل نهار قد تبدل ذوقه وثوبه فأصبح لا يرضيه إلا كل ما هو أجنبي مستورد، ولو كان يحمل السموم القاتلة كتلك التي تحملها المعلبات الفاسدة الملوثة بالإشعاعات النووية، والشحوم المهدرجة المصنعة في معظمها من نفايات حيوانية تقدم في الأسواق العربية في عبوات فاخرة على أنها أجود أنواع السمن الهولندي أو التركي الفاخر؛ ناهيك عن السجاير والتبغ الأمريكي المسرطن، والذي تصنعه شركات أمريكية يهودية عن سابق تصور جنباً إلى جنب مع تصنيع آلة الحرب الصهيونية .. ولكل منهما دوره في قتل الإنسان العربي، واحتلال أرضه وعقله معاً!.

أما الجانب الاستهلاكي، والكماليات خصوصاً، فقد أصبحت تشكل حيزاً كبيراً من اهتمامات الآلة الدعائية للغزو الثقافي الاقتصادي، ومصدراً من مصادر ثراء الغرب وأرباحه الهائلة وبمئات المليارات من الدولارات وعلى حساب تدمير الإنسان العربي وتخريب ذوقه وشل وعيه وعقله وإدراكه، وتحويله إلى مجرد أداة للاستهلاك فقط، وورقة مالية تخضع للأعمال المزاحمة بين كبرى الشركات الاحتكارية وبورصات المال والأعمال لعواصم الغرب دون استثناء.

بل إن عدداً كبيراً من بيوت الأزياء في أوروبا، ودور العطور الباريسية لمختلف الفصول والأوقات وللأعوام القادمة يعملون على إرضاء ذوق المرأة العربية تحديداً، باعتبار أنها المستهلك الأهم بين مستهلكي إنتاجهم من هذا الصنف أو ذاك، من هذا التصميم أو ذاك. وفي اعتقادهم أن السوق العربية هي

السوق الحقيقية الأكثر استهلاكاً وتصريفاً للأزياء والعطور، كما للسيارات الفارهة والمجوهرات الباهظة الثمن[1] .وفي الوقت ذاته تصدح الأجهزة الدعائية الغربية، في أرجاء الوطن العربي وعلى مختلف درجات الطول والعرض، عبر الأثير كما عبر محطات البث الفضائي المتلفزة في حملة محمولة للاستهلاك والترويج لكل تافه.. أنواع لا تحصى من العلكة والسجاير إلى الشوكولا والبسكويت، وأصناف المشروبات، مع استخدام شتى فنون المثيرات لاستقدام الزبائن من العرب إلى الأندية الليلية والملاهي، والمنتجات السياحية؛ وكأن العرب ما خلقوا إلا لتناول الطعام، ولا همّ لهم سوى التمتع بملذات الغرب، والعبث بالأموال الطائلة التي بين أيديهم.. في الوقت الذي توجد فيه ملايين من العرب مشردة خارج أوطانهم المغتصبة، ومثلهم ممن يلفهم البؤس والشقاء والحرمان في وطنهم وعلى مرأى من أعينهم تهدر الثروات،وتنتهك الحرمات، وترتفع القصور الشامخات. لقد قدمت مجلة روزا اليوسف المصرية وصفاً حياً لشريحة من الأثرياء العرب ممن يشكلون مرتعاً خصباً للغزو الثقافي بكافة جوانبه؛ وهم غايته وأدائه في آن واحد؛ فكتبت في افتتاحيتها تقول: ((العرب يستأجرون بريطانيا في الصيف. مطار هيثرو في لندن يتحول إلى حي عربي كبير للسائحين العرب الأثرياء الذين يدفعون بسخاء.. في لندن تشعر المحلات كأن الجميع أصبحوا عرباً. واجهات المحلات التجارية مكتوب عليها بالعربية، مع الإعلانات الباهرة أن لديها من يتكلم بالعربية، وأن هناك شوارع فاخرة خاصة بالسائحين العرب. ومن المألوف أن ترى فيها العرب يركبون أفخر أنواع السيارات مع سماع تسجيلات أم كلثوم وودة وجورج وسوف.. والهوى سلطان.. وعاشقين الهوى سلطان.. مع

---

1 انظر جريدة الإعتدال من نيوجرسي في عددها رقم 276، ص 3 يوم الجمعة في 9 أيلول 1994م، بقلم الدكتور اسكندر لوقا.

إشارات ضوئية على مفارق الطرق ولافتات مرور بالعربيـة أيضـاً.. إلـزام اليسـار.. لندن ترحب بكم)).[1] هكذا تم تجفيف الثروات العربية، وتبديد الأموال العربيـة، وتعطيل الأدمغة العربية، وتهميش الإنسـان العـربي، وتغريبـه بعيـداً عـن وطنـه وعروبته، إلى منتجعات لندن، وباريس وروما وفيينا ليصبح إنساناً آخر، ولكنه هو العربي والأنموذج المطلوب في الغرب لديهم.. أما أولئك الملايين مـن العـرب الـذين لا تروقهم لندن صيفاً ولا شتاءاً فإنهم إرهابيون؛ أصـوليون في التسـميات الغربيـة المألوفة صباح مساء.. وهكذا بالقدر ذاته يدور الإعلام العـربي في معظمـه كتـابع، ومذنب للإعلام الغـربي يـدور حولـه وفي فلكـه.. وبالقـدر ذاتـه يتحـول الاقتصـاد العربي إلى اقتصاد سلعي استهلاكي رخيص يدور بين الصـناعة السـياحية، وصـناعة آلاف الأصناف من العلكة والشـوكولاته والمسـليات.. عـلى أنهـا مغذيـة ومفيـدة، وأنها أصبحن من الكثرة طوفان إعـلاني يطغـى عـلى الأحـداث السياسـية العربيـة والدولية، مما يبعث على الاشـمئزاز في كثـير مـن الأحيـان. وبالقـدر ذاتـه يتحـول الوطن العربي إلى مصدر لإمداد الصناعة الغربية بالنفط والثروات والخامات، وإلى سـوق اسـتهلاكية لمنتجـات الغـرب وآلتـه.. وهكـذا مـن الغـزو الثقـافي إلى الغـزو الاقتصادي.

النفط هو عصب الصناعة، وبالقدر ذاته فـإن المـال هـو العصـب الاقتصـادي والنفط العربي في معظمه يعمل على تدوير الآلة الغربية، أكثر بكثير منه في تشـغيل الصناعة العربية، أما المال العربي، فبالإضافة إلى ما ذكرت أعلاه، من هـدر وتبـذير في عواصم الغرب، فإنـه هـو الآخـر لا يسـتثمر في تطـوير الاقتصـاد القـومي، بقـدر مـا يستثمر في البنوك الغربية ولحساب المشاريع الاسـتثمارية للـدول الغربيـة؛ وبالقـدر

1 روزا اليوسف عدد يوم الاثنين 29 آب 1994.

ذاته في إفقار الوطن العربي وتخلف اقتصاده الوطني. ففي الوقت الذي نحن فيه بأحوج ما نكون إلى توظيف المال العربي لأعمار الوطن العربي، واستصلاح الصحاري، وبناء مشاريع الري وإرساء القاعدة المادية التي لا غنى عنها للصناعة الثقيلة والاقتصاد العربي.. نجد أن عدداً من الدول العربية تقوم بتوظيف أموالها في بنوك الغرب، ومشاريعه، حيث بلغ حجم المال العربي المستثمر خارج الوطن العربية ثمانمائة مليار دولار عن عام 1991م، في الوقت ذاته بلغت المديونية الخارجية للدول العربية مئتان وخمسون مليار دولاراً، وذلك طبقاً لتقرير مجلس الوحدة الاقتصادية العربية عن الجامعة العربية في القاهرة. وأن فوائد الأموال العربية المستثمرة في الخارج تكفي بحد ذاتها لإطفاء القسم الأكبر من المديونية العربية، فيما لو تمت استعادتها إلى أصحابها العرب؛ ولكنهم لا يملكون حتى حق استثمار فوائد أموالهم التي تذهب هي الأخرى لتساهم في إنماء الغرب ومشاريعه وبنوكه، وبالقدر ذاته في إفقار الوطن العربي وبنيته.إن عمليات الغزو والنهب الاقتصادي الغربي للوطن العربي بلغت في الآونة الأخيرة أوجها عبر استثمار خبيث للخلافات العربية التي رافقت أزمة الخليج، والتي ساهم الغرب بقدر كبير في إيجادها وتأجيجها، خصوصاً وأن سياسة تصدير "التوتر" وإيجاد "البؤر الساخنة" وإيقاف الحروب .. كل ذلك يشكل ثابتاً استراتيجياً في سياسة قادة النظام (العالمي الجديد). هذا مع حرص التحالف الإمبريالي الصهيوني على الظهور أمام العرب بمظهر من يقدم لهم المساعدات الإنسانية والحلول الناجحة لمصاعبهم الاقتصادية، ومشاكلهم الاجتماعية، وأزماتهم السياسية عبر ما أطلقوا عليه بمشاريع التنمية الاقتصادية ومفاوضة السلام، والسوق الشرق أوسطية،

ومؤتمرات التعاون الاقتصادي، وبرامج السكان والتنمية .. والبيئة وغير ذلك مما أصبح أمراً مألوفاً في السوق الإعلانية الغربية.

المبحث السابع

الإعلام الإسلامي

أولاً :تعريف الإعلام الإسلامي :

(تزويد الجماهير بحقائق الدين الاسلامي المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه و سلم بصورة مباشرة أوغير مباشرة من خلال وسيلة إعلامية عامة بواسطة قائم بالإتصال لديه خلفية واسعة ومتعمقة في موضوع الرسالة التي يتناولها، وذلك بغية تكوين رأي عام صائب يعي الحقائق الدينية ويترجمها إلى واقع في سلوكه ومعاملاته) .

ويعرف بأنه :(إعلام عام في محتواه ورسائله، يلتزم في كل ما ينشر أو يذاع أو يعرض على الناس بالتصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة المستمد أساسا من القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية وما ارتضته الامة من مصادر التشريع في إطارهما ...).

كما عرِف بأنه :(بيان الحق وتزيينه للناس بكل الطرق والأساليب والوسائل، العلمية المشروعة مع كشف وجوه الباطل وتقبيحه بالطرق المشروعة بقصد جلب العقول الى الحق وإشراك الناس في نوال خير الإسلام وهديه وإبعادهم عن الباطل أو إقامة الحجة عليهم).

ووفق مصطلح الإعلام الإسلامي نلاحظ ولادة هـذا الإعـلام بـولادة الـدعوة الإسلامية نفسها، فعند بدايـة الاتصـال الشـخصي للمصـطفى (صـلى اللــه عليـه وسلم)بزوجته خديجـة (رضي اللــه عنهـا) بـدأ هـذا الإعـلام ينمـو ثـم مواصـلة الاتصال بالمسلمين الاوائل كأبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وزيـد بـن حارثـة واصل نموه وامتداده ... وهنا نلحظ تقاربا في المفهوم بين الاعلام والدعوة، وعنـد إمعان النظر في هذا التقارب نجد أن الإعلام الإسـلامي اشـمل واعـم مـن الـدعوة ذاتها، فبيـنما تركـز الـدعوة عـلى إقنـاع المقابـل بعقيـدة الإسـلام و الانـتماء إليـه ونصرته وبذل الغالي والنفيس دفاعاً عنه ، يستخدم الإعلام الإسـلامي وسـائل أكـثر اتساعا وشموليه في الخطاب ، وقد تطور استخدام هذه الوسائل مع مـرور الـزمن ومع استمرار الإنسـان في اكتشـاف وسـائل وآليـات الاتصـال بأنواعـه : الشـخصي، الجمعـي (الجماهـيري)،الحضـاري ... ولايحمـل هـذا الكـلام تهوينـا مـن موقـع واهمية الدعوة في حياة الإسلام والمسلمين ورفعة لشأن الإعلام، ولكن المقصود بـه هو سعة الوسائل المستخدمة في الإعلام الإسلامي واختلافها عن الدعوة في إيصـال الفكرة الإسلامية بشكل مباشر أو غير مبـاشر ثـم مـاينبغي للإعـلام الإسـلامي مـن تصور وعكس التصور الإسلامي الكامل والشمولي عن الحياة الى المتلقي بينما تركز الدعوة على إعتناق الدين الإسلامي اكثر من الإعلام .

لقد بدأ الإعلام الإسلامي اذن - بالإتصال الشخصي ثم بالاتصال الجمعـي حـين كان المصطفى (صلى اللـه عليه وسلم)يعّلم المسلمين الاوائل أسس الإسلام وعقائـده في المرحلة السرية من تاريخ الدعوة الإسلامية في دار الارقم بـن أبي الارقـم ومواضـع

أخرى يمتاز الاتصال فيها بكونها غير معلن عنها الا في اطار القائم بالاتصال - المصطفى (صلى اللـه عليه وسلم)والمستقبل له من المسلمين الاوائل ... وكونه (صلى اللـه عليه وسلم)هنا قائما بالاتصال وداعيا إعلاميا لكل جديد في إطار التبليغ بالإسلام لايخرجه من كونه خاتم الانبياء والمرسلين ، وانما يعزز دوره الرسالي والنبوي والتربوي، ذلك انه مكلف من اللـه تعالى بإيصال هذه الدعوة إلى من يصله من الناس :

قال تعالى : " **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ {1/74} قُمْ فَأَنذِرْ {2/74} وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ {3/74} وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ {4/74} وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ {5/74} وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ {6/74} وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ {7/74}**" المدثر: 1 - 7

قال تعالى : " **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ {1/96} خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ {2/96} اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ {3/96} الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ {4/96} عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ {5/96}** " العلق: 1 – 5

ومع استمرار تأييد المولى جل جلاله للدين الجديد ظهرت وتطورت آليات جديدة في الخطاب الدعوي الإسلامي في تاريخ الإسلام فالجهر بالدعوة وبداية التصادم بين الحق والباطل ، بين الإسلام والجاهلية جعل من ذيوع أخبار الدين الجديد في مكة والجزيرة وما جاورها من مناطق ، وامتدت الأنظار والآذان وتابعت العقول أمر هذه الدعوة باندفاع سواء كان المتابع مؤيدا او معارضا للدين الجديد كونه حدثاً جللاً يستوجب متابعة أخباره وتفاصيله ... وبدأ المصطفى (صلى اللـه عليه وسلم) يدعو الناس جميعاً إلى الإسلام متجاوزا قبيلة قريش إلى قبائل أخرى كانت تأتي لزيارة مكة، وبعث مصعب بن عمير - رضي اللـه عنه - داعيا وإعلاميا إلى عقيدة الإسلام وموصلا تفاصيل الأحداث الجديدة المرتبطة بالدعوة

الإسلامية إلى الناس وكذلك ارسل المصطفى (صلى اللـه عليه وسلم) جمهرة من المسلمين الى الحبشة خلاصا من أذى قريش فتمثل في هؤلاء أمر الدعوة والإعلام بتطورات صراع الدين الجديد مع قوى الكفر المتجمعة ضده ...

وفوق هذا وذاك كان نزول آيات القرآن الكريم ثم وصولها إلى الناس مشّرعة لجديد أو بينة لحكم أو شارحة لحادثة من باب التواصل بين اللـه تعالى والمسلمين الاوائل عن طريق المصطفى (صلى اللـه عليه وسلم)وبهذا النزول المتابع زمنيا المتابع لتطورات الأحداث إضافة إلى بيان تفاصيل العقيدة الإسلامية وأحكامها ، اثبت القرآن الكريم بأنه أهم وأقوى وسيلة دعوية وإعلامية في التاريخ الإسلامي ... ومع انتشار الإسلام في المدينة المنورة ثم في مدن وبلدان الجوار اتسعت آليات الخطاب الإعلامي الإسلامي وامتدت إلى الرسائل إلى الملوك وخطب الجمعة والمناسبات وموسم الحج والرقع المكتوبة وغيرها ممن عكست التطور التقني في استخدام لآليات الخطاب والاتصال الجماهيري والحضاري .

ثانياً : وسائل الدعوة في عصر النبوة :

من خلال التدرج التاريخي لانتشار الدعوة الإسلامية وامتدادها، شخص المختصون بعلوم الاتصال والإعلام أهم وسائل الإعلامية في الدعوة الإسلامية بما يلي :

القرآن الكريم ، الأحاديث النبوية الشريفة ، القدوة الصالحة للمصطفى (صلى اللـه عليه وسلم)والصحابة (رضي اللـه عنهم) ، إرسال المبعوثين إلى القبائل والأقطار الأخرى ، اللقاء أو المحاضرة ، المسجد والخطبة ، استقبال الوفود، الرسائل إلى

الملوك بوصفها إعلاما دوليا ، الحج ، الفتوحات الإسلامية ، رحلات التجار المسلمين إلى أماكن لم تصلها الفتوح .

وقد اتسع استخدام معظم هذه الوسائل مع اختراع البشرية لآليات الاتصال الحديثة ثم بدخولها كقنوات للاتصال والإعلام الجماهيري وصولا إلى عصر الفضائيات والانترنيت الذي نعيشه الآن بما يؤشر حيوية الإسلام وصلاحيته للبشرية جمعاء في كل زمان ومكان ، وان اللـه جل جلاله حامي هذا الدين وفارض انتشاره في العالم اجمع .

ثالثاً :خصائص الإعلام الإسلامي :

1- إعلام عقائدي : ويرتبط ذلك بكون الإعلام الإسلامي يجب ان يعكس جوانب العقيدة الإسلامية في كافة جوانبها ، وان تكون نظرية الإعلام الإسلامي وفلسفته ميدانا لعكس تصورات العقيدة الإسلامية بشكل عام . ويعد التزام الإعلامي المسلم بثوابت وتفصيلات العقيدة الإسلامية ملزما له ومكلفا بالدفاع عنها ونشرها ما استطاع الى ذلك سبيلا .

2- حق لكل مسلم ومسلمة وينبع هذا الجانب من مسؤولية المجتمع إزاء الأفراد ، فحق الإعلام مطلب ايجابي يقوم به المجتمع عبر وسائل الإعلام الجماهيرية ، بل هو أمر لا يقل أهمية عن حق الفرد في الحصول على الأمن والطعام والدواء ...

3- فرض كفاية ومعنى فرض الكفاية انه يسقط الاثم عن باقي امة المسلمين حين يقوم نفر ما او طائفة من جمهور المسلمين بعمل عام ومفيد خارج نطاق

العبادات مما تتحقق به مصلحة للمسلمين وبعدم قيام اي مسلم ومسلمة بهذا العمل فيلحق الإثم كل الأمة جراء ذلك .

بل يرى بعض الباحثين ان الإعلام الإسلامي فرض عين على كل مسلم لتداخل امر الإعلام والدعوة في مجالات كثيرة ، فكما أن كل مسلم ومسلمة مطالباً بالعمل على التعريف بالإسلام والدعوة إليه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل حسب عمله وثقافته ومجالاته ، فإن أمر الإعلام بشريعة الإسلام والدعوة إليها عبر وسائل الإعلام الجماهيرية – لا يقل أهمية عن ذلك - مع الأخذ بنظر الاعتبار التحصيل العلمي لمعرفة بالقرآن والسنة وأحكام الإسلام بالنسبة للداعية الإعلامي إضافة إلى موهبته واستعداده للتأثير في الجماهير المخاطبة .

وتقع مسؤولية إعداد الإعلاميين القادرين على مخاطبة المجتمع جماهيريا على الفرد والأمة معا ، فمن وجد من المسلمين رجالا ونساءً في نفسه المقدرة والعلم والكفاءة على ولوج ميدان الإعلام ومخاطبة المجتمع من خلال رسائله المتنوعة فيقع عليه اثم ترك ذلك وعدم محاولة القيام به أما الأمة وولاة الأمر من المسلمين فعليهم تشجيع العمل بالإعلام الإسلامي عقيدة ومبادئ وتقنيات وتوفير الظروف اللازمة لنجاح وإمكانية العمل في هذا الميدان المهم .

4- إعلام علني - عام : صفة العلن في الإعلام الإسلامي ،فبعد أن تقرر انه إعلام مفروض على المسلمين عامة وعلى فئة منهم بصورة خاصة ، وانه يمثل حقا من حقوق الناس، تكتمل دائرة التصور النظري عن خصائص هذا الإعلام بإقرار انه إعلام علني يخاطب المجتمع عامة بصورة معلنة واضحة جلية ولايتخذ

من سرية الخطاب وتخصيصه لفئة من الناس صفة له ، وإصرار بعض الأديان وبعض الشرائح الأرضية على سرية خطابها واقتصاره على إتباعها فقط أو ربما فئة خاصة من أتباعها لايوجد في الدين الإسلامي ..

وكذلك يمتاز الإعلام الإسلامي بأنه عام يشمل خطابة عامة المجتمع ، ولايعني تخصيص برامج إعلامية معينة لفئة مهنية كالأطباء أو عمرية كالأطفال او اجتماعية كالنساء دون الرجال ، الخروج من صفة هذا العموم وإنما يدرج مثل هذا العمل ضمن فئة الإعلام المتخصص الذي يهدف الى زيادة الوعي بما يحيط فئة ما وأحداث التغيير الايجابي فيها .

كما لايفوتنا التنويه هنا إلى أن البرامج الإعلامية الموجهة إلى طائفة من المسلمين دون غيرهم تختلف مذهبيا أو فكريا أو فقهيا عن عموم المسلمين تخرج عن صفة العموم المفروض توفرها في الإعلام الإسلامي فاختلاف الناس في اتجاهاتهم داخل نطاق القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وبما لايخالف القواعد العامة للإسلام أمر معترف به ويجب العمل على ضوئه بعد أن قرره فقهاء الأمة وعلماؤها . فالعمل الإعلامي ضمن هذه الدائرة المذهبية أو الفقهية أو الفكرية الضيقة لايحقق الفائدة المرجوة من رسالة الإعلام من باب كونه دعوة عامة إلى الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكا ...

أما حين يكون الخطاب الإسلامي لمذهب أو فئة من المسلمين موجها لهذه الفئة أو المذهب مع تعمد مهاجمة الآراء والمذاهب والفئات الأخرى التي لم تخرج عن شريعة الإسلام أو أصوله عامة ، فهي إساءة كبيرة وغض الطرف عنها يقود

الأمة إلى هلاك محتوم ويخرج الإعلام الإسلامي من صفة كونه عاما شاملا موجها للمجتمع الإنساني عامة إلى إعلام جزئي محدود التأثير ، كما انه يمنح الإعلامي المسلم صفة الهدم لاصفة البناء والتأسيس والإبداع المستندة أصلا إلى الاحتكام إلى القرآن الكريم والسنة النبوية ، وقد أمرنا ربنا الجليل إلى الرجوع عند حكم القرآن في آية مسألة خلافية إلى إتباع سنة المصطفى (صلى الله عليه وسلم)وبغير ذلك تختلط الأمور وتضيع الخطوط الفاصلة بين الصواب والخطأ .

5- إعلام بلا إكراه : يرتبط هذا الأمر بموضوع صفة الشريعة الإسلامية ذاتها في كون اعتناقها لايكون بالإكراه والإجبار، وان المسلم كونه مكلفا بالدعوة إلى الإسلام وإيصالها إلى ما يستطيع وبما يستطيع ولكن يبقى للطرف الآخر - المستقبل - حق الإيمان أو رفض الإيمان وقد رفض بعض سادة قريش الدخول في الإسلام رغم كل محاولات المصطفى (صلى الله عليه وسلم)لدخولهم فيه بل إنه لم يعدم حتى من أهل بيته أو أقاربه من بني هاشم ممن استحبوا الكفر على الإيمان وماتوا عليه، وقد أسلمت قبائل كثيرة بسبب إسلام قادتها وزعمائها إتباعا وقناعة لا إكراها أو إجبارا على ذلك...

أما المتشدقون بإدعاء أن الإسلام انتشر بالقوة والسيف والإكراه فمردوده بأن المعارك الأولى في الإسلام كبدر وأحد والخندق كانت معارك دفاعية عن الدين والوجود وحق الحياة وهو أمر مكفول في كل الأديان والشرائع وكذلك غزوات المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ضد اليهود تفسر من هذا الباب لما شكله هؤلاء من

خطر على المسلمين ودولتهم الناشئة آنذاك ... ويمثل قبول المصطفى (صلى اللـه عليه وسلم) لصلح الحديبية مع قريش مع مقدرتـه عـلى رفـض ذلـك دلـيلا عـلى منح العقل واستخدام الفكر واتخاذ القرار اهمية خاصة ...

لقد كان بإمكان المصطفى (صلى اللـه عليه وسلم) ان يجـبر النـاس عـلى اعتناق الإسلام عندما فتح مكـة منـتصرا ظـافرا، إلا انـه لم يفعـل بـل تـرك النـاس لمعايشة المسلمين والتمييز بأنفسهم بين نور الإسلام وظلام الجاهليـة ، وقـد فعـل مثل ذلك عمر بن الخطاب رضي اللـه عنه حين فتح القدس ظافرا فترك النصـارى على دينهم والكنائس على حالها إقتداءً بالمصطفى (صلى اللــه عليـه وسـلم) ... وأمثلة كثيرة أخرى في التاريخ الإسـلامي ، الأمـر الـذي لم يحـدث في حالـة انتصـار النصـارى عـلى المسـلمين في الأنـدلس فقـد مارسـوا مـع المسـلمين سياسـة القتـل والتعذيب والاضطهاد العرقي في مذابح وحشية يندى لها جبين البشرية خجلا ...

أما حروب المسلمين مع الأمم الأخـرى في العـراق والشـام ومصر وغيرهـا فقـد كانت بهدف إزالة الجبابرة وحكم الطغاة الذين حكـروا عـلى شـعوبهم أمـر الاطـلاع على الإسلام، والاحتكام إلى حق الإنسان في تقرير عقيدته ودينـه ، مـن منطلـق كـون الإسلام ذو دعوة عالمية شاملة لكـل الإنسـانية ، قـال تعـالى :" إن الـدين عنـد اللــه الاسلام " وكون المصطفى (صلى اللـه عليه وسلم) خاتم الأنبياء والمرسلين يوجب على البشرية جمعاء الاطلاع على أمر هذا الدين لاتخاذ القرار الصـحيح باعتناقـه أو عـدم اعتناقه تقريرا لحقيقة كون الإنسان عاقلا مدركا ، يتحمل هـو وحـده نتـائج خياراتـه

وقناعاته وأعماله في الحياة وعلى هذا الأساس قام مبدأ الثـواب والعقـاب الآلهـي في الدنيا والآخرة .

رابعاً: الإعلام الإسلامي بين الضرورة والتفريط:

ان كون الإعلام عقائدياً، أي إعلام، هـو أن تحلـق برامجـه وأهدافـه ضـمن آفاق هذه العقيدة ذاتهـا، ولـذلك نـرى دعـاة الإعـلام الرأسـمالي لايخرجـون مـن (عقيدتهم) في مجالات المجتمع والأسرة والاقتصاد والسياسة، والفكر وغيرهـا مـن مجالات، وكذلك دعاة العقيدة الشـيوعية الـذين لايمكـن لهـم الخـروج عـن أُطـر مجالات ما يعتقدون وإلاّ عدوّا بذلك خارجين عن ما يراد لهـم... فـأين نحـن مـن هؤلاء وهل إعلامنا العربي والإسلامي هو عقائدي فعلاً، اي يعرض وينـتج برامجـه وافكاره ضمن نطاق العقيدة الإسلامية ولا يخرج عنها إلاّ في النادر أو الشـاذ مـن الأمثلة؟!

ان مقارنة أولية بين ما أوجبته الشريعة الإسلامية في مجال العقيدة، وواقع حال برامجنا الإعلامية، يتضح من خلالها حجم الهوة، وسعتها بين ضرورة العقيدة وبين واقع التفريط بها بوضوح سواء كان مقصوداً أم لا...

ذلك ان أول ما كادت عليه العقيدة الإسلامية وأهمهـا عـلى الإطـلاق: توحيـد اللـه تعالى وصرف كل العبادات وما تعلق بها مـن سـلوك إليـه وحـده جـل جلالـه (إياك نعبد وإياك نسـتعين...) في فاتحـة الكتـاب المجيـد -كـما هـو معلـوم- والتـي يقرأهـا المسـلمون (الملتزمـون) عشرات المـرات يوميـاً وغـير الملتـزمين يقرأونهـا أو يسمعونها من غيرهم (مضطرين أو على سبيل القدر أو لغير ذلك) فلـماذا التفـريط بهذه الحقيقة الكونية الكبرى والتي أكد عليها المولى جل جلالـه إيمـا تأكيـد وكـأنهم

- إعلاميون أو غيرهم- قد جعلوا لله (بدلاء وشركاء) في تصريـف الكـون وشـؤونه، قال تعالى : " قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللـهُ قُـلْ أَفَاتَّخَـذْتُم مِّـن دُونِـهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَـى وَالْبَصِـيرُ أَمْ هَـلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ للهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْـقُ عَلَـيْهِمْ قُلِ اللـهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ {16/13}" الرعد: 16 بل توعد اللـه تعالى بعدم غفران أو قبول أي عمل إذا خـالف بـالشرك هـذه الحقيقـة المؤكـدة: قال تعالى : "إِنَّ اللـهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَـاء وَمَـن يُشْرِكْ بِاللـــهِ فَقَـدِ افْـتَرَى إِثْمًـا عَظِـيمًا {48/4}" النســاء: 48 وقـد اعتـبر علـماء الشريعة أن التهاون في توحيد اللـه تعالى والشرك به، لاينفع معـه أي عمـل آخـر مهما عظم أو تكرر...

وكل ما ارتبط بعقيدة التوحيد مـن اسـتعانة وتوكـل وطلـب رزق وعبـادة وطواف وذبح وما يماثلها تأخذ نفس الحكم في قبـول العمـل او عـدم قبولـه مـن المولى جل جلاله...

بعبارة أخرى: إذا لم يكن العمل إعلاميا أم غـير إعلامـي ملونـا بهـذا اللـون العقائدي فهو شيء آخر، خارج عن نطاق هـذه العقيـدة، ومـا دام خارجـاً عنهـا، فهو إذن ليس مسلماً ويفتقد قطعاً هويته الإسلامية! ولاينفع معه في هذه الحالة كونه عربي النسب أو إسلامي المولد والمنشأ البيئـي أو الجغـرافي أو الاجتماعـي أو غيره ما دام لايتمثل في عمله وأفكاره إحكام ومبادئ وأساسيات هـذه العقيـدة... هذا من حيث الضرورة التي يلتحق بها كون الإنسان فطر على عبادة اللـــه فـإذا

صرفه شيء ما عن هذا فقد أصبح عبداً لهـواه أو أيدلوجيتـه أو حزبـه أو أي شيء آخر، وهذا هو الضياع بعينه...

أما التفريط بهذه الضرورة الواجبة والحيوية التي يتسـم بهـا هـذا الإعـلام بسمة الإعلام والعقيدة الإسـلامية فهـو واضـح اشـد الوضـوح في برامجنـا المنتجـة (عربياً أو إسلاميا) أو المستوردة منها بدءاً من (الرسوم المتحركة، وبرامج الأطفال) إلى برامج (المنوعات والترفيه والدراما والبرامج التـي تصـب في ثقافـات معينـة)... ففي (هـزيم الرعـد) و (بـاور رينجـرز) و (جـاكي شـان) و (مـارتن) و (يـوغي) و (محارب النت) وغيرها من الرسوم المتحركة يعتمد فيهـا الأطفـال عـلى أحجـار أو تعاويذ أو طرق سحرية أو كائنات خرافية أو عقائد فاسـدة أخـرى يجمـع القـوة واستحضار الهمة الخيّرة لمقاتلة الأشرار (هكـذا) ناسـين امـر مـدبر الكـون اطلاقـاً ومتجاهلين اهمية التوكل على الـلـه وجوب الاستعانة به وضرورة تلقي احكامـه، وماحذرت منه العقيدة السماء من عدم إتخاذ السحر ووسائله وأدواته والاحجـار والغيبات الاخرى مصادر لاي تعامل ديني او دنيوي.

وقل مثل ذلك عن افلام عالم الصغار الشهيرة والتي يتابعها الاطفال بشغف (سندريلا، الاقزام السبعة، بيتربان) وغيرها بل وحتى الافلام العالمية الشهيرة التـي يختلط فيها تمثيل الانسان بالرسوم المتحركـة وابرزهـا كمثـال عـلى ذلـك: (هـاري بوتر) الذي حصد الجوائز العالمية ويتابعه الملايين في العالم باجزائه المتعددة وهـو يعتمد في فكرته على (فنون مدرسة السـحر) كـما يسـمونها ومـا ينـتج عنهـا مـن تعامل مع قوى شركية غامضة او استعانة بمخلوقات ليس لها وجـود حقيقـي بـل

تدعو فوق ذلك الى الولاء لها والاعتقاد بها مخلّصاً (لتحقيق الخير)... ولا يخفى على احد خطورة هذه الافلام- من النمط الاخير خاصة- على العقيدة الاسلامية بل على فكر الانسان عامة، لخلطها بين اشخاص حقيقيين (ممثلين) وبين رسوم متحركة واوهام وعقائد فاسدة...

وهنا نسأل: هل ان الخير لايمكن تحقيقه إلاّ عبر هذه القوى السحرية او الغيبية او الخيالية؟ بل ما قيمة هذا الخير وفحواه اصلاً –إذا كان قائماً على افكار خيالية او طوباوية؟!

اما برامج الغناء والاغاني وبدعة (السوبرستار) و (الفديو كليب) فهي لاتحتاج الى مزيد كلام لخروجها السافرعن اخلاقيات وآداب وثانويات الشريعة وليس في مجال عقيدتها فقط ولايدخل في ذلك –بالطبع- مجال الانشودة الهادفة التي سعت الى تمثل اخلاق الاسلام وشريعته وبعض صورة او ما تعلق به ضمن الضوابط الشرعية للثقافة والفن الاسلامي الملتزم بأحكامه وغير الخارج عن عقيدته...

وفي الدراما العربية قيل الكثير، التأريخية منها افضل حالاً- ما دمنا لسنا هنا بصدد الكلام تفصيلاً عنها –إلاّ ما تعمدت تشويه نمط اجتماعي أو شخصية إسلامية أو نمط شرعي أو تأريخي أو غيرها فهي مخالفة لضوابط شريعتنا في ذلك.

اما النماذج الناجحة التي حرصت على تمثل قيم الاسلام واخلاقه وعدم التصادم مع عقيدته فقد جذبت ملايين المشاهدين لمتابعتها وعمت بعض فوائدها على المجتمع لطرحها جوانب وقضايا اسلامية ربما تحقق فائدتها لنمط معين من

الناس من الذين صرفوا جل وقتهم على الفضائيات عامة، واهملوا بقية وسائل الاعلام كالصحف والكتب والانترنيت وغيرها وهم شريحة كبيرة من المسلمين لاينبغي تجاهلهم في مجال البحث في (مسؤولية الاعلام الاسلامي) ولايفضل تركهم اسرى لهذه البرامج وانماط الدراما المطروحة فيها والتي تعرف بالدراما الاجتماعية التي يتضح فيها سفور المرأة، والافكار المضادة للاسلام والرؤى الشركية والمخالفة عامة لعقيدة المسلمين بالاستهانة باحكام الدين ورموزه وتجاهل الاحكام الشرعية الصحيحة في مجالات العبادات والمعاملات والاحوال الشخصية والتربية، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر...

وهناك البرامج (الثقافية) التي تتخذ الدين اساساً في عملها بشكل مباشر او غير مباشر وتطرح في الفضائيات والصحف والكتب ومواقع الانترنت ممن تتخذ العقائد المعادية للاسلام (كالرأسمالية والعلمانية او الشيوعية او الاستعمارية او العولمة وغيرها) منهجاً وميداناً لعملها فهي تصرح جهاراً بعدائها السافر للاسلام واحياناً تلبس ذلك بلبوس غير مباشر (كوحدة الاديان، والديمقراطية، وحقوق الانسان، وحرية المرأة وتنظيم الاسرة، وغيرها) من عناوين براقة يدس فيها سم المعاداة للاسلام في عسل الحرية الاعلامية او الفكرية وسوى ذلك من شعارات تضل ولاتهدي، وتسحب الاهتمام بقضايا الاسلام والامة من امام عين المشاهد المبهور بها الى آفاق اخرى لاعلاقة له بها مطلقاً، عبر اختلاق مشاكل ثانوية او تضخيم جزيئات لا اثر لها في حياته محققة بذلك، إشغالاً لوقت المسلم وعقله وماله بقضايا ليست لها تأثير في حياته.

بل حتى الاخبار والبرامج الاخبارية التي تتناول تطورات الاحداث في العـالم نرى إنها مقسمة تقسيماً سياسياً او جغرافيـاً مشـوهاً، بـل يعكـس الصـورة التـي يريد إلتقاطها الاعلام الغـربي للعـالم واول مثـال عـلى ذلـك وأهمهـا قضـية جهـاد الشعب الفلسطيني ضد الصهاينة، فهي حقيقة اسـلامية بحتـة، ملخصـها احـتلال أولى القبلتــين وثالــث الحــرمين الشريفــين، بــل ارض الاسراء بأجمعهــا وهــي في الشريعة الاسلامية-القدس- تحديداً وقف اسلامي لايجوز التفريط بهـا لأي سـبب كان، بل ينبغي الدفاع عنها على ما جاء فيها من آيات كريمة واحاديث شريفـة إلاّ ان الاعلام العربي الاسلامي انطلت عليه الخدعـة واخـرج الموضـوع كلـه مـن رداء الاسلام الى فضـاء العـرب -اولاً- واصـبحت قضـية قوميـة ثـم حصـلت الانتكاسـة الكبرى بتصويرها اعلامياً وسياسياً على انهـا شـأن قطـري خـاص، يخـص فلسـطين والكيان الصهيوني وتخلى المسلمون والعـرب عـن قضـيتهم الكـبرى وأتضـح عـدم انتماء الاعلام العربي لها وتنكره لها، بل ان التـزام اوربـا وامريكـا بحمايـة مصـالح الصهاينة يفوق دفاع العرب والمسلمين عن فلسطين...

لقد اصبحت "المقاومة" الفلسطينية (تمرداً) او (عنفـاً) او (إرهابـاً) واصـبح الفلســطيني صــاحب الحــق في ارضــه ودينــه ووطنــه (متمــرداً) او (مســلحاً) او (ارهابياً) وفي اجمل صوره (ناشـطاً) وهـي كلـمات توضـح حجـم خسـارة الاعـلام العربي والاسلامي العقائدية، بل جفت منابع هذه العقيدة فيما يتعلق بمثل هـذا الموضوع حتى اصبح الهاربون منا من تبعات المشاركة في هذه القضية اكثر بكثـير من الراجين إرجاع الحق الى اهله الفلسطينيين او المشاركة معهـم في الـدفاع عـن

مقدسات إسلامية لاخلاف فيها... وهكـذا عكـس اعلامنـا العـربي والاسـلامي بقيـة القضايا فأمريكا تريد تحقيق الديمقراطية وفي اقوى صـورها تريـد سـحب قواتهـا من العراق، بعد تورطها فيه ونسي امر استهدافه وإحتلاله من قبل كفرة معـادين للاسلام والمسلمين واصبح الامر كأنه مجـرد تغيـير قسري لنظـام سـياسي لـيس إلاّ، وقل كذلك في الشيشان التي تطالب (بالانفصال) عن روسـيا و (كوسـوفو) مأسـاة العصر صوّرها الاعلام على انها قضية عرقية قومية وابعدت عن صورتها الحقيقيـة وهي (إضطهاد المسلمين وكسر شوكتهم)...

وهكذا توالت الانكسارات والهـزائم الاعلاميـة العربيـة والاسـلامية فاصـبح الكلام في العقيدة الاسلامية (برامج دينية جامدة) يأنف من متابعتها حتى طـلاب العلم وابراز المبتدعة والسحرة واصحاب الاباطيل حتى اصبحوا نجوماً للمجتمـع، اما قادة الدول تلك وهم في الغالب المشرفون على هذه السياسات الاعلامية فهـم بالتأكيد -معصومون- من الخطأ والزلل ونية السوء وكـل مـا يقولونـه مقـدس او شبيه ذلك فلا ينبغي للاعلام العربي والاسـلامي التعـرض لـه او نقـده او الـتصريح ببطلانه...

فإذا كانت مسألة التوحيد التي هي اعلى قيم العقيدة الاسلامية والفيصـل بين الاسلام وعدمه تمتهن اعلامياً بهـذه الصـور وغيرهـا الكثـير، فـما بالنـا بقضـية موالاة اعداء الدين التي اصبحت جائزة بتبريـرات شـتى، واصـبح الجهـاد -كفـراً- لايجوز الحديث عنه حتى في مجالسنا الخاصة وبقية تفاصيل العقيـدة الاسـلامية

وفروعها... فهل يعد اعلامنا بعد هذا كلـه عقائـدياً اي يتمثـل عقيـدة الاسـلام في برامجه وخططه وأهدافه؟!

لقد اتضح الجـواب وباتـت حقيقـة الزيـف والابتعـاد الـذي انغمـس فيـه اعلامنا بعيداً عن عقيدتنا، ثم ضياعه وتضييع المسـلمين عـبر برامجـه ووسـائله.... وهذه الصورة اكثر ما تكون وضوحاً في الفضائيات عامـة، إلاّ مـا نـدر منهـا والتـي بالكاد يلتقط عبرها المسلم شيئاً من إعلاميات تـدور في فلـك عقيدتـه أمـام هـذا الزخم المخـالف لهـا مـن فضـائيات كثـيرة، وكـذلك تنسـحب هـذه الصـورة عـلى الصحف والمجلات عامة مع بعض الاستثناءات، اما مواقـع الانترنيـت فيبـدو إنهـا تنفرد بالحكم عنها – فرغم قلة نسبتها عالمياً- إلاّ إنها اصبحت مجالاً رحباً يطلـع عبرها (المسلم على عقيدته او يتناول من خلالها (حصته) الاعلاميـة لمـا يجـري في العالم بمنظار قريب من عقيدته... لكن تبقى الفضـائيات اكـثر عموميـة في التـأثير واكثر إنتشاراً واقوى في إيصال المعلومة والخـبر والصـورة لكـون الانترنيـت، لايقـع بسـهولة في متنـاول الجميـع ولافتقـادهِ لمـؤثرات اخـرى كالصـوت والصـورة والجماهيرية، وما الى ذلك من فروق إعلامية...

ان افتقـاد خصخصـية العقائديـة عـن معظـم وسـائل الاعـلام العربيـة – الإسلامية يجعلهـا وسـائل هجينـة، غريبـة عـن جـذورها وواقعهـا واحـرى بهـذه الوسائل الاعلامية –الفضائيات خاصة- الانتباه الى خطـورة هـذا المـأزق ولايغرنهـا النجاح الوقتي فإذا انتبه المسلم لذلك ضيعها ومزق هويتها قبل ان تضيعه هو او تمزق هويته- بابتعادها التام او الجزئي عن محيط العقيدة الاسـلامية او مـايتعلق بها.

خامساً :رسالة الاعلام الاسلامي:

(كن رجلاً ولا تتبع خطواتي) عبارة قالها احد اعلام الفلسفة، مؤكداً على تمايز الشخصية وضرورة انفراد المنهج الاصيل والفكر الخلاّق والشخصية المبدعة عن اجترار خطوات الآخرين... وضرورة التمسك بطريق الحق وسبيل المؤمنين قديمة واصيلة أكدها القرآن الكريم بقوله تعالى: قال تعالى : " **قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللـهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللـهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ {108/12}**" يوسف: 108

ولما كانت رسالة الاعلام الاسلامي رسالة حق وصدق في ذاتها واهدافها، مهتدية باحكام وتشريعات واخلاق القرآن الكريم، لزم الامر ان لايحيد هذا الإعلام مطلقاً عن هذا الطريق، خصوصاً في مجال العقيدة وتوابعها لعظم اثر ذلك على الأمة ومستقبلها وعلى الاعلام وشخصية الاعلامي المسلم نفسه.

(فرجل الاعلام المسلم بهذه العقيدة تتميز شخصيتة عن غيره فهو شخصية مؤمنة مهتدية، يتجه بمشاعره وأحاسيسه لله تعالى، ويستلهم منها الرشد والسداد ويهتدي بنور الايمان في سلوكه ويتخذ الشريعة الاسلامية نبراساً له في تصرفاته ويحتكم إليها في كل شأن من شؤون الحياة).

تتميز شخصية الاعلام الاسلامي عن غيره تقوّده الى تأسيس بناء وكيان مؤسساتي ينفرد بالطرح والكلمة ويتألق بالاهداف الراقية لهذا الاعلام المستند في عمله الى القرآن والسنة وأحكام هذا الدين الخالد فهي -اذن- ضرورة كبرى لكي يكون اهلاً لاستحقاق هذا الوصف ولتطابق هذا الكلام عنه. وحتمية كون هذا الاعلام عقائدياً في عمله توجيه النقاط الآتية:

قصد الدعوة والاعلام بدين اللـه تعالى الى البشرية جمعاء، قولاً وعملاً ومنهجاً وسلوكاً، يؤيده قوله تعالى: " **ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ {125/16}** " النحل: 125 وقوله (صلى اللـه عليه وسلم) (بلغوا عني ولو آية)... فالمسلم -عامة- مأمور بالدعوة ونشر هذا الدين والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإعلام الناس بدين الحق، ولهذا انطلق الصحابة (رضي اللـه عنهم) في اقطار الارض وارجائها يدعون لله ويعلمون الناس الدين والاخلاق والتشريع. وكون الاعلام دعوة والدعوة إعلاماً، وجب على الاعلامي المسلم الانتباه الى هذه النقطة الحيوية، فلا يتصور عمله في الفضائية او الصحيفة او موقع الانترنيت انه مجرد شهرة واستعراض عضلات بلاغية او شكلية بل هو صاحب رسالة ومأمور بواجب مقدس يجب ان يؤديه، بل انه يجب ان يعي ان دخوله في مجال الاعلام بدءاً بالدعوة والتبليغ برسالة الاسلام، وإلاّ فان عمله لن يكون عقائدياً او محلقاً في سموات دينه وقضيته الرئيسية في الحياة، وكم من كفاءة تعمل في مجال الاعلام العربي والاسلامي لم تحقق شيئاً لدينها وقضيتها بل نالت لعنة اللـه وسخط الامة لما نالها منه من ضرر وتهاون في عرض عقيدة الامة بل ومهاجمتها.

ضرورة حتمية العقائدية في الاعلام الاسلامي يوجبه التفرد عن اتباع الآخرين وادراك ان هوية الاعلام الحقيقية وشخصية المسلم في الاعلام (مرسلاً او متلقياً) تكون مستقلة ومتميزة عن اهداف اليهودية والنصرانية، الغربية او الشرقية، الرأسمالية والشيوعية، وما سوى ذلك من افكار حديثة عناوينها: العولمة

والقطب الاوحد والشرف الاوسط الكبير وغيرها... فالاسلام بما احتواه على منهج ضخم ومنظم وواسع لبناء الحياة، يعد قدوة في التفرد والاصالة والتجذر في واقع الحياة والمجتمع والانسان. فلماذا اذن يترك الاعلامي المسلم عقيدته تلك ويكون مقلداً تابعاً لغيره؟!.

التأكيد على عقائدية الاعلام الاسلامي وتجذره فيها حتى نضوج الثمر وقطفه تتطلبه ضرورة الحفاظ على هوية الامة الاسلامية، بتراثها وعلومها واخلاقها وتأريخها، فما فعله الاسلام في القرون السالفة من بناء وتأصيل للحضارة الانسانية لم يعد خافياً وامثلة لم تزل حية وتدرس باعجاب بل تتفوق عند مقارنتها بأي منهج آخر سماوي او ارضي... فإذا كان اعلامنا الذي نقدمه اليوم عبر الفضائيات والصحافة والانترنيت مأخوذ من الغرب او الشرق، فماذا بقي من عقيدتنا وهويتنا، بل هل يصح في هذه الحالة ان نعد انفسنا اصحاب اعلام مستقل؟!...

ويمكن صياغة السؤال بشكل آخر، فنقول: متى يتحول اعلام امتنا من حالة الدفاع عن العقيدة والشخصية الاسلامية – الى حالة الهجوم ضد العقائد الفاسدة والافكار الهدامة الضعيفة، فنكون بالفعل قادة وليس اتباعاً أو مقلدين لسوانا؟!

ان العمل الاعلامي داخل اطار العقيدة الاسلامية – ودفاعاً عن هذا الدين، وتعرية العقائد الفاسدة يحصّن الامة ضد العولمة والدعوات الاستعمارية والاحتكارية والاحتلالية الحديثة، سواء كانت نظرياً او فكرياً او ثقافياً، او كانت عسكرياً او سياسياً، وينأى الامة الاسلامية عن اي تبعية لهذه العقائد والاتجاهات

والافكار التي لا تريد صرف المسلمين عن عقيدتهم حسب. بل مسحهم كلياً مـن الوجود.

ان الامة الاسلامية -كما يبدو اليوم- من وقائع واحداث وتطـورات عالميـة، مقبلة على صراع كبير ومرير وخطير يتعلـق باصـل وهـدف ومسـتقبل وجودهـا، صراع حيـاة او مـوت، لا إسـتناداً الى (صراع الحضـارات) او تكـذيباً لــ (حـوار الحضارات) بل كل المؤشرات والعلائم تتجه إتجاهاً خطيراً للالتقاء في نقطـة صراع مركزية، البقاء فيها للأقوى...

ولماذا نذهب بعيداً وقد اخذنا رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) ان الامم ستتكالب علينا كما يتكالب الاكلة على قصـعة الطعـام، ووجهنـا (صـلى الـلــه عليـه وسلم) الى طريق العقيدة والقوة والعزة والابتعـاد عـن صـورة الغثـاء الـذي لايغنـي ولايســمن ولا يحقـق وجـود... فـإذا علمنـا اهميـة الاعـلام اليـوم ودوره في حســم الصراعات والنزاعات القائمة في مجالات الفكر والايدلوجيات او السلاح وغيرها، فهمنا عظم الدور وحجم المسؤولية الكبيرة التي تقـع عـلى كاهـل الاعـلام الاسـلامي الـذي تستطيع الامة الاعتماد عليـه كسـلاح رئـيسي في معركتهـا المسـتقبلية لاثبـات الـذات والبقاء على قيد الوجود، فإذا خذلنا رجل الاعلام وابتعـد اعلامنـا العـربي - الاسـلامي عن قضايا امتنا ولم يعمل كمؤشر قوة، او سبّب إنهيارها فإن تحقيق الانتصار صعب واثبات العقيدة ونشرها يصبح اشبه بالمستحيل... ولهذا وجب على إعلامنـا التمسـك بهويته العقائدية وجذور الامة الاسلامية في برامجه وخططه وأهدافـه فيكـون قائـداً

لا مقوداً، ومتبوعاً لا تابعاً وعند ذلك يتحقق حلم الامة بالنهوض والانتصار وهزيمة قوى الظلام والباطل.

سادساً:الإعلام الإسلامي وخطر العولمة:

للإعلام تأثير كبير وخطير على أنماط السلوك وطرائق التفكير، ولا سيما القنوات التلفازية الفضائية والإنترنت، وهذا التأثير قد يكون سلبياً فيسهم في ذوباننا في الآخر، وفي إعدادنا تمام الإعداد لقبول العولمة والتسليم بها كحقيقة مسلم بها، وهذا ما تعمل عليه للآسف أغلب وسائل الإعلام في عالمنا العربي والإسلامي، من صحف ومجلات، وقنوات فضائية، ومواقع للإنترنت عربية وأجنبية، وأفلام سينمائية.

ومنها ما يكون إيجابياً في تصحيح كثير من المفاهيم، وأنماط السلوك وطرائق التفكير، للحفاظ على هويتنا الإسلامية، ولتكوين رأي عام سليم تجاه قضايا الأمة، والقنوات الفضائية ومواقع الإنترنت التي تسعى لتحقيق هذه الأهداف قليلة قد لا يتجاوز عددها عدد أصابع اليدين، في حين نجد الأخرى قد يصل عددها إلى المئة، إضافة إلى القنوات الأجنبية التي تبلغ المئات، وممَّا يؤسف له حقاً ما تقوم به بعض الشبكات التلفازية العربية المتخصصة من شراء مواد سينمائية من بعض القنوات الأمريكية والأوربية التي تبث أفلام الرعب أو الأفلام الإباحية التي تؤثر سلباً على سلوك وأخلاقيات أولادنا، وهذه الأفلام في الغالب يقوم على إنتاجها وتمويلها اليهود الصهاينة الذين يمتلكون معظم شركات إنتاج الأفلام الأمريكية؛ إذ تشير بعض الإحصائيات إلى أنَّ أكثر من 90% من العاملين في

الحقل السينمائي الأمـريكي إنتاجـاً وإخراجـاً وتمثـيلاً وتصـويراً ومونتاجـاً هـم مـن اليهـود، وقالـت صـحيفة " الأخبـار المسـيحية الحـرة " عـام 1938م عـن سـيطرة الصهيونية على صناعة السينما الأمريكية : "إنَّ صناعة السينما في أمريكـا يهوديـة بأكملها، يتحكم فيها اليهود دون أن ينازعهم فيها أحد، ويطردون منها كل مـن لا ينتمـي إلـيهم أو لا يصـانعهم، وجميـع العـاملين فيهـا إمَّـا مـن اليهـود أو مـن صنائعهم، ولقد أصبحت هوليـود بسـببهم سـدود الـعصر الحـديث حيـث تنحـر الفضيلة، وتنشر الرذيلة، وتسترخص الأعراض، وتنهـب الأمـوال دون رادع أو وازع، وهم يرغمون كل من يعمل لديهم على تعميم ونشر مخططهم الإجرامـي تحـت ستائر خادعة كاذبة، وبهذه الأساليب القـذرة أفسـدوا الأخـلاق في الـبلاد، وقضـوا عـلى مشـاعر الرجولـة والإحسـاس، وعـلى المُثـل للأجيـال الأمريكيـة"، وختمـت الصحيفة قولها: "أوقفوا هذه الصناعة المجرمة لأنَّها أضـحت أعظـم سـلاح يملكـه اليهود لنشر دعايتهم المضللة الفاسدة".

كما يمتلك اليهود الصهاينة كبرى شبكات التلفـاز العالميـة، فـبشراء عـروض القنوات الأجنبية، والتنافس فـيما بينهـا عـلى ذلـك فيـه تـرويج للفكـر الصـهيوني وتحقيق أهدافه، وفيه دعم مادي لها.

وهـــم يســـيطرون أيضـــاً عـــلى كثـــير مـــن وكـــالات الأنبـــاء العالميـــة، ومركز المعلومات، ويمتلكون أدوات متقدمة في صـناعة الإعـلام وفنونـه؛ إذ يمتلـك الصـهاينة أربـع وكـالات أنبـاء عالميـة مـن خمـس، كوكالـة رويـتر البريطانيـة، والأسوشيتد برس واليونايتد بـرس الأمـريكيتيْن، ووكالـة هافـاس الفرنسـية، وهـذا

يعني أن الذي يتحكم في صياغة وصناعة الخبر هم اليهود الصهاينة، وإعلامنا في عالمَيْنا العربي والإسلامي للأسف الشديد يتلقى هذه الأخبار من هذه الوكالات.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف يتسنى للإعلام في العالم الإسلامي أن يتغلب على إعلامٍ هذه قوته؟

للأسف الشديد؛ فإننا نفتقر إلى إعلام إسلامي بما تحمله هذه الكلمة من معنى، فنحن لا نستطيع أن نعتبر إعلامنا إسلامياً من خلال بعض القنوات الفضائية المحدودة، أو من خلال بعض المجلات الإسلامية، وبعض مواقع الإنترنت الإسلامية، فهذه لا تشكل شيئاً يذكر أمام مئات الصحف والمجلات وعشرات القنوات ومواقع الشبكة العنكبوتية التي تسير في فلك الصهيونية والغرب، وتسهم في تقديم كل ما من شأنه نشر الفساد والانحلال، والسير على نمط السلوك الغربي، وطرز الحياة الغربية، والتي تسلط الأضواء من خلال برامجها على من يتبنون الفكر الغربي بكل ما فيه من إباحية وإلحاد، وجعلت منهم رموزاً أدبية وفكرية لهذه الأمة، ومنحتهم الجوائز والأوسمة في حين نجدها همَّشت حملة الفكر الإسلامي، وعتَّمت عليهم، وأغلقت أبوابها في وجوههم. قد يقول البعض إنَّ هناك مفكرين إسلاميين تسلط عليهم الأضواء، وأقول هنا إنَّهم قلة قلية لا تشكل حقيقة عدد مفكري الأمة وعلمائها، وتسلط الأضواء على هؤلاء حتى لا يوجه إليها نقد بعدم تقديمها لعلماء ومفكرين إسلاميين، وللطلب الملّح من القراء والمشاهدين والمستمعين لمعرفة موقف الدين من قضايا العصر، وممّا يواجههم من مشاكل، فللأسف الشديد أنَّ أغلب القائمين على الإعلام في

عالمنا العربي والإسلامي بجميع وسائله من ذوي الفكر العلماني، لذا فهم يروجون لمن يوافق أهواءاهم وتوجهاتهم الفكرية.

فنحن لا نستطيع التغلب على الحملات الصهيونية والغربية الموجهة الآن بضراوة ضد الإسلام والمسلمين، ومحاربة كل ما هو إسلامي في أي مكان في العالم إلاَّ إذا جعلنا القيادات الإعلامية في عالمنا العربي والإسلامي من الوسطيين من حملة الفكر الإسلامي،عندئذ نستطيع القول إنَّ لدينا إعلاماً إسلامياً.

سابعاً :مقترحات إعلامية للمواجهة:

عندما يكون لدينا إعلام إسلامي علينا أن ننشئ وكالة أنباء عالمية إسلامية تصيغ الخبر صياغة صحيحة تتوافق مع طبيعة الحدث وملابساته وخلفياته، وأن نقدم برامج تتفق مع قيم ومبادئ ديننا، ولا تخالف أسس العقيدة الإسلامية وأخلاقيات هذا الدين، وتسهم في تكوين رأي عام عالمي سليم تجاه قضايانا، وتعمل على الحفاظ على الهوية الإسلامية، وأن تصدر صحفاً ومجلاتٍ وكتباً بمختلف اللغات الأجنبية إلى جانب اللغة العربية، وأن تبث قنوات فضائية، ومواقع للإنترنت بمختلف اللغات تعرض قيم ومبادئ الإسلام وتاريخه وفكره وقضاياه، والسؤال الذي يطرح نفسه هو:

كيف يستطيع الإعلام في العالم الإسلامي ،وقد دخل فضاء العولمة عبر الأقمار الصناعية ومحطات البث التلفزيوني خارج الحدود أن ينهض بالأمة ويحافظ على هويتها واستقلاليتها؟

إنَّ الإعلام في العالم الإسلامي لا يستطيع النهوض بهذا الدور مالم يكن إعلاماً إسلامياً؛ إذ كيف يستطيع القيام بهذا الدور، ومعظم القيادات الإعلامية فيه علمانية، ولن يكون الإعلام في عالمنا العربي والإسلامي إعلاماً إسلامياً إلاَّ إذا تولت قيادته قيادات إعلامية ذات توجه إسلامي، والتزمت بميثاق "جاكرتا" للإعلام الإسلامي الذي وقَّعت عليه ما يقرب من 450 شخصية إعلامية إسلامية قبل حوالي 23 عاماً، ومن أهم بنود هذا الميثاق:

1- ترسيخ الإيمان بقيم الإسلام ومبادئه الخلقية.

2- العمل على تكامل الشخصية الإسلامية.

3- تقديم الحقيقة له خالصة في حدود الآداب الإسلامية.

4- توضيح واجباته تجاه الآخرين وبحقوقه وحرياته الأساسية.

5- العمل على جمع كلمة المسلمين، ودعوتهم إلى التحلي بالعقل والأخوة الإسلامية والتسامح في حل مشكلاتهم، مع الالتزام بمجاهدة الاستعمار والإلحاد في كل أشكاله والعدوان في شتى صوره والحركات الفاشية والعنصرية، وبمجاهدة الصهيونية واستعمارها الاستيطاني المدعم بأشكال القمع والقهر التي يمارسها العدو الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني والشعوب العربية.

6- التدقيق فيما يذاع وينشر ويعرض حماية للأمة الإسلامية وبقيمها ومقدساتها ودرء الأخطار عنها.

7- أداء رسالتهم في أسلوب عف كريم حرصاً على شرف المهنة، وعلى الآداب الإسلامية، فلا يستخدمون ألفاظاً نابية، ولا ينشرون صوراً خليعة، ولا يتعاملون

بالسخرية والطعن الشخصي والقذف والسب والشتم وإثارة الفتن، ونشر الشائعات وسائر المهاترات.

8- الامتناع عن نشر كل ما يمس الآداب العامة أو يوحي بالانحلال الخلقي، أو يرغب في الجريمة والعنف والانتحار، أو يبعث الرعب، أو يثير الغرائز سواء بطريق مباشر أو غير مباشر، واليقظة الكاملة لمواجهة الأفكار والتيارات المعادية للإسلام.

9- الامتناع عن إذاعة ونشر الإعلان التجاري في حال تعارضه مع الأخلاق العامة والقيم الإسلامية.

10- الالتزام بنشر الدعوة الإسلامية والتعريف بالقضايا الإسلامية، والدفاع عنها، وتعريف الشعوب الإسلامية بعضها ببعض، والاهتمام بالتراث الإسلامي، والتاريخ والحضارة الإسلامية، ومزيد العناية باللغة العربية، والحرص على سلامتها ونشرها بين أبناء الأمة الإسلامية، وبالخصوص بين الأقليات الإسلامية.

11- إحلال الشريعة الإسلامية محل القوانين الوضعية لاسترجاع السيادة التشريعية للقرآن الكريم والسنة النبوية.

اعتقد أنّ هذا من أهم الوسائل التي تمكّن إعلامنا من النهوض بالأمة الإسلامية، والمحافظة على هويتها واستقلالها، ولكن أين الإعلام العربي والإسلامي منها؟!.

نلاحظ أن كل شيء في هذه الحياة يتطور، فالعلم يتطور، والاختراع يتطور، والفن يتطور، والوسائل التي يستخدمها الإنسان كالسيارة، والطائرة، والأثاث،

والسلاح، والصناعات المختلفة، والعمارة، والزراعة، ووسائل النقل والانتقال، ووسائل الاتصال، ووسائل الإعلام والتعليم، إلى ما لا نهاية له من ضرورات أو كماليات الحياة، كلها تتطور.

ومبعث التطور لدى الإنسان، أن اللـه تعالى خلق له عقلاً وقلباً وفطرة تميل كلها إلى تحسين الحياة وتطويرها، وتحسين الأداء وتطويره، وتحسين الإنتاج وتطويره وهكذا، وهذا كله مبعثه الطموح والأمل اللذان استودعهما اللـه في الإنسان لعمارة الأرض، واستمرار الحياة، وانتقالها من طور إلى طور، وصولاً إلى النهاية المحتومة.

وقياساً على أن التطور سنة من سنن اللـه في كل شيء، إن الإيمان بكل مشتقاته، والدعوة في مجالاتها، والحركة في عموم توجهاتها ومهماتها ووسائلها وأساليبها، يجب أن تخضع لسنة التطور، وإلا كانت متخلفة عن العصر، متراجعة إلى الوراء.

فالإيمان الذي لا يتجدد، يفتر ويضعف ويتلاشى.

والعبادة التي لا تتحسن، تسوء وتفقد معانيها وأبعادها، وإن بقيت تؤدي عضلياً وشكلياً.

والدعوة إلى الإسلام، إن لم تتطور في مادتها وأدائها وأسلوبها تصبح متخلفة عن العصر، عديمة الفائدة والأثر.

وأعداء الإسلام يخلقون الفرص والمناسبات ويصطنعونها اصطناعاً لتوظيفها في خدمة مشروعهم.. والإسلاميون لديهم من الفرص والمناسبات والسوانح الكثير

الكثير والتي تمر مرور الكرام أدنى استثمار أو توظيف، ولعل البعض يظن أن في ذلك عيباً، وأن مجرد التفكير فيه معصية والبعد عنه واجب.

ثامناً :الإعلام الإسلامي جاء لبناء عقل الإنسان وفكره:

ان معظم ما نشاهده في كثير من القنوات الفضائية ونشاهده على أغلفة معظم المجلات، وكثير من مواقع الإنترنت من إباحية باسم الحرية والمدنية الحديثة بهدف تجريد المجتمعات من قيمها السامية· وطبيعي أن لا علاقة لمثل هذه السلوكيات بالإعلام الحقيقي، أما القول إن كلمة "الإعلام"لا وجود لها اسما ولا معنى في الفكر الإسلامي فهو قول لا أساس له من الصحة، لقد تميز الإعلام المحمدي بالمصداقية وفي ذلك أهم عنصر من عناصر الإقناع والاستحواذ على رضى المتلقين للدعوة ثم تميز بالحلم والعلم سبيلاً له . في زماننا هذا، فقد أصبحنا عرضة للنهب لكل من هب ودب والسبب تخلينا عن رسالتنا الدعوية والإعلامية رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبسبب إغفالنا للإعلام الإسلامي المستند إلى مرجعية الأمة هذا هو السلوك النبوي في الإعلام بالدعوة·

دائرة المعارف البريطانية تتحدث عن سبق النبي في الإعلام:"إنه حقاً رسول كريم" أنظر ماذا تقول عنه دائرة المعارف البريطانية تحت باب قرآن تقول بالحرف:

"لقد أنجز الرسول في عشرين عاماً من حياته ما عجزت عن إنجازه قرون من جهود المصلحين من اليهود والنصارى على الرغم من السلطة الزمنية التي

كانت تساعد جهودهم، وعلى الرغم من أنه كان أمام الرسول تراث أجيال من الوثنية والجهل ومئات من الشرور الأخرى".

إذا كان النظام الماركسي [1] له مرجعية يستند إليها إعلامه مثل كتاب رأس المال لـ"كارل ماركس" أو كتاب "بيفل" وإذا كانت هناك مرجعية للإعلام الليبرالي الغربي تتمثل في معطيات فكرة وترويجها، وإذا كان الغرب قد وضع كتباً في الإعلام الشمولي والإعلام الاستبدادي فأين نحن من كل هذا الصخب على الساحة العلمية والإعلامية؟

نعلم أن للإعلام فلسفات، ولا يوجد إعلام متجرد أبدا وحينما نطلع على فلسفات الإعلام في المجتمعات الليبرالية الغربية نرى أنه يعكس طبيعة الحياة السياسية والاجتماعية لهذه المجتمعات التي يحكمها نظام حرية (آدم اسمث) وغيره من الكتّاب والفلاسفة المعروفين، وبالمثل فلسفة الإعلام في النظام الماركسي نرى أنها تخدم نظرية "كارل ماركس" وغيره من الفلاسفة الذين كتبوا في الماركسية، وهكذا في النظام الاستبدادي، ومن ثم كان لابد من مرجعية تحكم الإعلام في المجتمعات الإسلامية، لأن الأغلبية العظمى في الدول العربية إما أن يستقطبها النظام الليبرالي الغربي أو يستقطبها النظام الاشتراكي أو الاستبدادي، فلم تكن لنا من قبل أسس ومناهج لا في معاهدنا العلمية ولا في مؤسساتنا

1 الماركسية : نظرية سياسية مفادها أن الرأسمالية يمكن أن تتعايش مع الشيوعية . ويرى أنصار هذه النظرية أن فرض الدكتاتورية من قبل جماعة معينة على باقي الطبقات أو القضاء على الخصوم بالعنف وتصفية النظام الحاكم ، لايمكن أن تتفق مع العدل والضمير والمنطق .

الإعلامية تحكم النظـام الإعلامـي العـربي بصـفة عامـة والإعـلام الإسـلامي بصـفة خاصة.

وكان يجب أن نفطـن إلى هـذا القصـور بعـد أن رأينـا أن الطالـب المسـلم الذي سافر إلى موسكو في عهد الشيوعية لدراسة الإعلام هناك كان لابد أن يـدرس الماركسية، وغيره من الذين سافروا إلى الغرب لابد أن يدرسوا نظـريتهم الليبراليـة جنباً إلى جنب مع دراسة مادة الإعلام.

أي أن الإعلام في كل نظام يخدم أهله، فأين الإعلام الذي يخـدم الإسـلام في بلادنا؟

مرة أخرى نؤكد على كليات الإعلام في بلادنا العربيـة أن تنضـبط بمرجعيـة فكرية إسلامية تحكم نشاط الخريجين، فكليات الإعلام المتخصصة، لابد أن تدرس ثوابـت العقيـدة، وأصـول الفقـه، وكليـات الـدعوة لابـد أن تـدرس علـم الإعـلام الحديث، ولابد للجهتين أن يدرسوا كيف كان رسول الـلـه (يدير شؤون الـدعوة ، فقد كان له بـاع طويـل في مجـال الـدعوة ووظـف لهـا وسـائل وأدوات بأسـلوب علمي سليم، فمثلاً كيف كان يتعامل مع الملحدين، كيف كـان يتعامـل مـع أهـل الكتاب، كيف تعامل مع العصاة من المسلمين، أو مع المتقين).

وهنا يجب أن يضع إعلامنا العربي مرجعية تأتي من مرجعيـة الأمـة، حتـى يكون الإعلامي العربي صـاحب رسـالة بـدلا مـن أن يكـون"صـانعي" إعـلام بفكـر ومرجعيات دخيلة علينا.

مـن الحقـائق التـي اكـدتها الادبيـات الاعلاميـة عـلى اخـتلاف مناهجهـا ونظرياتها، الدور الفاعل والواضح للاعلام في تنمية المجتمعـات ثقافيـا واجتماعيـا واقتصاديا وسياسيا ، الامر الذي قاد الى ماسمي بـ (الاعلام التنموي) الذي شـغل مساحة كبـيرة مـن اهـتمام البـاحثين والدارسـين خـلال العقـود المنصرمـة تأصـيلا وتنظيرا ، فضلا عن اجراء البحوث الميدانيـة، وكـان ذلـك في جانـب منـه انعكاسـا لمشاغل منظمات دولية اقلقتها حركة التنمية البطيئة في دول العـالم الثالـث [1] ، و البحث عن السبل الكفيلة بتنشيط تلك الحركة ، الامر الـذي حمـل الـبعض عـلى التعميم بأن مفتاح ذلك يكمن في الاعلام .

وفي سماوات مفتوحة واتصال جماهيري تفاعلي متزامنا مع اهـتمام عـالمي بحـق الاتصـال وديمقراطيـة الاعـلام ، تراجعـت الوظيفـة التنمويـة للاعـلام بيـنما اتسعت الوظيفة الترفيهية والاعلانية .وإذا كانت البلدان المستقرة قد تمكنت مـن ضبط حركة اعلامهـا بتـدابير واجـراءات وتشريعـات عديـدة بمـا يحفـظ لوظيفـة التنمية مكانة معينة لاتنال من دورها ، ان مناخ المنافسة بين وسائل الاعلام يدفع الكثير منها الى التميع مع رغبات الجمهور الباحث في غالبيته عن مضامين الترفيـه والتسـلية ، وبخاصـة في الوسـط الجماهـيري القلـق الـذي يسـوده قلـق سـياسي واجتماعي وامني واقتصادي ،كما أن البيئات المضطربة سياسيا تلقي بظلالها عـلى

1 دول العالم الثالث : مجموعة دول حصلت على إستقلالها في القرن التاسع عشر وما بعـده ، كـما تضم دول ظهرت حديثاً . وتؤلف هـذه المجموعـة أكـثر مـن ثلـث أعضـاء هيئـة الأمـم المتحـدة ، وتتكون من دول أمريكا الجنوبية والدول الآسيوية (ما عدا اليابان والصين) والدول الأفريقية .

الحركة الاعلامية وطبيعة المضامين المبثوثة .فتفّعل الوظيفة السياسية الى اقصى حدودها على حساب الوظائف الاخرى بضمنها التنموية .

ولكن مع هيمنة البث الفضائي بلورت بلدان عربية عديدة رؤية اعلامية شمولية لمجمل مساحة بثها واتخذت اجراءات موازنة تتيح لها الحفاظ على نسبة معقولة للمضمون التنموي ، وذلك عبر القنوات التعليمية والرسمية العامة ،بعد التعرف على مستوى منافسة وسائلها الاعلامية ونسبة تعرض جمهورها لمختلف الوسائل بما فيها الوافدة .

وربما يتعذر البعض بأن الاهداف التنموية ليست من بين الغايات التي تشكلت على اساسها تلك الوسيلة ، وأن ذلك يعد من مسؤوليات الوسائل الاعلامية الرسمية اي تلك التي تتبع الدولة ، فضلا عن ان انتاج المضامين التنموية مكلف ماديا إذا ما اريد لها ان تكون جذابة ومشوقة . وعلى وفق ذلك من غير المتوقع من الوسائل الخاصة القيام بمثل هذه المهمة ،بمعنى انها تقع على عاتق الاعلام الرسمي ، ولكن هل بمقدور الاعلام الرسمي بمفرده القيام بهذه المهمة الكبيرة ؟ان اقتصار المبادرة على الاعلام الرسمي كما تؤشر ذلك المعطيات الراهنة لن يحقق الغايات المنشودة ، وعليه لابد من دور للاعلام الخاص بهذا الشأن.

إن صناعة مضامين تنموية فاعلة ومؤثرة تقتضي خبرات فنية كبيرة وتقنيات متطورة وامكانات مالية عالية ، وبعكسه لا يمكن لبرامج تقليدية ان تحدث الاثر المطلوب، وهنا لابد من تحديد الجهات التي تتولى صناعة تلك المضامين ، وإذا اخذنا بالحسبان ان اغلب الاجهزة الاعلامية في دوائر الدولة تفتقد الخبرات

الفنية والتقنيات المتطورة ، فلا خيار متاح سوى الاستعانة بالوسائل الاعلامية الخاصة ، وهذا يحتم تحديد الاليات التي يمكن من خلالها اقامة جسور تعاون معها لانتاج وبث ونشر برامج التنمية ، كما على الجهات المسؤولة عن تنظيم العمل الاعلامي ان تفرض على الوسائل الاعلامية الخاصة تخصيص نسبة معينة لبرامج التنمية في مساحة البث والنشر. ذلك ان مثل هذا الاجراء لايشكل انتهاكا لحرية العمل الاعلامي ولا يمكن تفسيره باي حال من الاحوال على انه انحراف بالمسيرة الاعلامية باتجاهات غير مرغوب بها، فالتقييدات التي يراد منها تعزيز الثوابت الوطنية ودعم عمليات التنمية وحفظ الامن الوطني تتوافق تماما مع مضامين اللوائح القانونية و اخلاقيات العمل الاعلامي ومواثيق الشرف المهني.

المراجع العربية والمترجمة :

- البوطي ، محمد سعيد ، فقه السيرة النبوية (مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة)، بيروت،ط،1 دار الفكر المعاصر ، 1991م.

- أمين، سامر محي الدين، 43 قصة من قصص العرب في الكرم والجود ، عمان ، ط1 ، دار البيت العتيق للنشر والتوزيع ، 2004م.

- براد بيري، راي، المسمار الأخير في نعش بوش الابن (فهرنهيت 451)، القاهرة، بدون دار نشر، ترجمة عادل نجيب بشرى، 2004م.

- شلتوت ، محمود ، الإسلام عقيدة وشريعة ، بيروت ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، 1972م.

- طباره ، عفيف عبد الفتاح ، روح الدين الإسلامي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1973م.

- فؤاد ، عبد المنعم، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، الرياض ، مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولى الخاصة بمكتبة العبيكان ، 1997م.

- مهنا ، محمد نصر ، الفتوحات الإسلامية والعلاقات السياسية في آسيا ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، 2008م.

- إبراهيم ، أسامة عبد المنعم علي ، حصر ومكافحة غسل الأموال ومكافحة تمويل الإرهاب ، القاهرة ، ط1 ، المركز القومي للإصدرات القانونية ،2009م.

- أبو زهرة ، محمد ، تنظيم الإسلام للمجتمع ، الكويت ، ط2 ، دار البحوث العلمية ، 1979م.

- إسماعيل ، زكى محمد ، نحو علم اجتماعى إسلامي ، الإسكندرية ، دار المطبوعات الجديدة ، 1989م.

- إسماعيل ، فضل الله محمد ، فلسفة السياسة ، الإسكندرية ، دار الجامعة الجديدة ، 2008م.

- الإبراهيم ، حسن ، الدول الصغيرة والنظام الدولي ، بيروت ، مؤسسة الأبحاث العربية، 1982م.

- البدري ، جمال شاكر ، التشيع والعولمة ، رؤية في الماضي والمستقبل ، دمشق ، ط1 ، دار صفحات للدراسات والنشر ،2007م.

- الحنفي، عبد المنعم، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية، القاهرة، ط 3 ، مكتبة مدبولي، 2005م.

- الحيدان، عبد الله بن فهد، المسلمون وتحديات العصر، الرياض، دار طويق للنشر والتوزيع، 2006م.

- الزحيلى ، وهبه ، الفقه الإسلامي وأدلته ، دمشق ، ط1 ، ج3 ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، 1985م.

- الشكعة ، مصطفى ، اسلام بلا مذاهب ، بدون دار نشر ، ط 2، 2008م.

- الشيباني ، عمر التومى ، مقدمة في الفلسفة الإسلامية، تونس ، الدار العربية للكتاب ، 1975م.

- العيسوي ، عبد الفتاح محمد ، فلسفة الإسلام في بناء الأسرة القوية ، الإسكندرية ، المكتب العربي الحديث ، 2006م.

- النبراوي، فتحية، الفتوحات الإسلامية والعلاقات السياسية في آسيا، الإسكندرية، منشأة المعارف، 2008م.

- النجار، عبد الوهاب ، قصص الأنبياء ،بيروت ، ط2 ، دار الجيل للنشر والتوزيع ، بدون تاريخ .

- النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية، دمشق، دار الفكر، 1996م.

- أمين ، بكري شيخ ، التعبيرالفني في القرآن ، بيروت ، دار الشؤون للنشروالتوزيع ، 1986م.

- أيوب ، حسن ، السلوك الاجتماعي في الاسلام ، الكويت ، ط2 ، دار البحوث العلمية ، 1979م.

- بدر ، أحمد ، الإعلام الدولي ، دراسات في الاتصال والدعاية الدولية ، القاهرة ، بدون دار نشر ، 1977م.

- بدوى ، ثروت ، أصول الفكر السياسي والنظريات والمذاهب السياسية الكبرى ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، 1970م.

- بدوي، محمد طه، مدخل إلى علم العلاقات الدولية، بيروت، دار النهضة العربية، 1972م.

- بريجنسكي ، زبغنيو ، رقعة الشطرنج الكبرى ، عمان ، دار الأهلية للنشر والتوزيع ، ترجمة أمل الشرقي، 1999م.

- جـاد ، سـهير ، الـبرامج التلفزيونيـة والإعـلام الثقـافي ، القـاهرة ، الهيئـة المصرية للكتاب ، 1987م.

- جـودة ، محمـد أحمـد ، اليهـود والمسـيحيون والرومـان وتـدمير هيكـل سليمان ، الإسكندرية ، المكتب العربي الحديث ، بدون تاريخ .

- جيبـون ، إدوار ، اضـمحلال الإمبراطوريـة الرومانيـة وسـقوطها ، ج1 ، القـاهرة ،ط2 ، الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب ، ترجمـة محمـد عـلي أبـودرة ، 1997م.

- حتي، ناصيف، النظرية في العلاقات الدولية، بيروت، دار الكتـاب العـربي، 1985م.

- حسن ، إبراهيم ، صفحات من تاريخ مصر (تاريخ عمـرو بـن العـاص)، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، 1996م.

- حمـودة، منـتصر سـعيد، الإرهـاب، دراسـة فقهيـة في التشريـع الجنـائي الإسلامي، الإسكندرية، ط1، دار الجامعة الجديدة، 2008م.

- حـوات ، محمـد عـلي ، العـرب والعولمـة (شـجون الحـاضر وغمـــوض المستقبل) ، القاهرة، مكتبة مدبولي ، 2002م.

- خليل ، بكري محمد ، الفكر القومي وقضايا التجدد الحضاري ، القاهرة ، مكتبة مدبولي، 20004 م.

- خليل، خليل أحمد، العرب والقيادة، بيروت، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، 1981م.

- خليل، محمد بيومي، انحرافات الشـباب في عصر العولمـة، ج1، القـاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 2002م.

- درويش ، إبراهيم ، النظرية السياسية في العصر الذهبي ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، 1973م. ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية ، ترجمة عطا عبد الوهاب ، 1987م.

- رنسينان ، ستيفن ، تاريخ الحروب الصليبية ، بيروت ، دار الثقافة ، ط2، ترجمة السيد الباز العريني ، 1981م.

- سابق، السيد، عناصر القوة في الإسلام، بيروت، دار الكتاب العربي، 1986م.

- سعيد ، عبد المنعم ، العرب ومستقبل النظام العالمي ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 1987م.

- سليمان ، ميخائيل ، صورة العرب في عقول الأمريكيين ، بيروت ،

- سيد ، أيمن فؤاد ، الدولة الفاطمية في مصر ، القاهرة ، ط1 ، الدار المصرية اللبنانية ، 1992م.

- شحاته ، عبد الله ، المرأة في الإسلام بين الحاضر والماضي ، القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب ، 1984م.

- شرف، عبد العزيز، الإعلام الإسلامي وتكنولوجيا الاتصال، القاهرة، ط1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م.

- شعبان ، محمد عبد الحي محمد ، الدولة العباسية ، القاهرة ، دار الأهلية للنشر والتوزيع .

- شوقي، عبد المنعم، مبادئ تنمية المجتمع، القاهرة، دار الكتاب العربي، بدون تاريخ.

- شيكرام ، ويلبور وآخرون ، التلفزيون وأثره في حياة أطفالنا ، القاهرة ، المؤسسة المصرية للتأليف والأنباء والنشر ، مطبعة دار التأليف ، ترجمة زكريا سيد حسن ، بدون تاريخ .

- صادق ، يسرية وآخرون ، تصميم البرنامج التربوي للطفل ، القاهرة ، ط1 ، دار الفكر الجامعية ، 1986م.

- طعيمة، صابر، الغلو والفرق الغالية بين الإسلاميين في ضوء عقيدة السلف، القاهرة، ط1، مكتبة مدبولي، 2009م.

- طقوش ، محمد سهيل ، تاريخ الدولة الأموية ، بيروت ، ط1 ، دار النفائس ، 1996م.

- عاطف ، إبراهيم وآخرون ، تعلم الأطفال في دور الحضانة : بين النظرية والتطبيق ، القاهرة ، ط1 ، مكتبة النهضة المصرية ، 1976م.

- عبد الحميد ، سعد زغلول ، في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ، دار النهضة العربية، 1976م.

- عبد الدائم، عبد الله، الثورة التكنولوجية في التربية العربية، بيروت، ط3، دار العلم للملايين، 1981م.

- عبد الرحيم ، إكرام ، التحديات المستقبلية للتكتل الإقتصادي العربي ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، 2002م.

- عبد المطلب، إيهاب، جرائم الإرهاب خارجياً وداخلياً، القاهرة، ط1، المركز القومي للإصدارات القانونية،2009م.

- عثمان ، إبـراهيم ، العلاقـات الدوليـة المعـاصرة "الأسـس النظريـة واقـع الممارسة مشارف المستقبل ،الرياض ، ط1 ، دار العلوم للطباعــة والنشر ،1990م.

- عزيــز ، ســامي ، الصـحافة مسـئولية وسـلطة ، القـاهرة ، دار التعـاون للطباعة والنشر ، 1981م .

- علواني ، عبـد الواحـد ، تنشـئة الأطفـال وثقافـة التنشـئة ، دمشـق ، دار الفكر ، 2001م.

- عليوة ، السـيد ، اسـتراتيجية الإعـلام العـربي ، القـاهرة ، الهيئـة المصريـة للكتاب، 1990م.

- فلاتة، مصطفى محمد عيسى، الإذاعـة السـمعية وسـيلة اتصـال وتعلـيم، الرياض، منشورات جامعة الملك سعود 1997م.

- قرقوط، تاريخ الأمة العربية الحـديث، (المشروع القـومي الـذي لم يـتم). القاهرة، مكتبة مدبولي، 2005م.

- كارتر، جيمـي، فلسـطين سلام لا تفرقـة عنصريـة، القـاهرة ط1، ترجمـة عادل نجيب بشرى، بدون دار نشر، 2007م.

- كامل ، عمر عبد اللـه ، الأدلة الباهرة على نفـي البغضـاء بـين الصـحابة والعترة الطاهرة (محاولة للتقريب بين أهل السنة والشيعة وفقاً للأسس العلمية) ، عمان، ط1 ، دار البيارق للنشر والتوزيع ، 2001م.

- محمـد، إسـماعيل، علـم الاجـتماع السـياسي وقضـايا التخلـف والتنميـة والتحديث، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1980م.

- مطـر، عصـام عبـد الفتـاح، الجريمـة الإرهابيـة، الإسـكندرية، ط1، دار الجامعة الجديدة،2008م.

- منصور، بلقيس، الأحزاب السياسية والتحول الديمقراطي، القاهرة، ط1، مكتبة مدبولي، 2004م.

- منصور، خيري، الإستشراق والوعي السالب، القاهرة، مكتبة مدبولي، 2009م.

- منير، وليد، النص القرآني من الجملة إلى العالم، القاهرة، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1997م.

- مهنا ، محمد نصر ، العلوم السياسية بين الحداثة والمعاصرة ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، 2002م.

- نوار ، عبد العزيز سليمان ، الشعوب الإسلامية ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1973م.

- نوار، صلاح نوار محمد، العدوان الصليبي على العالم الإسلامي، الاسكندرية، منشأة المعارف، 2008م.

- نوار، صلاح نوار محمد، قراءة جديدة في الفتح الإسلامي لمصر، الاسكندرية، منشأة المعارف، 2005م.

- هيشور، محمد، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، القاهرة، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996م.

- وافى ، علي عبد الواحد ، عوامل التربية ، القاهرة ، ط1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1980م.

- واين، ويلتون، عبد الناصر.. قصة البحث عن الكرامة، القاهرة، ط1، مكتبة مدبولي، 2009م.

- تاج ، عبد الرحمن ، أحكام الأحـوال الشخصـية في الشريعـة الإسـلامية ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، 1955م.

المراجع التراثية :

- الجوع ، أبي بكر عبد اللـه بن محمد ابـن أبي الـدنيا ، بـيروت ، دار ابـن حزم ، ط1 ، 1997م.

- كتاب المحتضرين ، أبي بكر عبد اللـه بن محمد ابن أبي الـدنيا ، تحقيـق محمد خير رمضان – بيروت ، دار ابن حزم ،ط1 1996م.

- صحيح البخاري ، أبي عبد اللـه محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخـاري – تـرقيم وترتيـب محمـد فـؤاد عبـد البـاقي –القـاهرة ، دار ابـن الهيـثم ، ط1 ، 2004م.

-المدهش ، ابن الجوزى – ضبطه وصححه وعلق عليـه د- مـروان قبـاني – بيروت ، دار الكتب العلمية ، بدون تاريخ .

- عيون الحكايات ، ابن الجوزى – تقـديم وتحقيـق وتعليـق عبـد العزيـز سيد هاشم – بيروت ، دار الكتب العلمية ،ط1 ، 2003م.

- كلام الليالي والأيام لابن آدم ، أبي بكر عبد اللـه بن محمد ابن أبي الـدنيا – تحقيق محمد خير رمضان يوسف - بيروت ، دار ابن حزم ، ط1 ، 1997م.

- بحر الـدموع ، عبـد الـرحمن بـن عـلي بـن الجـوزي – تحقيـق إبـراهيم باجس – بيروت ، دار ابن حزم ، ط3 ،1998م.

- كتاب المتمنين ، أبي بكر عبد اللـه بـن محمـد ابـن أبي الـدنيا – تحقيـق محمد خير رمضان يوسف – بيروت ، دار ابن حزم ، ط 1 ، 1997م.

- قصر الأمل ، أبي بكر عبد اللـه بن محمد ابن أبي الدنيا – تحقيق محمد خير رمضان يوسف – بيروت، دار ابن حزم ، ط1 ، 1998م.

- صفة الصفوة ، ابن الجوزي – تحقيق محمد محمود اسماعيل – بيروت ، دار الخلفاء للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1995م.

- تهذيب سير أعلام النبلاء ، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الارنؤوط ، تهذيب أحمد فايز الحمصي –بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط 2 ، 1999م.

- ثمرات الأوراق في المحاضرات ، للإمام تقي الدين أبي بكر علي بن محمد بن حجة الحموي القادري الحنفي – تحقيق د- مفيد قمحية – بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 1983م.

- الفرج بعد الشدة (للوقائع الغريبة والأسرار العجيبة) ، أبي علي المحسن بن علي بن محمد ابن أبي الفهم التنوخي البصري ، تحقيق خليل عمران المنصور – بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 2001م.

- بستان الواعظين ورياض السامعين ، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي – تحقيق جمال محمد شرف – القاهرة ، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع ، 2004م.

- عقلاء المجانين – للإمام أبي القاسم الحسن ابن محمد بن حبيب النيسابوري – تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول – بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط 2، 2003م.

- معجم البلدان ، للإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي – تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي – بيروت ، دار احياء التراث العربي ، ط 4 ، 1988م.

- الصبر والثواب عليه – أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا – تحقيق محمد خير رمضان يوسف – بيروت ، دار ابن حزم ، ط1 ، 1997م.

- العقوبات " العقوبات الإلهية للأفراد والجماعات والأمم " – أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا – تحقيق محمد خير رمضان يوسف – بيروت ،دار ابن حزم،ط1، 1996م.

- ثلاث رسائل في فضائل معاوية (حلم معاوية لابن أبي الدنيا ، فضائل معاوية للسقطي، شرح عقد أهل الإيمان للأهوازي)- تحقيق د- عصام مصطفى هزايمة، د- يوسف أحمد بني ياسين –اربد ، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع ، ط1 ،2000م.

- المواعظ والمجالس – لأبى الفرج ابن الجوزى – دراسة وتحقيق وتعليق مجدى محمد الشهاوى – المنصورة ، مكتبة الإيمان ،ط1 ، 1997م.

- الكشكول – محمد بهاء الدين العاملي – بيروت ، دار الكتب اللبنانى، ط1983،1م.

- أخبار الظراف والمتماجنين – أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي – تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي – بيروت ،ط1 ، 1997م.

- مكارم الأخلاق – الإمام أبي بكر عبد اللـه بن محمد بن أبي الدنيا القرشي البغدادي – تحقيق بشير محمد عيون – دمشق ، مكتبة دار البيان ، ط1 2002م.

- كتاب شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور – جلال الدين عبد الرحمن السيوطي – تحقيق زهير شفيق الكبي – بيروت ، دار الكتاب العربي ،ط1 ، 1990م.

- المختار من نوادر الأخبار – الشيخ المحدث شمس الدين محمد بن أحمد المقري - عمان ، مركز سندباد للترجمة والنشر والتوزيع – بيروت ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، 1996م.

- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة – القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي – تحقيق الدكتور عبد الإله نبهان – دمشق ،منشورات وزارة الثقافة ، 2001م.

- نثر الدر- أبي سعد منصور بن الحسين الآبي – تحقيق مظهـر الحجي – دمشق، منشورات وزارة الثقافة ، 1997م.